الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l' Enseignement Supérieur Et de la Recherche Scientifique

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

شعبة التاريخ

Université de Ghardaïa

Faculté des sciences sociales et humaines

Département Histoir

Filière Histoir

دروس في مادّة:

تاريخ الجزائر الحديث ما بين القرنين (16–19م)

مقدمة لطَّلبة السنة الثَّانية تاريخ عام ل.م.د (ليسانس)

في السُّداسي الرَّابع

شعبة تكوين في:

تخصص

إعداد الدكتورة:

فاطمة الزّهراء حوتية

– الموسم الجامعي: 1441–1442هـ/2020–2021

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المطبوعة:

يُعد تاريخ الجزائر الحديث من إحدى الحلقات الهامَّة الّتي تؤرّخ للذَّاكرة الوطنيَّة الجزائريّة؛ فهي حقبة انفردت بجملة من الخضائص والمعطيات الرَّاهنة آنذاك الّتي دامت أزيد من ثلاثة قرون.

والمتصفح إلى الوضع الّذي ميز المغرب الأوسط-الجزائر- يدرك بحتمية تدخل طرف قوي مؤهل يقف صداً مانعاً للخطر الايبري على سواحل الغرب الأبيض المتوسط فقد تسارعت الأحداث منذ سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في 02جانفي1492م، لتعمل بعد ذلك إسبانيا في تصعيد الهجمات فتم تجهيز حملات عسكرية تستهدف شواطئ السواحل المغاربيَّة ومن بينها الجزائر وقد تمكَّنت في فترة زمنيَّة وجيزة من(1505-1510م) من تطويق السَّاحل البحر الأبيض المتوسط فقد تم احتلالها سواءاً بالقوَّة أو طواعية بدفع الجزية وبإبرام المعاهدات وهذا بسبب الفوضى والاضطراب والصِّراع حول السُّلطة الّتي كان يعيشها المغرب الأوسط بل شملت جميع الأقطار المغاربيَّة.

وفي ظل هذا التَّأزُّم والطَّريق المسدود سطع في الأفق نجم الاخوة بربروس(Barberousse) الّذين صنعوا لأنفسهم اسماً وفرضوا وجودهم في البحر الأبيض المتوسِّط إزاء جهودهم في إنقاذ المسلمين الفارِّين من وحشيَّة المحاكم التَّفتيش الاسبانية والاغارة على السُّفن وذلك ما دفع بأعيان الجزائر الاتِّصال بهم لتخليصهم من المحتل الاسباني وتمّ ما أردُّوا، ومن هذا المنطلق سيتم فتح نافذة تاريخيَّة يتطلع الطالب فيها وتمكنه من متابعة قضايا وأحداث الجزائر خلال القرنين(16-19م).

الهدف من تدريس المادّة: وتهذف هذه المطبوعة إلى جملة من الأهداف نوردها على النّحو الآتي:

- ✓ فتح للطلبة نافذة لرؤية تاريخية متعلقة بتاريخ الجزائر الحديث إبان القرن 16-19م.
- ✓ تسليط الضوء على الأحداث البارزة التي يستوجب الوقوف عندها بالتحليل والتمحيص للمعلومات التاريخية المذكورة.
- ✓ إدارك وفهم التسلسل التاريخي للأحداث التي عرفتها الجزائر إبان العهد العثماني (1519-1830م).

المحتوى العام للمادّة: وعلى ما سبق ذكره آنفاً سنحاول من خلال هذه المطبوعة الموجَّهة للسَّنة الثَّانية –تاريخ عام- في مقياس تاريخ الجزائر الحديث بالتَّطرُّق إلى المحاور الأساسيَّة-وفق ماهو مقرر في المقرر-من أجل إعطاء الطالب صورة عامَّة عن سقوط غرناطة وانعكاساتها، انضمام الجزائر للدَّولة العثمانيّة، التَّنظيم الاداري والسِّياسّي الّذي عرفته الجزائر إبان العهد العثماني، بنية الجيش

البرّيّ والبحريّ، فئات المجتمع في الريف والمدينة فضلاً عن الوضع الوبائي والأمراض الّتي سادت في الجزائر خلال العهد العثماني.

المصادر والمراجع: احتوت بيبلوغرافية البحث على غنى المادّة العلميَّة من غنى هذه المادّة بالمصادر والمراجع، حيث أدرجت مختلف الأوعية المعرفيَّة المعلوماتية الّتي وثقت للحقبة العثمانيّة للجزائر خلال القرنين(16-19م)، فهي ذو أهّميّة بالغة لا يستغنى عنها أي طالب أو باحث عند دراسته لهذا المجال الزَّمانيّ والمكانيّ جد واسع. فهي تُعد مشرب من المشارب الفكريّة الّتي تزود الرَّصيد المعرفي للدّارس فضلاً في تنوعها؛ من مخطوطات ومصادر ومراجع باللغة العربيَّة والأجنبيَّة ومقالات أكاديميَّة ورسائل جامعيَّة ومواقع إلكترونيّة فهي حملت في طابعها الأكاديمي وجانبها المنهجي في غالب الأحيان قدرة مؤلفيها-المختصين في تاريخ الجزائر العثماني- في تمكنهم من معالجة المواضيع الّتي تصب لإيضاح المسار التطّور السِّياسيّ للجزائر خلال العهد العثماني وبأبعادها الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة الّتي ارتكزت عليها محور الدّراسة للمطبوعة البيداغوجيَّة ومع ذلك يجب التَّنويه بالحرص والتَّدقيق أثناء تعاملنا مع المعلومات التَّاريخيَّة الواردة مع هذه المصادر والمراجع سيما الأجنبيَّة منها الّتي قد تغذي أقلامها نزعات وخلفيات في الكتابة التّاريخيَّة الّتي لا أساس لها من صحة وتخدم جهة معينة.

الصعوبات المحتملة في اكتسابها: ما يصعب للطَّالب في مقياس تاريخ الجزائر الحديث خلال القرنين(16-19م) أنّه محمل بالقضايا الشائكة والمحطات المثقلة بالأحداث التَّاريخيّة التي تحتاج إلى التريث والتحليل بهدف إيصالها في صورتها الصحيحة فضلاً عن التطّورات السريعة التي تحدث في مجال زمني ضيق جد تحتم على الطالب الفهم من أجل مواكبة هذه التغيرات المفاجئة إلى جانب أنّ المدّة الزّمنية ليست كافية في تغطية كل جوانب مقياس تاريخ الجزائر الحديث خلال القرنين(16-19م).

والله الموفَّــق

الدرس التمهيدي(التعريف بالمادة ومحتوياتها)

1- **اسم المادة ورمزها المعتمد في المقرر الوزاري:** تاريخ الجزائر الحديث ما بين القرنين (16-19م).

2-مكانة المادّة ضمن برنامج الدّراسة:

الوحدة التعليميّة: الأساسية.

عدد المحاضرات السداسيّة: أربعة عشرة(14) محاضرة.

الحجم الساعي الأسبوعي: ساعة ونصف والسداسي واحد وعشرون ساعة إلاّ أنّه مع الجائحة تقلص الحجم الساعي وأصبح محدد بساعة واحدة فقط إلى جانب نظام التعليم الحضوري المبرمج بأربعة أسابيع والتعليم عن بعد وهذا وفق ما تطلبه البرتوكول الصحي الصارم وما تستدعيه الضرورة لتعديل البرنامج التدريس في أي وقت.

المستوى المستهدف بها: السنة الثّانية تاريخ عام.

طريقة التقييم: علامة الأعمال الموجهة50% +الامتحان الكتابي% 50

معامل المادّة: 02 **الأرصدة:**05

3-الأهداف المرجوة من تدريس المادّة: تهدف هذه المادّة في تعزيز المعلومات التاريخيّة للطالب التي تخص الهوية المرسخة في الذاكرة الوطنية الجزائرية فهي استكمال القاطرة التاريخية عير محطاتها الحافلة بالانجازات على الصعيد الداخلي والخارجي بما تحمله من أبعاد مختلفة في مجالات متعددة سياسية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، فهي تعد خزان معرفي تمكن للطالب من اكتساب هذه المادّة الغنيّة من خلال هذه الحقبة التاريخية للجزائر خلال العهد العثماني وتؤهله في التحليل التاريخي للأحداث المتسارعة.

4-المعارف المطلوب اكتسابها مسبقاً لمتابعة سير الدّروس: إنَّ المعلومات المكتسبة القبلية في المراحل التعليمية سيما في الطورين المتوسط والثانوي تؤهل الطالب في الاستيعاب كما تحفزه في استكمال الدّروس المخصصة في مقياس تاريخ الجزائر الحديث ما بين القرنين (16-19م).

5-المصادر والمراجع الأساسية للمادّة:

أ-المصادر:

ابن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،تونس، 1963م، ج ، الدار التونسية والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 .

ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق مُحَمَّدشمام ،تونس ، المكتبة العتيقة.

ابن سحنون احمد علي الراشدي : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيقوتقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1983م.

ابن ميمون مُحَمَّد : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تحقيق وتقديم مُحَمَّد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972م.

ابن هطال احمد التلمساني : رحلة الباي مُحَمَّد الكبير إلى الجنوب الجزائري، تحقيق، مُحَمَّد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب، ط1 . 1969 م.

حمدان بن عثمان خوجة : المرآة ،تقديم و تعريب وتحقيق مُحَمَّد العربي الزبيري، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1985م.

الزهار الحاج أحمد الشريف: مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار – نقيب اشراف الجزائر1753 م – 1830م، تقديم وتحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.

الزياني مُحَمَّد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.

مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1934م.

مجهول : تاريخ بايات قسنطينة، تصحيح تعليق حساني مختار، الجزائر، منشورات دحلب،1999م.

مسلم بن عبد القادر : أنيس الغريب والمسافر، تعليق وتحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.

ب–المراجع:

آجقو علي: محاضرات في تاريخ مؤسسات الدولة الجزائرية (1514م–1837م) ، للمعلوماتية والخدمات المكتبية ،ط (Batna-net) 2 الجزائر ،ج 2 ، باتنة نيت.

ألتر سامح عزيز : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة مُحَمَّد علي عامر بيرو ،ط 1، دار النهضة العربية، 1989م.

الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج3، بيروت، دار الثقافة،1980.
الزبيري مُحَمَّد العربي، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث،ب،ط، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة،1975.
المدني أحمد توفيق، مُحَمَّد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 سيرته حروبه ، أعماله ، نظام الدولة والحياة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986 .
الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ب،ط، ج4، الجزائر،دارالكتاب العربي2011.
شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830،ط1، لجزائر، دار الكتاب العربي،2010 .
اينالجيك خليل : تاريخ الدولة العثمانيّة من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة مُحَمَّد ارناؤوط ، بيروت، دار المدار الإسلامي ، 2002 م.
بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعة،2009.
بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط،خ ، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.
حاجيات عبد الحميد: خطر النصارى و انهيار الدولة الزيانية، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي).
خنوف علي: السلطة التركية في الارياف الشمالية لبايلك الشرق في نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي، الجزائر ، ب د، 1999 م.
سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في الفترة العثماني 1830 -1800 م ش. ون. ت الجزائر.
شوفالييه كورين : الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1541 – 1510،(تر: جمال حمادة).
عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، ب،ط، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع،1980.
عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.
مقلد إسماعيل صبري: العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات،الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1985 م.

ج–مراجع باللغة الأجنبية

- BENACHENHOU A., l'État algérien en 1830, ses institutions sous l'Émir Abdelkader
- BONTEMS Claude, Manuel des institutions algériennes, de la domination turque à l'indépendance, La domination turque et le régime militaire 1518-1870
- DAN Pierre, Histoire de barbarie et de ses corsaires
- ESTERHAZY WALSIN, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger
- GRAMMONT H.D. De, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)

6-محتوى المادة: مقدمة

الدّرس التمهيدي (التعريف بالمادّة ومحتوياتها).

الدّرس الأول: سقوط غرناطة والنتائج المترتبة عنها.

الدّرس الثاني: دور الإخوة بربروس في سواحل شمال إفريقيا.

الدّرس الثالث: انضمام الجزائر للدولة العثمانيّة.

الدّرس الرابع: التنيظم السياسي للجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م).

الدّرس الخامس:التنظيم الإداري في الجزائر إبان العهد العثماني (1519-1830م).

الدّرس السادس: مراحل الحكم العثماني في الجزائر وأهم مميزاته عهد البايلر بايات (1519-1587م).

الدّرس السابع: مرحلة الباشوات(1587-1659م).

الدّرس الثامن: مرحلة الآغوات(1659-1671م).

الدّرس التاسع: مرحلة الدايات (1671-1830م).

الدّرس العاشر: الجيش البحري الجزائري.

الدّرس الحادي عشر: الجيش البرّي الجزائري.

الدّرس الثاني عاشر: التنظيم السُّكانيّ في الريف الجزائري.

الدّرس الثالث عاشر: التنظيم السُّكانيّ في المدن الجزائرية.

الدّرس الرابع عاشر: البيئة الصِّحيَّة في الجزائر خلال العهد العثمانيِّ (الكوارث والأمراض والأوبئة) -دراسة تحليليَّة-.

الملاحق.

الخاتمة.

الدّرس الأوّل: سقوط غرناطة والنتائج المترتبة عنها:

1.سقوط مملكة غرناطة:

مملكة غرناطة[1] هي آخر الممالك العربية الإسلامية الّتي قامت في الأندلس، وسقوطها يمثل انهيار الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الايبرية، الّذي دام نحو ثمانية قرون، وقد سبق سقوط غرناطة، استيلاء الممالك الاسبانية بالتدريج على القواعد العربية المهمة في البلاد.

وكانت البداية سقوط مدينة طليطلة حيث استولى عليها ألفونسو السادس (AlfonsoVI) عام 478هـ/1085م، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الأندلس يشمل إلا ثلث شبه الجزيرة فقط فاستنجد الأندلسيون بأشقائهم أهل المغرب وكانت دولة المرابطين وسرعان ما أقبل رئيسها يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش لنجدة ملوك الطوائف في الأندلس المنقسمين على بعضهم فهزم ألفونسو السادس في معركة الزلاقة في 1086هـ ثم سرقسطة التي سقطت عام512هـ/1118م بيد ألفونسو الأول (AlfonsoI) وأخيراً قرطبة واشبلية اللتين استولى عليهما فرناندو الثالث (Fernando III) في (633هـ/1236م) و(647هـ/1248م) على التوالي وتخلل هذه الانتكاسات سقوط الكثير من المدن والنواحي.

كان عدد كبير من السكان العرب المسلمين يلتجئون إلى غرناطة قبل سقوطها عام (897هـ/1492م) وذلك حينما تتعرض مدنهم إلى سيطرة الممالك الإسبانية ولذا أصبحت غرناطة أملهم الوحيد لممارسة شعائرهم الدينية، لكن الخطر الاسباني امتد ليشمل هذه الرقعة الجغرافية بعد سقوط جبل طارق بيد القشتاليين سنة (867هـ/1462م) أضحت مملكة غرناطة محاصرة إلى جانب توحيد مملكتي قشتالة وأرغون بعد الزواج السياسي بين الأمير فرديناد الأراغوني من إيزابيلا وارثة عرش قشتالة سنة 874هـ/1469م وكان لهما طموح في توسيع السلطة السياسية للملكة الجديدة الموحدة

---

[1] غرناطة تقع في الركن الشمالي الشرقي لشبه الجزيرة الايبرية اتسعت في القرن(5هـ11م) وأصبحت حاضرة ملوك بني الأمر وعرفت باسم دمشق الأندلس لشدة التشابه بينهما. غرناطة أو إغرناطة اسم قديم وقداختلفت آراء الباحثين في أصل تسمية غرناطة أو إغرناطة اسم قديم ؛ فيرى البعض أنه مشتق من الكلمة الرومانية Granataأي الرمانة وأنها سميت كذلك لجمالها ولكثرة حدائق الرمان التي تحيط بها ومنهم يعتقد أنها ترجع إلى لأصل بربري مشتق من اسم أحد القبائل أو لأنها أنشئت على البقعة التي زرع فيها الرمان لأول مرة عند نقلع إليها من إفريقية، أو لأنها بموقعها وانقسامها على التلين تشبه بمنازلها الكثيفة الرمانة المشقوقة. ينظر: مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403هـ – 483هـ، الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994، ص ص 27، 32، محمّد هشام النعسان، قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية (دراسة تراثية، أثرية، عمرانية، جمالية) بيروت: دار الكتب العلمية، 2017، ص250

فلذلك ابتدأ بالاستيلاء على المناطق المحيطة بغرناطة ثم عسكروا في جنوب غرب المدينة في مرج غرناطة حيث قاموا ببناء معسكر أطلق عليه اسم بلدة شنتفي(الإيمان المقدس).

وابتدأوا من هذا المعسكر بالإغارة على المدينة وتشديد الحصار عليها ولم تكلل محاولات سكان المدينة البطولية في صد الجيش المهاجم، واستمر الحصار نحو سبعة أشهر خسر فيها العرب كثيرا من فرسانهم ورجالهم وانقطعت عنهم المؤن التي كانت تأتيهم من جهة جبل شلير أو الثلج بسبب هبوط الثلج والأمطار[1] الأمر الذي اضطر بالأمير مُحَمَّد الحادي عشر بن أبي الحسن بن علي المعروف باسم أبو عبد الله بن علي ملك غرناطة الأخير بإرسال مندوبيه إلى الملك فرديناند للمفاوضة بهدف الحصول على شروط جيدة نظير تسليم المدينة وأسفرت المفاوضات عن عقد معاهدة بين الطرفين في 21محرم897هـ/251491م وتضمنت هذه المعاهدة شروطا عديدة تبلغ سبعة وستين حسب المصادر العربية أو ستة وخمسين شرطا حسب المصادر القشتالية.

أمَّا دخول الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا مدينة غرناطة فكان في ربيع الأول 897هـ /2 جانفي 1492م، فقد التقى أبو عبد الله بالملك فرديناند وسلمه مفتاح البابين الرئيسيين لقصور الحمراء قائلاً له: "إنهما مفتاحي هذه الجنة، وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في إسبانيا، وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا وهكذا قضى الله فكن في ظفرك رحيما وعادلا"[2] وقال له فرديناند "لا تشك في وعودنا ولا تعوزنك الثقة خلال المحنة، فسوف تعوض لك صداقتنا ما سلبه القدر منك" وأنزل بعد ذلك العلم العربي الغرناطي من فوق برج الحراسة الذي يتوسط مبنى القصبة القديمة في الحمراء باعتباره أكبر وأعلى أبراج الحمراء ليحل مكانه العلم الاسباني وبذلك فقد احتفلت بلاد النصرانية كلها بهذا الانجاز وأمرت البابوية بأن تقرع كنائس أوروبا كلها احتفالا بتلك المناسبة.

2.معاهدة التسليم:

وقد نصت معاهدة التسليم على أن يحتفظ للمسلمين في غرناطة وغيرها من مدن الأندلس بكل حقوقهم وأن تظل لهم مساجدهم وأن يقيم منهم من أراد تحت العدل لكن النصارى ما كادوا يستولون على غرناطة حتى نسوا ما عاهدوا عليه وكان أول ما فعلوه تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة ثم انطلقت سياسة اضطهاد المسلمين وإجبارهم على التنصر وهؤلاء عرفوا في المجتمع المسيحي باسم المورسكيين

[1] عبد الواحد طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة،ط1، بيروت:دار المدار الإسلامي، 2004، ص9

[2] مُحَمَّد بشير حسن العامري، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2014، ص238

(Losmoriscos) والمورسكي هي تصغير لكلمة موره ومعناها أفراد الشعب المسلم الذي بقي موجودا بإسبانيا يخضع لحكم الملكين الكاثوليكيين بعد سقوط غرناطة في أيديهما. لكن بنود هذه المعاهدة خرقت وأريد لهم أن يكونوا نصارى شاءوا أم أبوا وهذا باعتناق المسيحية قسرا لذلك لم يكن للكثير منهم خيار غير التنصير او الهجرة وهو الهدف الذي كان يصبو إليه حكام إسبانيا الجدد الذين خضعوا للكنيسة التي كانت تطالبهم دوما بإصدار قرارات مجحفة ضد المورسكيين والتي كانت غالبيتها تضيق عليهم في جميع مناحي الحياة نذكر منها على وجه التحديد:

1. منع المورسكيين من استخدام اللغة العربية واللباس العربي.
2. منح الذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية[1]
3. منع الزواج على الشريعة الإسلامية وإجبارهم على الزواج المسيحي.
4. إجبار المورسكيين على ترك أبواب المنازل مفتوحة ليسهل مراقبتهم.
5. منع تعليم الصغار للشعائر الإسلامية وإجبارهم على حضور القداس في الكنائس
6. منع القانون الغناء والرقص العربي واستعمال آلات الطرب العربية والتخصب بالحناء والاستحمام وهدم الحمامات.
7. منع المورسكيات من التحجب وأجبرهن على التزين بلباس النصرانيات كما حرم استعمال الأسماء العربية واقتناء العبيد[2].

كما حولت المساجد إلى كنائس ومنع الأذان والوضوء وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر أمام عامة الناس وعدم الختان وغيرها من الإجراءات التي كانت تطبق على مسلمي الأندلس.

كما تم اللجوء إلى كل أساليب فقد جوبهت ثوراتهم مثل ثورة البيازين سنة 905هـ/1499م وثورة الجبال عام907هـ/1501م وثورة الجبل الأحمر سنة 907هـ/1501م وتشريدهم واستخدمت محاكم التَّفتيش الاسبانية المشكلة بموجب مرسوم بابوي في عام 1478م . وقد بلغ برجال الكنيسة ورجال الحكم مداه وبعد مناقشات مستفيضة تقرر طرد المورسكيين من كل إسبانيا وتم ذلك بالفعل في الفترة من 1609-1614م.

[1] أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص177

[2] علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، ص76

3.أسباب السقوط:

أ.ضعف العقيدة: عندما دخل الوهن لقلوب الكثير من حكام دويلات الطوائف في الأندلس ضعفت العقيدة الإسلامية في النفوس والضمائر.

ب.دور الكنيسة: أخذت هذه الحروب صبغة دينية للدور البالغ وللمساهمة العظيمة للكنيسة في ذلك، فالباب ألكسندر السادس حث جميع البلاد المسيحية على وضع إمكانياتها البشرية والمالية تحت تصرف ملوك إسبانيا بهدف إبعاد خطر المسلمين حيث أصدر أمرا يقضي بدفع الضريبة الصليبية (Crusada) لتمويل حرب ضد المسلمين. واستخدام الغفران الصليبي الذي تطور ليصل إلى صكوك الغفران فقد تقيم الكنيسة نفسها واسطة بين العبد والله، فدفعت بالبابوات في استخدامه لتجنيد الجنود في الحملات الصليبية ضد المسلمين. وفي سياق الدعاية الصليبية ذكر البابا: "نحن نمنح الغفران لكل أولئك الذين لا يشاركون في الحملة شخصيا ولكنهم يرسلون المحاربين اللائقين على نفقتهم، حسب إمكاناتهم ونوعياتهم، ونمنحه أيضا للذين يقومون بهذا العمل على نفقة الآخرين..."[1].

ج.دور حرب الاسترداد (La reconquista): التي قامت بها الممالك المسيحية لمحاربة وإخراج مسلمي الأندلس.

د.تعصب المالكة إيزابيلا: أدت دوراً أساسياً في تحطيم بلاد الأندلس فقد نادت بضرورة الحرب ضد المسلمين.

هـ.الوحدة إسبانيا المسيحية عام 1474م: ساعد هذا الأمر الاسبان بتركيز جهودهم في محاربة المسلمين بالأندلس وإخراجهم من أخر معقل من معاقل الأندلس وهو غرناطة في 2جانفي 1492م.

و.التفكك السياسي وتعدد الإمارات وعداوة بعضها لبعض: بسقوط الخلافة الأموية سنة (42هـ) أخذت الأوضاع تدخل طور من الاضطرابات وتفكك الوحدة السياسية مما أدى إلى *انقسامها إلى* دويلات زعمت لنفسها الاستقلال والسلطة المطلقة عرفت بعصر ملوك الطوائف.

ز.المعاصي والترف.

ج.إهمال الجانب العسكري.

4.الآثار:

[1] حسن عيسى، تاريخ العرب: من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانيّة، د.م.ن: دار الاهلية للنشر والتوزيع، 2008، ص25

ورغم كل هذه المآسي التي مورست ضدهم والتنصير الذي فرض على الأغلبية منهم إلا أن الكنيسة ترى فيهم خطرا على الأمة الاسبانية لا يزول إلا بالقضاء عليهم نهائيا لهذا لجئوا إلى الطرد الذي كان الخيار النهائي وفي ظل الدوافع المحركة لمشروع الطرد: يستخدم المؤرخون مصطلح " "طرد "عند الحديث عن تنفيذ المرسوم الملكي الصادر عام (1018هـ/1609م) القاضي بـ." :..أن يخرج كل موريسكيي هذه المملكة، وأن يرحلوا إلى بلاد البربر"... ؛ فمصطلح "الطرد" يحمل معنى النفي والإخراج من الأرض، وإقامة المطرود في مكان بعيد عن أرضه[1]. فلم تكتف السلطات الاسبانية بعمليات المصادرة وفرض الغرامات، بل أصبحت ترى في طرد مسلمي إسبانيا أفضل حل لتحقيق المزيد من الثراء والحصول على موارد تذرعت بها باعتبار أن هذا القرار هو الكفيل بإنقاذها كما مثل مسلمو إسبانيا أقلية دينية تتمتع بنفوذ سياسي ضئيل، ولأنهم عموما كانوا فقراء عاجزين عن مد السلطات بالمال الذي كانت تطالبهم به المرة تلو الأخرى. وعللت السلطات الإسبانية بالأسباب التالية:

- تآمر الموريسكيين مع الإمبراطورية العثمانيّة بشمال إفريقية ضد التاج الاسباني.
- تكاثرهم الديمغرافي السريع الذي وضع البلاد في اختلال يصعب التحكم فيه مستقبلا.
- أن طردهم يمثل الوحدة السِّياسيَّة والدِّينيَّة لها.

ومنح الموريسكيين مهلة قليلة لا تتجاوز الثلاثة أيام لكي يتمكنوا من تصفية أملاكهم وبعدها يحق للسلطات الاسبانية تفعيل الإجراءات العقابية ضدهم بالتهجير القصري أو القتل لكل من يحاول المقاومة أو الاعتراض وما إن بدأ الترحيل حتى أخذ الأطفال من عوائلهم بهدف تنصريهم وهم صغارا انتقاما لفشلها في تنصير آبائهم من قبل، ثم قسمت العوائل إلى مجموعات صغيرة يسهل مراقبتها والتحكم فيها بعد أن تشتت عرى القرابة بينهم.

لقد كان المغرب العربي والأندلس تحت حكم دولة واحدة هي دولة الموحدين، التي تعد من أعظم الدول في تاريخ الإسلام لكن ما لبثت تلك الدولة أن بدأت في الانهيار بعد هزيمتها الثقيلة على يد الصليبيين في الأندلس في موقعة حصن العقاب الشهيرة (609هـ/1212م) التي انهزم فيها الجيش الموحدي فهي القشة التي قصمت ظهر البعير، فبعد انهيار دولة الموحدين(1130هـ/.1269م) يتفكك المغرب الإسلامي سياسيا إلى ثلاث دول نظرياً:

- بنو مرين الوطاسيين في المغرب الأقصى.

[1] خديجة دوبالي، مأساة طرد مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحاليل، مجلة عصور الجديدة، ع:23، أوت 1437هـ/2016م، ص106

- بنو زيان في المغرب الأوسط وعاصمتهم تلمسان.
- بنو حفص التي كانت قاعدة ملكهم مدينة تونس وتضم كلا من الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وإفريقية حتى إقليم طرابلس.

وتميزت علاقات هذه الإمارات بالتطاحن والنزاعات المستمرة إذ وجد الزيانيون في تلمسان أنفسهم بين أطماع الحفصيين في الشرق والمرينين من الغرب وكل منهما سعى للتوسع على حسابها.

ومن هذا المشهد السياسي نستخلص العناصر التالية:

ليس هناك دولة مركزية، قوية ومعترف بها في المغرب العربي.

غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين وتحقيقهم لمشاريع توسعية[1].

بروز البحارة الشرقيين والموريسكيين الذين اعتبروا قوة بحرية جديدة في الفضاء الجغراسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس عشر؛ وبعد نجاح حركة الاسترداد المسيحي في أوروبا بإسقاط دولة المسلمين في شبه الجزيرة الايبرية كمرحلة أولى، بدأ الاسبان بتطبيق المرحلة الثانية من مشروعهم وهي إقامة مملكة مسيحية تمتد من شبه جزيرة الايبرية مكتسحة الشمال الافريقي وصولاً إلى مملكة الحبشة المسيحية في القرن الإفريقي شرقاً.

5.دوافع الاحتلال: نذكر منها:

أ-الدافع الديني:

ساهمت الكنيسة الاسبانية بكل ما لديها من مال وحماس في محاربة المسلمين فبعد سقوط غرناطة بدأ فرديناند وإيزابيلا في إعداد مشروع لاحتلال المغرب الإسلامي لكن وفاة الملكة إيزابيلا سنة 1504م قد عطل من تحقيق المشروع، لكنها تركت وصية تدعو فيها إلى مواصلة هذا المشروع جاء فيها: " يجب أن لا نوقف غزو إفريقيا، ولا إنهاء الصراع ضد الكفار-المسلمين-وهذا كله من أجل العقيدة"[2].

ب-الدافع السياسي والعسكري:

تمثل في رغبة اسبانيا في تكوين إمبراطورية خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد لذلك عملت على احتلال سواحل المغرب الإسلامي لما لها من أهمية إستراتجية لقربها من شبه الجزيرة الايبرية بالسيطرة على

---

[1] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م، ص125

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائرية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1،الجزائر: دار الأمة، 2007، ص55

المرسى الكبير ووهران وهما أقرب الموانئ إلى إسبانيا سيمكنها من تأمين تجارتها في البحر الأبيض المتوسط وكذلك يضمن الأمن الدائم والمستمر لمضيق جبل طارق، وهو المنفذ الوحيد للبحر الأبيض المتوسط من الجهة الغربية،وكذلك إحكام السيطرة على مسار السفن المبحرة عبره.

يمثل في كثرة الهجومات الإسلامية على الشواطئ الاسبانية خصوصا بعد عمليات الطرد التي تعرض إليها مسلمي الأندلس فقرر المسلمون في بلاد المغرب نصرة أشقائهم في الأندلس والانتقام لهم هذا ما دفع بإسبانيا تصر على الاستحواذ على بلاد المغرب لإيقاف تلك الهجومات التي أضعفت الاقتصاد الاسباني وساهمت في تقهقر الأنشطة التجارية. وهذا ما ذكره الوزان عندما قال: "وكان أهل بجاية على قدر عظيم من الغنى، يسلّحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا"[1]. وهذا من جهته ما يؤكده حمدان خوجة: "كان الجزائريون يجهزون شفنا صغيرة تشبه سفن الإسبانيين، وكانوا يراقبون السواحل ويقومون بنوع من التجارة، وفي نفس الوقت يحتجزون السفن الاسبانية ويقودونها إلى مدينة الجزائر. ولا تدوم هذه الجولات البحرية، في العادة أكثر من خمسة أو ستة أيام. وعلى الرغم من أن قواد هذه السفن يجهلون فن الملاحة، كما سبق أنذكرنا، فإنهم يعرفون أن الساحل الاسباني في الشمال والساحل الافريقي في الجنوب، وكانت قمم الجبال هي بوصلتهم التي تقودهم وتساعدهم على بلوغ الهدف"[2].

ج-الدافع الاقتصادي:

الرغبة في الهيمنة على طرق التجارة البحرية المزدهرة في البحر المتوسط، عبر امتلاك موانيء وأسواق جديدة يستطيعون منها احتكار تجارة المعادن النفيسة والتوابل التي ترد من طريق القوافل من مناطق الدواخل جنوب الصحراء، والسيطرة على المراكز التجارية والمناطق التي تتميز بغنى إقليمها بالثروات الحيوانية والمحاصيل الزراعية[3].

كانت خطة إسبانيا بعد-سقوط مملكة غرناطةعام1492-قائمة على غزو سواحل شمال إفريقيا وتصفية النفوذ الإسلامي نهائيا من شبه الجزيرة الايبرية وقد أسفر هذا الانتصار الذي حققه الملكان

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي(ليون الافريقي)، وصف إفريقيا، ج2، ط2، تر: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص50

[2] حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: مُحَمَّد العربي الزبيري، الجزائر: منشورات ANEP ، 2005، ص79

[3] عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ج1، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص16

المسيحيان ضد المسلمين إلى انتعاش الروح الصليبية من جديد، وتعقب الأندلسيين الذين التجأوا إلى موانئ شمال إفريقيا.

وبهذه الدوافع عقدت سنة 1494م اتفاقية بين البرتغال وإسبانيا لتقسيم مناطق النفوذ بينهما وعرفت بـ اتفاقية توردي سلاس (tordesillas) تم بموجبها تقسيم المستعمرات بحيث كانت الأقاليم الشرقية من نصيب البرتغال والغربية من نصيب إسبانيا أما بالنسبة لشمال إفريقيا فقد أضيفت لها اتفاقية أخرى سنة 1509 عرفت بمعاهدة فيلا فرنكا تم بمقتضاها جعل المستعمرات الإسبانية في الشرق (الجزائر، تونس، طرابلس) والمستعمرات البرتغالية في المغرب أي في المغرب.

وبعد تحديد مناطق النفوذ احتلت البرتغال مدينة ماسا في 1497 ثم موقع مازكان سنة 1502م وأغادير سنة 1505م وموركادو في 1506 وآسفي 1508 وآزمور سنة 1513م وتطلعوا في سنة 1515م لاحتلال مدينة مراكش لكن حملتهم باءت بالفشل، أما بالنسبة لأول نقطة احتلها الاسبان على الساحل المغاربي مدينة مليلة عام1497 أما ميناء المرسى الكبير[1].

والجدير بالذكر أن الملكة إيزابيلا كلفت اثنين من أتباعها بمهمة استطلاعية سرية في مملكة تلمسان تمهيدا لاحتلالها فتنكر المبعوثان في زي التجار وأمضيا سنة في مملكة تلمسان حيث حصلا على كل المعلومات اللازمة لمشروع الغزو الذي كان يجري الإعداد له كما استعان الكاردينال خمينس بأحد العارفين بالساحل الجزائري من جمهورية البندقية وبناء على المعلومات المتوفرة قررت الملكة مهاجمة تلمسان فجهزت قوة كبيرة بقيادة حاكم غرناطة الذي جهز للحملة إلا أن موت الملكة سنة 1504 أخر الحملة التي كانت حلم حياتها لكنها لم تهمل أن تطالب في وصيتها بعدم التوقف عن فتح إفريقيا[2] وبذلك فقد تم احتلال المرسى الكبير سنة 1505م ثم بدأ نطاق العمليات الإسبانية يتسع منذ 1508م حين تولى قيادة الأساطيل الملكية بدرو نافارو (Pedro Navarro) الذي تمكن من احتلال وهران 1809م ثم استولى على بجاية 1510م[3] ومدينة عنابة فقد احتلها بدرو نفارو عنوة أثناء طريقه إلى تونس وترك بها

---

[1] للإشارة فإن البرتغال كانت السباقة لاحتلال المرسى الكبير فقد جهزت حملة عسكرية سنة 1501 مشكلة من ثلاثين سفينة تحمل 3000جندي أقلعت في 15 جوان غير أن سوء الأحوال الجوية أجبرت القوات على الرسو داخل الخليج لمدة ثلاثة أيام مما مكن السكان من اكتشاف أمرها فأعلنوا حالة الاستنفار واستنجدوا بإخوانهم من المناطق المجاورة لصد العدوان البرتغالي على المنطقة فتمكنوا من هزم القوات البرتغالية وإنقاذ المدينة من الاحتلال.

[2] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص112-113

[3]Moulay Belhamissi, Marine et Marins d'Alger 1518-1830 ،T1, LES NAVIRES ET LES HOMMES, Algeria Bibliothèque nationale d'Algéri, 1996, P15

حامية عسكرية ثم واصل طريقه نحو تونس ومنها إلى طرابلس الّتي احتلها رغم شدة المقاومة في جويلية 1510م.

أمّا مدينة الجزائر فقد توجه حاكمها سالم التومي إلى بجاية ووافق على تسليم الاسبان أحد الجزر[1] والتي بنوا عليها حصن ويدعى ببنيون الجزائر (penon de Alger)[2] كما التزم بدفع ضريبة الولاء، وفي بعض الروايات بأن بدرو نافارو اشترط عليه الذهاب لإسبانيا لإعلان تنفيذ شروط المعاهدة أمام الملك. ثم أعلنت مدينتا دلس ومستغانم ولاءهما والتزمتا بدفع الضريبة إلى إسبانيا عام 1511م وبهذا أثبتوا الزيانيين عجزهم في حماية هذه الموانئ نتيجة للتفكك السياسي الذي حل بدولتهم وللثورات الداخلية التي تشب ضدهم كرد فعل على كثرة الضرائب التي فرضوها في تلك الفترة على الأهالي بحجة الغزو الخارجي. وعليه اضطرت السّلطات الزيانية إلى عقد صلح مع إسبانيا سنة 1512م اعترفت فيه باستيلاء على عدة موانئ في غرب الجزائر . وتزامن إنشاء الاسبان للمراكز في شمال "إفريقيا ظهور مجموعة من المغامرين الشرقيين[3] في وسط غرب البحر الأبيض المتوسط وهم إخوة عروج[4].

---

[1] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2007، ص35

[2] Boutin, Vincent-Yves (1772-1815). Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger, à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique avec plans, vues et costumes, typographie de J. Pinard, imprimeur du roi, Paris, 1830,P17.

للمزيد ينظر:

- BERBRUGGER(A) :le Penon d’Alger ou les Origines de la Régence d’ Alger, Paris challamel,LIBRAIRE. Commissionnaire pour l’Algérie et l’Orient, Alger, 1860.

[3] جون.ب.وولف، الجزائر وأوربا1500-1830، طبعة خاصة، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2015، ص27

[4] يقال أنَّ اسمه الحقيقي هو أروج وهو تركي معناه رمضان لأن الأتراك كانوا يسمون أبناءهم ببعض شهور السنة الهجرية مثل رجب وشعبان ورمضان ولا يتلفظ الأتراك بحرف العين. للمزيد ينظر:عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر: د.م.ن، د،س، ص38

الدّرس الثاني: دور الإخوة بربروس في سواحل شمال إفريقيا

1.أصل الإخوة: ظهر الإخوة عروج وخير الدين المعروفان بـ بربروسة (Barberousse) في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وقد تعددت الروايات حول أصل الإخوة ذوي اللحية الشقراء[1]، إلاّ أن الأكثر تداولاً هو أنّ والدهم يعقوب كان من بقايا الجيش العثماني الذي فتح بلاد اليونان ومن العناصر الإسلامية ووالدتهم كانت من أصل أندلسي[2] وهناك من يورد بأنها ابنة قسيس الأرثودكسي يوناني فنشأ أولاده الذكور على الإسلام أما بناته فنشأن على المسيحية[3] وكان عدد الإخوة الذكور أربعة وهم: إسحاق، عروج، خير الدين (خسرف، الخضر) ومُحَمَّد إلياس.

وكان والدهم يعقوب بن يوسف يمتهن صناعة الخزف الفجارجي في جزيرة ميدلي أما الإخوة فقد فضلوا ركوب البحر إلا أن الأخ الأخير فضل طريق العلم، حيث نجد اختلاف عن مسار الإخوة في ركوب البحر الذي كان محفوفاً بالمخاطر وخاصة السقوط في أيدي الأعداء وهذا ما وقع لعروج الذي أسره فرسان القديس يوحنا مدة سنتين فذاق خلالهما مرارة الأسر وقسوة العمل في التجديف وبعد نجاته من الأسر عن طريق الفرار دخل في خدمة الأمير العثماني قرقود أو قرقط غير أن بعد هزيمة هذا الأخير في صراعه مع أخيه سليم هرب الإخوة غرباً. إلى جانب آخر نجد رواية أخرى تذكر بأن خير الدين وعروج كان يبيعان الفخار لأبيهما في الجزائر بواسطة بعض المراكب وفي إحدى المرات وقع عروج أسيرا وبيع عبدا لشخصين بجزيرة رودس وفي أثناء توجهه إلى مصر كمجدف في سفينة تحمل أسرى مسلمين جرى افتداؤهم بالمال، فاغتنم فرصة حدوث زوبعة بحرية ففر من المركب وانتهى به المطاف إلى أضاليا بإمارة (قرمان) حيث تعرف على شخص يدعى علي بوراس استرقه وصاحبه معه إلى مصر وكلفه بقيادة مركب بحري يحمل الأخشاب لصنع السفن، ولسوء الحظ اعترضه بعض قراصنة جنوة الايطاليين وأحرقوا له سفينته فعاد إلى أضاليا وتعرف بالأمير قرقود شقيق السلطان سليم فأكرم مثواه لما لاحظه عليه من سمات البطولة والنخوة وجهز له سفينة للجهاد في البحر المتوسط الشرقي ضد القراصنة المسحيين.

---

[1] عائشة غطاس وآخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، الأبيار: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007، ص19

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010، ص142

[3] صالح عبّاد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر: دار هومه، 2012، ص43

وساقته الظروف إلى جزيرة جربة جنوب شرق تونس حوالي عام 1504 فاستقر بها ولحق به أخواه خير الدين وإسحاق.

2.دور الإخوة بربروسة:

استقر بهم المقام في تونس عام 1504م واتفاقا مع السلطان الحفصي مُحَّد بن الحسن (1494-1526م) على منحهما جزيرة جربة التونسية ليتخذا منها قاعدة لأسطولهما ويفتح كل الموانئ التونسية لهما عند الضرورة مقابل خمس الغنائم التي يغتنمونها في البحر.

ولما كانت جربة بعيدة عن ميدان الجهاد الحقيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط كثرت هجمات الاسبان على السواحل الإفريقية فقد اتفقوا مع الأمير الحفصي على نقل قاعدة أسطولهم إلى حلق الوادي في أقصى شمال شرق تونس في نفس العام تقريبا[1]. ونجحوا في تكوين أسطولهم الذي يضم 12 سفينة و1000رجل.

3.اتصال أعيان الجزائر بالإخورة بربروس في تحرير مدينة بجاية من الاسبان:

وقد حصلوا على السمعة العظيمة بعد أن ذاع صيتهما بسبب نقل عدد كبير من الأندلسيين إلى سواحل شمال إفريقيا وقيام بعدة حملات بحرية على السواحل الإسبانية. مما دفع أهالي بجاية سنة 1512م توجه إلى عروج ومطلبهم بتقديم مساعداتهم على طرد الاسبان واستعادة مدينتهم المحتلة ولعله يعد أوّل اتصال لعروج بأهالي الجزائر.

ولبى الإخوة النداء وتوجهوا على رأس جيش صغير لمحاصرة المدينة وبعد حصار قصير أرغم الإخوة على التراجع والعودة إلى تونس وكانت نتائج هذه المحاولة أليمة بالنسبة لعروج الذي فقد أثناءها ذراعه.

ورغم هذه الهزيمة فقد أدرك عروج أنّ محاصرة بجاية وهو بقاعدته البعيدة أمر صعب فقرر الانتقال إلى جيجل وكانت محتلة من طرف تجار جينوة الايطاليين والذي يعود استقرارهم إلى 1260 واستطاع بمساعدة سكانها تحريرها واتخذها قاعدة لنشاط أسطوله بحري وكان ذلك عام 1514م.

وبعد فشلهم في الحصار الأول استأنف الإخوة النشاط البحري ورأوا أنّه من الأجدر إبلاغ السلطان العثماني بما يحصل ببلاد المغرب عن طريق الجغرافي بيري رئيس الذي كان ينشط في سبيل مساعدة الأندلسيين فبعثوا إلى السلطان بهدية مرفقة برسالة عرضوا فيها أوضاع بلاد المغرب كما أعلموه بالصعوبات التي تعترضهم من أجل إنقاذ مسلمين الأندلس فرحب السلطان بذلك وزودهم بالعدة

[1] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص11

والعتاد وبهذا فقد أعاد عروج هجمته على الإسبان سنة 1514م وحاصرها ما يقرب ثلاثة شهور دون جدوى واضطر إلى رفع الحصار وكرر المحاولة في ربيع العام الموالي 1515م فقرر محاصرة المدينة براً وبحراً ويبدو أن المحاولة كادت أن تنجح لولا تخاذل السلطان الحفصي الذي امتنع عن مدهم يد المساعدة وممّا زاد الأمر تعقيداً استشهاد أخوه مُحَمَّد إلياس.

4.انتقال الاخوة بربروس إلى الجزائر: وفي عام 1516م استنجد به مدينة سكان الجزائر بواسطة شيخهم سالم التومي إلى جيجل وطلبوا من الإخوة بمساعدتهم ولذلك توجه عروج إلى مدينة الجزائر براً بينما قاد خير الدين أسطوله البحري لتكون نقطة الالتقاء بمدينة الجزائر. وهذا بعد أن رأوا سكان مدينة الجزائر أن الفرصة مواتية لإلغاء العمل بالمعاهدة والتخلص من شروطها المهينة ومن الحصن الذي كان على حد تشخيص صاحب الغزوات كالشوكة المغروسة في قلوبهم[1] وهذا بعد وفاة ملك إسبانيا فرديناند الكاثولكي بتاريخ 23جانفي1516م عن عمر ناهز62سنة[2].

وقد استقبل عروج في مدينة الجزائر بحفاوة بالغة وأسكنه سالم التومي قصره إلا أنه بعد 20يوما من القصف لم يتمكن من تخريب قلعة البينون(PENON) التي تحصن بها الإسبان.

وقد أثار طموح عروج مخاوف سالم التومي شيخ مدينة الجزائر الذي شعر بأن زمام الأمور أفلت من يده وأنه لم يعد له أي شأن فسعى لإحاكة الدسائس عن طريق الإستعانة بالاسبان لطرد الإخوة فتفطن عروج لذلك فقتله غيلة في أحد الحمامات[3]، ونجد رواية أخرى بأنّ زوج ابنته سالم التومي قدم طعاماً مسموماً لعروج رفقة مجموعة من أتباعه لكن عروج تفطن للمؤمراة وقبض على سالم التومي واغتاله في منزله.

وهذا الأمر أثار أيضا مخاوف الاسبان فقررت أن تسند الحملة العسكرية بقيادة ديغو دو فيرا وكانوا يعتمدون على خيانة أطراف محلية منها أنصار سالم التومي حيث استنجد ابنه بالاسبان بعد مقل أبيه وعلى إعانة شيخ تنس الذي كان على اتصال بحاكم وهران. وقد نزلوا بناحية باب الواد فتمكن من رد الغارة وحدثت زوبعة بحرية حطمت معظم سفن الاسبان عندئذ طلب قائدها بالعودة إلا أن عروج هاجم الجيش الاسباني وألحق به هزيمة نكرا تكبد خلالها خسائر قدرت بـ3000قتيل و800 أسير وأكد هذا الانتصار نفوذ عروج بالمدينة وبعد أن وطد مركزه في مدينة الجزائر أخذ يبسط نفوذه على المناطق المجاورة.

---

[1] علي تابليت، بحوث في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر: ثالة، 2013، ص 15

[2] F.Diogo de Haëdo, Histoire des rois d'Alger, Traduit :H.-D. De Grammont, Alger, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur- Librairie, 1881,P16

[3] الحسن الوزان(ليون الافريقي)، المصدر السابق، ص39

5.استكمال تثبيت دعائم الاستقرار في تلمسان ووفاة عروج: قسم عرّوج مملكته الجديدة إلى قسمين قسم شرقي مركزه دلس يشرف عليه أخوه خير الدين وقسم غربي مركزه الجزائر يحكمه بنفسه[1]، بينما كان عروج في تنس ينظم أمورها حضر إليه وفد من أعيان مدينة تلمسان ليشكوا له أوضاع بلادهم وتهديد الاسبان باحتلالها بسبب اختلاف أمراء بني زيان على العرش والسلطة إذ زج السلطان أبو حمو الثالث-الذي أعلن ولائه للاسبان منذ1511م- بابن أخيه أبو زيان في السجن وبذلك لبى عروج رغبتهم واتجه إلى تلمسان ومر على قلعة بني راشد فترك بها حامية عسكرية بقيادة أخيه إسحاق لحفظ خط رجعته، وقد حاول أبي حمو بمنعه من دخول تلمسان فالتقى الجيشان بسهل سيدي بلعباس وهزم أبو حمو الذي نذا بالفرار إلى وهران حيث احتمى بالإسبان.

ودخل المدينة وأخرج أبي زيان وأجلس على عرشه من جديد ولكن هذا السلطان سرعان ما تأمر على عروج وحاول اغتياله أو يطرده من البلاد ممّا دفع عروج إلى القبض عليه واغتيال أبو زيان وعدد هام من أفراد عائلته واستولى عروج على القلعة المشور وخرجت القوات اسبانية المتحالفة مع أبي حمو الثالث وأنصاره فقد ساروا أولا إلى قلعة بني راشد وضربت عليها حصارا وتمكنوا في النهاية من القضاء على من فيها فقتل إسحاق عندما حاول الخروج منها هو وجنوده وبذلك واصلت زحفها على مدينة تلمسان وحاصرتها مدة ستة أشهر فاضطر عروج إلى الخروج منها بعد أن قلت ذخيرته وتناقص عدد رجاله فقرر عندئذ اختراق الحصار ليلا لكنهم تمكنوا من قتله بالواد المالح بنواحي عين تموشنت وعن مقتل عروج يقول خير الدين في مذكراته:" دخل أخي في معركة مع الاسبان قتل أخي تقريا مائة اسباني قبل أن يسقط شهيدا ثم قطعوا رأسه المبارك وبعثوا به إلى الملك كارلوس"[2]، وبوفاته تفقد الجزائر أحد الأبطال.

وبذلك وجد خير الدين نفسه بعد مقتل أخيه في موقف حرج للغاية فقد أدرك في الحال ضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي إلى جانب أن الأعداء يتربصون به من كل جانب، وهذا ما دفع به للقول مع أعيان مدينة الجزائر :"...أنا بقيت في بلادكم منفردا غريبا لا ناصر لي ولا معين، وقد رأيتم ما وقع من سلطان تلمسان وما أجلب به علينا من النصارى...".

وهذا ما دفع بأعيان مدينة الجزائر توجيه رسالة إلى السلطان سليم الأول يناشدونه بالحماية والانضمام إلى الدولة العثمانيّة.

---

[1] حنيفي هلايلي، الندوة العلمية الأولى لفرقة بحث بعنوان: "تاريخ الجزائر العثماني-الأعلام والمصادر" حول المجتمع والدولة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران-أحمد بن بلة، 28أبريل 2016، ص7

[2] مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر: مُحَمَّد دراج، ط1، الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 1431هـ-2010م، ص92

الدّرس الثالث: انضمام الجزائر للدولة العثمانيّة:

1.قرار خير الدين في مغادرة الجزائر: لما علم خير الدين نبأ استشهاد أخيه عروج، فوجد نفسه في موقف أكثر صعوبه فقد كان يعلم بعدم مقدرته للأخطار التي تهدده من كل جانب في الداخل والخارج ففي الداخل كثر المعارضون ضده وتمرد عليه أحمد القاضي في جبل كوكو، وتمردت شرشال وتنس،وتوطأ بنو زيان مع الاسبان، وتقاعس أمير تونس الحفصي عن تزويده بالمساعدة، بل عزم على إخضاعه لسلطته واتضحت سوء نيته عندما رفض مد الذخيرة الحربية لعروج أثناء الحصار الثالث الذي فرضه على بجاية عام 1515م. وفي الخارج كانت أخطار عدم استطاعته التصدي للخطر الاسباني لأنّهم سيكررون الحملات على السواحل الجزائر من جديد.

وهكذا، فإنّه عندما فرغ من تحصين المدينة دعا علماء الجزائر وأعيانها إلى اجتماع عام، ذكرهم فيه أنّه قد تمكن من حمايتهم من الإسبان، وأنّه قد حصن المدينة بشكل يمكّنهم من الدفاع عنها دون الحاجة إليه[1]. ولذلك فإن مهمته في الجزائر تكون قد انتهت، وعليهم أن يختاروا واحدا منهم يجعلوه أميراً عليهم أمّا هو فقد قرر أن يمضي للجهاد في مكان آخر. فناشده العلماء قائلين: "بأنّه يتعيّن عليه البقاء في المدينة للدفاع عنها وأنه لا رخصة له في ترك الأهلي عرضة للعدو الكافر، وإذا كان يريد الأجر بالجهاد في بلاد الروم، فإن هناك الكثير ممن يقوم به غيره، والمصلحة التامة تقضي ببقائه في مدينة الجزائر وضواحيها".

فلما أكثروا عليه ذكّرهم بما وقع له بقوله: "...بأنه بقي منفرداً دون إخوته (الذين استشهدوا جميعا فوق أرض الجزائر) وقد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان، واستعانته علينا بغير ملتنا حتى كفانا الله أمره، وصاحب تونس الحفصي لا رأي لع في نصرتنا وإعانتنا، وأسلمنا للعدو بمنع البارود عنا (أثناء حملة بجاية) لولا لطف الله..."ولذلك أشار عليهم بأنهم إذا أردوا حماية بلدهم فعليهم أن يعلنوا تبعيتهم للسلطان العثماني، فهو الوحيد القادر على مساندتهم بالمال والرجال وجميع ما يحتاجونه من عتاد، ولا يكون ذلك إلا بالدعاء له في الخطبة، وضرب السكة باسمه، وأشار عليهم أن يكتبوا للسلطان بذلك، فاستحسن أعيان الجزائر ذلك، وكتبوا رسالة باسمهم إلى السلطان، ثم جهز أربعة سفن وجعل على رأسها الشيخ الفقيه أحمد ابن القاضي.

---

[1] علي مُحَمَّد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى،ط1، بيروت: دار المعرفة، 2017، ص154

2.اتصال أعيان الجزائر بالدولة العثمانيّة: وجه أعيان مدينة الجزائر بقيادة أبو العباس أحمد بن القاضي رسالة إلى السلطان سليم الأوّل ويناشدونه فيها الحماية والانضمام إلى الدولة العثمانيّة وفي المقابل يعلن له خير الدين الولاء والطاعة[1] وتعتبر هذه الرسالة أول وثيقة في تاريخ العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانيّة وقد جاء في الرسالة ما يلي "ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي إلا أن عرفنا البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه أن لا يرحل خوفا من الكفار لأن هدفهم هو النيل منا ونحن على غاية من الضعف والبلاء ولهذا أرسلن إلى بابكم العالي المدرس سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد خدام أعنابكم العالية وأهالي إقليم أحمد بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي"، كما كتب خير الدين كتاباً مماثلاً. فقد طلب منه الحماية بالمقابل أن يكون تابعا له وفي طاعته ويقدم الولاء له[2].

وعندما وصلت السفارة إلى استانبول في 1518م استقبلهم السلطان واحتفى بهم وقبِل عرض أهالي الجزائر ثم أرسل له 2000من قوات سلاح المدفعية(طوبجرلر) و4000 من المتطوعين والانكشارية والخدمة تحت رايتهم[3]، وجاء معهم كثير من المهاجرين الأتراك، كما أعطى السلطان للجنود الذين يذهبون إلى الجزائر نفس امتيازات الانكشارية تشجيعاً لهم على التطوع للجهاد فيها، أما بالنسبة لخير الدين فقد أرسل السلطان إليه السيف، والخلعة السلطانية، والسنجق وفرماناً يقضي فيه بتعيينه بيلرباي على الجزائر[4] وبذلك فقد حظي بمكانة مرموقة وبسند عسكري ومالي من شأنه أن يعينه على تحقيق مطامحه الكبرى[5].

في الحقيقة كان إعلان خير الدين ومعه أهالي الجزائر تبعيتهم الطوعية للدولة العثمانيّة مبعث سرور كبير للسطان سليم، الذي كان يطمح إلى أن يمد نفوذ الدولة العثمانيّة إلى المحيط الأطلسي، فقد نقل أحمد جودت باشا عن بعض كتمة سر السلطان قوله: "...إن البحر المتوسط هو عبارة عن خليج واحد يمتد إلى بوغاز سبتة، فكيف يليق أن تجتمع فيه مدن مختلفة، ثم إنّهم لا يكونون تحت حكم الدولة العلية، فعدم الاجتهاد في بلوغ هذه الغاية هو في قصور الهمة المزري بشأن الدولة. إني آليت على نفسي

---

[1]Grammont, H.D de. Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830, Leroux, 1887, P30
[2]H.D. De Grammont , op.cit ,p 30.
[3] Cat Edward, Petite histoire de l'Algérie Tunisie-Maroc, Adolph Jourdan, Alger, T1, 1888, p243

[4] علي مُحَمَّد الصلابي، كفاح ...المرجع السابق، ص 155

[5] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس–الجزائر–المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج2، تع: مُحَمَّد مزالي، البشير بن سلامة، د.م.ن: الدار التونسية للنشر، 1983، ص329

وعاهدتها إن مد الله في عمري إني أحرمها الراحة والسكون ما لم أنشئ الأساطيل الكافية لنيل المرغوب وأستولي على ثغور البحر المتوسط". بل تذكر بعض المصادر أن السلطان كان يعتزم السير بنفسه إلى المغرب، ولكن الأجل لم يمهله.

وهكذا أثبت خير الدين بقرار ضم الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانيّة عبقريته السياسية بعدما أثبت عبقريته العسكرية في معاركه التي خاضها ضد الممالك الأوروبية عامة وإسبانيا خاصة، وبهذا القرار الحكيم لم يحظ بتأييد الأهالي فحسب، بل حاز على تأييد السلطان نفسه حيث لم يتردد في تقديم دعمه غير المشروط لخير الدين فور وصول الوفد إلى إستانبول.

3.النتائج المترتبة عن انضمام الجزائر للدولة العثمانيّة: وقد ترتب على القرارات التي أصدرها السلطان سليم الأوّل عدة نتائج هامة كان من بينها:

دخول الجزائر رسميّا تحت حكم الدولة العثمانيّة اعتبارا من عام 1519م ودعي للسلطان سليم على المنابر في المساجد وضربت العملة باسمه.

إنَّ إرسال القوات العثمانيّة جاء نتيجة استغاثة أهل بلدة الجزائر بالدولة العثمانيّة واستجابة لرغبتهم، فلم يكن دخول القوات العثمانيّة غزواً أو فتحاً عسكرياً ضد رغبة أهل البلد.

وبذلك كان إقليم الجزائر كان أوّل إقليم من أقاليم شمال إفريقيا يدخل تحت سيادة الدولة العثمانيّة وأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدولة العثمانيّة في البحر المتوسط[1]، وهو ما مهد لربح قاعدة متقدمة لمراقبة التحركات الإسبانية [2]كما جعلت الدولة العثمانيّة من الجزائر ولاية ذات وضع خاص، ذلك لأنّ طبيعة موقعها وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر المتوسط، كما كان من أثر انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانيّة أن أهالي طرابلس الغرب عندما رأوا الدعم المادي والمعنوي الذي حظي به أهالي الجزائر نتيجة لانضمام بلادهم إلى الدولة العثمانيّة، أن بعثوا في سنة1519م وفداً عنهم يعرضون فيه تبعيتهم للسلطنة العثمانيّة، وذلك بغية تخليصهم من الاحتلال الإسباني فاستجاب لهم السلطان العثماني، وعين لهم والياً يدعى مراد آغا لمعرفته باللغة العربية[3].

---

[1] علي مُحَمَّد الصلابي، الدولة العثمانيّة: عوامل النهوض وأسباب السقوط،ج1، بيروت: مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص298

[2] مُحَمَّد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي(1119-1206هـ/1708-1792م)، ط1، الجزائر: بيت الحكمة، 2015، ص63

[3] مُحَمَّد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512-1543)، ط3، الجزائر: شركة الأصالة للنشر، 2015، ص266

الدّرس الرابع: التنيظم السياسي للجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)

1.الخلفية التاريخية عن مسار الحكم في الجزائر وإبان العهد العثماني:

إنَّ طبيعة الحكم في الجزائر قبل الإسلام كان نظاماً عشائرياً تميز بالجمود والتسلط على مستوى العائلة والقبيلة، أمّا على المستوى المركزي فقد اتسم بالمرونة حيث شكلت القبائل والمدن شبه اتحاد فيدرالي تحت سلطة ملك يفرض نفسه بالقوة أو بالذكاء، غير أنّ ارتباط القبيلة برئيسها جعل الملك لا يستطيع اتخاذ قرارات هامة دون استشارة أو موافقة رؤساء القبائل.

وقد عمل الرومان بعد استيلائهم على الجزائر، على تقسيم المملكة إلى مقاطعات ونصبوا على رأس كل منها رئيس قبيلة يتمتع بالسلطة المطلقة، حتى أدى إلى القضاء على النظام الواحد الذي كان معتمداً من جهة، وتحطيم وإزالة العلاقات الاجتماعية والسياسية التي كانت بين القبائل في ظل المملكة من جهة أخرى، وهو ما مكن الرومان من السيطرة وإقامة نظام تميزي طيلة أربعة قروناً تقريباً (42-429م).

أمّا في ظل الإسلام فإن الجزائر عرفت نماذج متقاربة في الحكم أشهرها حكم الرّستميين (160-296هـ/777-909م) والحماديين (408-547هـ/1017-1152م) والمرابطيين (448-542هـ/1056-1146م) وأخيراً الموحدين(534-633هـ/1139-1235م) الذي تمكنوا من توحيد بلاد المغرب العربي تحت إمارتهم إلى أنَّ ضعفت بسبب الضعف الّذي بدأ على طريقة حكمهم وتسيير شؤون الأمة، فانقسمت الإمارة إلى ثلاثة مناطق تعرف الآن باسم المغرب، والجزائر، وتونس، التي كانت محل اعتداءات متكررة من قبل الاسبان الذين استطاعوا على إثرها من احتلال بعض المناطق الشمالية الساحلية، واستمر النفوذ الاسباني يتزايد وعجزت الإمارات الإسلامية القائمة في المنطقة عن محاربته وكان للإخوة بربروسة دور في التصدي للحملات الاسبانية وكانت هناك عدة عوامل للترابط بين الجزائر والعثمانيّين أهمها روابط العقيدة الإسلامية والجهاد في سبيل الله والتصدي للاعتداءات الصليبية على الأراضي الجزائريَّة. وعلى إثر هذا الانضواء للجزائر تحت مظلة الخلافة العثمانيّة والذي دام ثلاثة قرون(1519-1830م) عرف أربع مراحل أساسية حيث كل مرحلة لها تنظيماً إدارياً خاصاً بها:

أ.مرحلة البايلربايات[1](1519-1587م): يعاصر عهدهم فترة السلاطين العظام وعصر القوة

[1] والبايلرباي باللغة التركية هو أمير الأمراء باللغة العربية وهو لقب يمنحه سلطان الدولة العثمانيّة لأمير مع كسوة شرف وتعظيم تسمى قفطان. ينظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي، الجزائر: دار الحضارة، 2006، ص76

العثمانيّة، والملاحظ خلال هذه الفترة توطيد الحكم العثماني في الجزائر ووضع أسسه التي سوف يرتكز عليها طوال التواجد التركي في الجزائر وكان هؤلاء البايلربابات بمثابة ملوك مستقلين رغم اعترافهم بسيادة السلطان العثماني، إذ كانوا يمارسون سلطتهم بأنفسهم أو بواسطة خلفاء لهم يعينوهم في حالة انشغالهم عن إيالة الجزائر[1].

وقد تميز عهدهم بازدياد التدخل الاسباني وتكثيف الغارات البحرية على مدينة الجزائر إلاّ جمعيها باءت بالفشل، كما تميز عهدهم بالوقوف في وجه تدخل ملوك المغرب السعديين في الجزائر والانتصار عليهم في كثير من المواقع، والعمل على بسط السيادة العثمانيّة داخل الأراضي الجزائرية وكان البايلربايات من كبار رجال البحر الذين يعود الفضل إليهم في تنظيم القوة البحرية العثمانيّة. وفي التفوق البحري العثماني في المنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط والإشراف على إخضاع باقي شمال إفريقيا للسلطة العثمانيّة وظلت مسؤوليتهم تنحصر في توجيه الحكم في طرابلس وتونس حتى نهاية عصر البايلربايات سنة1857م.

ب.مرحلة الباشوات(1587–1659م): وخلال هذه المرحلة استمر الحكم مركزياً مع تواصل التصدي للحملات الأوروبية إلى جانب الصراع الداخلي على الحكم وأدى ذلك إلى التأثير على السلطة في التفكير بإقامة تنظيم إداري محكم.

ج.مرحلة الآغوات(1659–1971م): تميز هذا النظام بالطابع العسكري وكان نظام الإدارة في هذه الفترة مضطرباً وعمت الفوضى والعنف، بالرغم من المحاولات لإيجاد نوع من الشورى داخل الطبقة العسكرية الحاكمة.

د.مرحلة الدايات(1671–1830م): وهي المرحلة التي تأكد فيها الوجود الحقيقي للحكم العثماني في البلاد، نظراً لما سادها من استقرار وتنظيم إداري ومركزي ومحلي.

وكان الداي يختار من الوجاق من بين ثلاثة موظفين ساميين، هم الخزناجي وآغا العرب وخوجة الخيل وفي الوثائق الإدارية كان اسمه يرادف كلمة سيدنا أو أفندي ويدعى عند الخطاب بسلطان الجزائر، ومنذ عهد علي شاوش (1710–1717م) أعطى الدايات رتبة الباشا ذي الثلاث شرطات في الجيش العثماني. ومما تجدر ملاحظته أن مباشرة الدايات لمهامهم الإدارية والمالية، كانت تتأثر بسلوكهم، وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز بين صنفين: الصنف الأوّل زاهد في متاع الدنيا متصرف إلى الأعمال الخيرية

[1] حنيفي هلايلي، أوراق ...المرجع السابق، ص130

مثل الداي بابا مُحَمَّد عثمان(1766-1791م) الذي أنفق ثروته في تشييد المسجد المقابل لقصره، وبناء القلاع والحصون لحماية مرسى الجزائر.

أمّا الصنف الثاني فعرف بالإسراف والتبذير كالداي مُحَمَّد بن بكير باشا(1748-1754م) الذي أنفق كل ما في الخزينة على رفاهية أولاده وزوجته وترك الخزينة فارغة أو تكاد كما عرفوا بعدم المقدرة على تسيير أعمال الدولة، لأنّه توصل إلى منصبه بفضل تمرد الجيش المطالب بزيادة الأجور والهدايا، وكان هؤلاء الدايات يباشرون مهناً غير ملائمة كمهنة الفحامين أو الإسكافيين أو الكناسين. ومثال على هذا الصنف الداي علي الغسال الذي قيل بأنّه كان يشتغل بغسل الأموات قبل سنة 1808م[1] والداي مُحَمَّد عثمان كانت مهنته إسكافياً في بادئ الأمر، ليرتقي بالتدريج في الوظائف الإدارية ليصبح خزناجي ثم دايا فقد قال عن وصوله إلى أعلى منصب "أنّه كان مكتوباً". كما شهد فوضى واضطراب بسبب الاغتيالات إلى جانب أنّ الداي أو الباي أو الآغا أي كبار الموظفين إذا اغتيلوا جرَّدهم الدِّيوان من جميع ممتلكاتهم وممتلكات زوجاتهم وعائلتهم وأصبحوا بين عشية وضحاها لا يملكون شيئاً. وجدول التالي يبيّن أهم الدَّايات الَّذين تعرَّضوا للاغتيال من طرف عناصر الجيش الانكشاري:

الداي	فترة الحكم	طريقة الاغتيال
بابا حسن	1682-1683	أعدم من طرف عناصر الانكشارية بإيعاز من ميزومورتو
الحاج شعبان	1688-1695م	أعدم خنقاً بعد تعذيب شديد
الحاج مصطفى	1700-1705م	أعدم خنقاً
مُحَمَّد بكداش	1707-1710م	أعد خنقاً من طرف العامة
دالي إبراهيم	1710م	قتل في الساحة بعد رميه بقنبلة من أعلى القصر
مُحَمَّد بن حسين	1718-1724م	قتل بالرصاص قرب البحرية
إبراهيم كوتشوك	1745-1748م	قتل مسموماً
مُحَمَّد بن بكير	1748-1754م	قتل خنقاً في قصر الجنينة
مصطفى باشا	1798-1805م	قتل ذبحاً بعد أن قطع لسانه
أحمد باشا	1805-1808م	قتل رمياً بالرصاص وهو يحاول الهروب من القصر
علي الغسال	1808-1809م	أجبر على شرب السم فرفض ذلك فخنق
حاج علي	1809-1815م	قتل خنقاً في الحمام
مُحَمَّد الخزناجي	1815م	قتل خنقاً في قصر الجنينة[2]

[1] حنيفي هلايلي، أوراق ...المرجع السابق، ص138

[2] حنيفي هلايلي، أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانيّة، مجلة الحوار المتوسطي، مج:9، ع:1، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، مارس 2018، ص 16

2.النظم المركزيَّة: عرّف الجهاز الإداريّ للجزائر في العهد العثمانيّ تطوراً ملحوظاً وذلك منذ استقرار الحكم التركي بالجزائر، إلى أن استكمل تنظيماته واستقرت أجهزته مع نهاية القرن الثامن عشر، بحيث أصبحت السلطة التنفيذية بيد الداي الذي كان يساعده في أداء مهامه الإدارية وإصدار أوامره وتعليماته ديوان خاص يتشكل من موظفين ساميين بينما كان يقوم بتنفيذ هذه الأوامر مجموعة كبيرة من الموظفين والضباط المتقاعدين الذي كانوا بدورهم يشكلون الدِّيوان الكبير[1].

أ.مؤسَّسة الدِّيوان: على الرغم من عدم توفر المعلومات دقيقة حول تاريخ إنشائها وحول مهامها في العهد الأوّل إلاّ أنَّه يمكن القول أنّ تأسيسها يعود إلى عهد خير الدين بربروسة مثلما ذكَّره صاحب غزوات عروج وخير الدين، ولا يمكن الحديث عن ديوان واحد بل عن ديوانيين: الدِّيوان الصغير والدِّيوان الكبير. إذ يضم الأوّل كبار ضبط الانكشارية وعدداً من الموظفين الكبار ويرأسه الباشا، وكان في بادئ الأمر يمسّك بالسلطتين التَّشريعيَّة والتَّنفيذيَّة في آن واحد، دون تدخل لهيئة الديوان الكبير، أمّا الدِّيوان الكبير فيضم ضباط أو قادة الجند وممثلي السلطة الدينية كما يحضره ممثلون عن طائفة رياس البحر وعدد من أعيان ووجهاء المدينة[2] وكان يضم عدداً كبيراً يزيد عن ألف شخص، ويرأسه القائد الأعلى للجيش الانكشاري، لكن هيئة الديوان الصغير تضاءل شأنها نتيجة ضعف الباشوات، وبذلك فسح المجال أمام الديوان الكبير إلاّ أّنه مع بروز بعض الدايات الأقوياء خاصة مع مطلع القرن الثامن عشر شعروا بضرورة العودة إلى تأسيس ديوان خاص موازي لديوان الانكشارية،والديوان كان يجتمع يوم السبت بالقصبة ويوم الأحد صباحاً بدار الإمارة ويضيف أنّ جلسات الديوان كانت مفتوحة خلال أيام الأسبوع كله، أمّا إبان القرن الثامن عشر، فقد كانت تتم أربع مرات في الأسبوع في أيام الاثنين والأربعاء والخميس والسبت في دار الإمارة.

وكان معهم بعض الأعضاء من كبار العلماء أما عددهم فيختلف من وقت لآخر، وكل عضو كان يضع قطعة من شريط الذهب تلصق في مقدمة العمامة للتعريف بمقامهم القانوني.

كانت مجالس الديوان لماعة وجذابة، ويطبع اجتماعات الديوان روح المساواة من ناحية إبداء الاقتراحات، فبعد تقديم الآغا موضوع الجلسة كبار المسؤولين وكذا الأعضاء الذين يجلسون في صفين أحدهما خلف الآخر، أو متجابهين بحيث يوجد صف في الجانب الشرقي وصف آخر في الجانب الغربي، وعندما يتكلم جميع الأعضاء حول الموضوع المطروح على النقاش يقع التصويت بصفة منظمة وإن

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ ...المرجع السابق، ص ص110-111

[2] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص113

أسلوب المناقشة والتصويت المتبع يمكن المجلس من مواصلة المداولة في شؤون هامة أخرى بانتظام، أمّا القرارات فيجري تدوينها من قبل الآغا الذي أوكلت له مهمة كاتب، وكانت إجراءات الجلسة لا تتجاوز ثلاث ساعات وأثناء دورة انتخاب داي جديد أو مناسبة عقد اتفاقية عقد سلم أو إجراء اجتماعات تخص قضايا ومسائل ذات أهمية، فإن كل الأوجاق(كبار ضباط الجيش الجزائري) من عناصر المليشيا كان يطلب منهم الحضور.

وتختلف أهمية الديوان وما يتمتع به من الثقة باختلاف شخصية الداي وبراعته، وكان الديوان فيما سبق، أي في القرنين الأوَّلين من العهد العثماني يعقد جلسات بانتظام ويتصرَّف في الأموال وله الحق أن يناقش جميع الإجراءات الحكومية ويتخذ قرارات بشأنها، ولكن في بداية القرن التاسع عشر قل نفوذه واستدعى الدَّاي عمر باشا الدِّيوان للانعقاد في سنة1816م لكي يبحث في مسألة المفاوضات الَّتي ترمي إلى عقد معاهدة بين الجزائر والانجليز، هذا مع العلم أنَّ الدِّيوان الكبير أصبح يعقد جلساته في القرن19م في مناسبات الأعياد فقط، بعد انتقال مقر الدَّاي إلى القصبة تضاءل دور الديوان فأصبح الدَّاي هو الذي يعين وزراءه بنفسه.

ب.الموظفون السامون(مجلس الحكومة):

شكل مجلس الحكومة أو هيئة الموظفين السامين الجهاز الأساسي الذي استندت عليه الحياة السياسية ابتداء من مطلع القرن الثامن عشر ويتصدره الدَّاي.

الدّاي: كان وصول الداي إلى سدة الحكم يتم من الناحية النظرية عن طريق الانتخاب على مستوى هيئة الديوان غير أنَّ الواقع العملي كان أكثر تعقيداً من ذلك[1]. فعندما يتنازل الداي بإرادته أو حين يموت موتاً طبيعياً–وهذا نادراً– فإن خلفه المعين سلفاً يتخذ الاحتياطات اللازمة ويتم التغيير دون معارضة، ولكن عندما يسقط الحاكم بواسطة المتمردون من يختارونه من بينهم، ويصاحب ذلك معارك رهيبة، وكان السكان يراقبون هذه الأحداث بقلق وخوف وتقفر الشوارع وتغلق الأبواب، لأنّ الجند يستغلون فترة الفوضى هذه فينتشرون في الشوارع وينصرفون إلى النهب، وعندما يتسلم الداي الجديد الحكم يطلق أعوانه في المدينة لتهدئة الخالة.

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص114

أمَّا عن الشروط العامة لإختيار وانتخاب ومبايعة حاكم الآيالة من لدن الديوان الخاص،فهي درايته بالشرع الإسلامي وإحاطته بالتقاليد الجزائرية والنظم العثمانيّة التي يستند عليها في تحقيق التوازن بين كامل السلطات ومن خلال ذلك يمكن أن نستنتج بعض المعايير التي يتميز بها:

- **الكفاية والدراية:** أن يكون كفئا لهذا المنصب و شجاعا ذا مروءة وصاحب فكر وجيد المناورة.
- **مباشرة القضاء بين الناس:** الفصل في الخصومات بين الناس.
- **علمه بالسياسة:** أي عمله بالإدارة وأحوال الأقاليم.
- **المعقول:** حسن التدبير والأفق الواسع والبعد عن صغائر الأفعال.

وتلك المعايير لا يتمتع بها كل الحكام فهناك من استعان ببعض القبائل المخزنية والأسر المحلية لتحقيق نفوذهم بالأوطان والدواوير وتأمين المداخيل والتحكم في الموارد العامة وربط كل أقاليم الإيالة من أوطان وأرياف بالعمران الحضري[1] لذلك نجد من يذكر بأنّه لا توجد شروط يجب توافرها فيمن ينصب دايا.

أمّا مهامه كانت تتصل بإقرار الأمن والمحافظة على النظام وتوفير المداخل الضرورية للإنفاق على موظفي الدولة، والسهر على رعاية مصالح الدولة، وهذا ما سمح له أن يتخذ إجراءات ويصدر أوامر دون الرجوع إلى مساعديه.

أمّا مجموعة الموظفين الكبار الذين كانوا يساعدون الداي في أداء مهامه، فيمكن ترتيبهم حسب أهمية الأعمال التي كانوا يقومون بها وهم على النحو الآتي:

☑ **الخزناجي:** المشرف على الخزينة فقد أوكل إليه أمر حراستها وإيداع مصادر دخل الدولة بها مع الإشراف على وجوه الإنفاق المختلفة كدفع أجور الجند، ويباشر الخزناجي مهامه المالية بحضور الداي وأعضاء الديوان، وأصبح الخزناجي في الديوان الشخصية الثانية المؤهلة لشغل منصب الداي حال شغوره، وقد ظل هذا الاختيار المتعارف عليه معمولاً به منذ موت الداي علي شاوش(1710-1718م) في أفريل 1718م وحتى سنة 1805م ممّا سمح بانتهاج نوع من الترقية التدريجية في السلم الإداري ونظراً لهذا التوسع في النفوذ لم يعد منصب الخزناجي ذا طابع مالي فقط، بل أصبح له صبغة

[1] حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانيّة من 1659م إلى1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، إشراف: فاطمة الزهراء قشي، السنة الجامعية: 1429/1428هـ-2008/2007م، جامعة منتوري-قسنطينة، ص 18.

عسكرية فهو يقود الحملات العسكرية عند اقتضاء الأمر كما حدث للخزناجي إبراهيم خوجة الذي قاد الحملات ضد الثائرين بالنواحي الوهرانية سنتي(1734-1736م)[1].

☑ **آغا المحلة–آغا العرب–آغا الصيايهية:** وهو الوزير الثاني والقائد الأعلى للحرب البرية ويخضع جل الموظفين على مستوى إدارة الوطن إلى الآغا، ويساعده أربعة كبراء وهم باش شاوش، الكاهية، باش علام وباش مكاحلي، وهم من العنصر المحلي وأوكلت لهم مهمات منها: السهر على تبليغ الشكاوي للآغا وتعيين فرسان الصبايهية وجباية الضرائب وفرض الأمن وما إلى ذلك.

☑ **خوجة الخيل (آت خوجة سي):** ويحتل الرتبة الثالثة في سلم هيئة الموظفون السامون، إذ ارتقى إلى مرتبة الموظفين الكبار ، وكان من بين المرشحين لتولي منصب الداي، وتتمثل مهامه في الإشراف على مداخيل الأراضي التابعة وللسلطة أو أراضي البايلك، بعد أن أصبح يدير أملاك البايلك ويرعى مواشي الدولة ويتصل بفرسان المخزن وبالعشائر الحليفة أو المقيمة في أراضي البايلك بمنطق دار السلطان والتيطري للحصول على المواد الغذائية الضرورية لتموين الموظفين الأتراك والفرق العسكرية المرابطة في مدينة الجزائر، بل هو المسؤول على إحيائها وإصلاحها، كما يتولى ما يقدمه البايات عينا من خيول ومواشي إلى دار الإمارة الأمر الذي جعل سلطته تمتد إلى عرب الصّحراء.

☑ **بيت المالجي:** يراقب الأملاك والثروات التي تعود للدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة، كما يقوم بحفظ الودائع وتسيير أملاك الغائبين والتصرف فيها في حال شغورها، وذلك بيعيها أو تسليمها لمستحقيها أو كرائها لفائدة البايليك بالإضافة إلى قيامه ببعض الأعمال الخيرية كتوزيع الصدقات على المستحقين والتطفل بدفن الفقراء.

☑ **وكيل الحرج (وزير البحرية):** فرتبة وكيل الحرج قد تطورت منذ القرن السادس عشر، ففي العهود الأولى كانت مهمة وزير البحر تقتصر على محاسبة ومراقبة الذخيرة والإشراف على بناء السفن وتجهيزها بالأسلحة والسهر على تنظيم الغنائم بالإضافة إلى أعمال الميناء والتخفيف من شدة الصراع الذي كان يدور في الغالب بين البحارة والجنود كما يشرف على تنظيم التجارة الخارجية والنقل البحري وبمرور الزمن ارتفعت مكانة وكيل الحرج بسبب التطور السياسي للطائفة، فكان بمثابة وزير البحر يترأس الإيالة أو يعين في منصب الخزناجي(وزير أول) فبعد وفاة الداي مُحَمَّد بن عثمان 1791م خلفه وكيل

[1] حنيفي هلايلي، أوراق...المرجع السابق، ص139

الحرج بابا حسن. إلا أنه ما لبث أن تضاءلت مكانته وتقلصت صلاحياته إثر ضعف القرصنة واشتداد الضغط الأوروبي على الجزائر وتزايد نفوذ آغا العرب والخزناجي.

وعندما تجلب الغنائم إلى مدينة الجزائر، تباع للسكان وتوزع قيمتها حينا على ذوي الحقوق، وتأخذ الخزينة العامة الخمس كنصيب لها ووفقا لما تنص عليه الشريعة الإسلامية، على أن هذا الخمس لم يكن تاما أبدا لأن الأشياء الثمينة كانت تؤخذ قبل الاطلاع على الغنائم، وفي كثير من الأحيان تعلم الحكومة بذلك ولكنها تغض الطرف[1].

3-هيئة الكتاب الكبار:

تضم هذه المجموعة أربع كتاب (الخاجة باش لار) يقع اختيارهم وتعيينهم من قبل الداي، وقد تزايد نفوذهم واكتسبوا مرتبة سامية في جهاز الدولة حتى أصبحوا يعتبرون من الموظفين الكبار وهم على التوالي:

الكاتب الأول أو المكتباجي أو المكاتارجي المقاطعي: وكان بمثابة رئيس الكتاب الآخرين، ومهمته تكمن في فرض الضرائب والاشراف على سجلات الدولة[2].

الكاتب الثاني أو الدفتر دار: كاتب يراقب مخازن الدولة ويقوم بتسجيل مصادر دخل البلاد من الضرائب المختلفة والرسوم المتنوعة.

الكاتب الثالث أو وكيل الحرج الصغير: كان يقوم بحفظ سجلات غنائم الجهاد البحري وضبط أمور الديوانة"القمارق".

الكاتب الرابع أو الرقمجي: كانت مهمته تنحصر في المحافظة على السجلات الرسمية للدولة التي تتصل بالشؤون الخارجية يساعده في ذلك ترجمان خاص[3].

ومن الملاحظ أن هؤلاء الموظفين الكبار يشرفون بحكم مهامهم وصلاحيتهم على جماعات أخرى من الموظفين الصغار الذين انحصرت أعمالهم في القيام ببعض الخدمات العامة ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي، والتي أصبحت بمرور الوقت تؤدى حسب تقاليد وعادات متوارثة ومن أهم هؤلاء الموظفين:

---

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص80.

[2] أحمد السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر: مطبعة دحلب، د.س، ص ص29-30

[3] حنيفي هلايلي، أوراق... المرجع السابق، ص ص141-142

4- هيئة خوجات الخدمات العامة: وهم مكلفون بأعمال ذات طابع اجتماعي واقتصادي وأشهر هؤلاء الخوجات حسب الخدمات التي يؤديها:

خوجة القصر: ويدعى أحيانا خوجة الباب.

- **خوجة الجمارك**: ويتسلم رسوم البضائع الواردة من البلاد المسيحية عن طريق المراسي.
- **خوجة الغنائم**: وهو مكلف ببيع الغنائم وتقسيمها بين المستحقين لها.
- **خوجة الرحية**: وهو مكلف بتسليم الرسوم على الحبوب المعروضة في الأسواق.
- **خوجة الزرع**: يوزع الحبوب على الفرق العسكرية بالعاصمة.
- **خوجة العيون**: يهتم بالمنشآت المائية من عيون وسواقي وقنوات ويرعى الأوقاف المحبوسة والمخصصة للإنفاق.
- **خوجة الملح**: يتكفل بشراء وتعبئة الملح.
- **خوجة الجلد**: بيده مفاتيح فتدق الجلد
- **خوجات أبواب المدينة** على كل باب يوجد اثنان منهم.
- **خوجة الوزن**: المكلف بالمقاييس والمكاييل وخوجة الفحم
- وإلى جانب هؤلاء الموظفين الثانويين كان هناك حشد كبير يعمل حسب المهام المنوطة به، كجماعة الطباخين والنظار والوكلاء والمحتسب وجماعة الشواش[1].
- **مجموعة الخدم والشواش**: بلغ عددهم أواخر العهد العثماني اثني عشر شاوشا وعرف كل واحد منهم بالعمل الذي يقوم به، مثل أشي باشي "كبير طباخي قصر الداي الذي كان يحظى بثقة الداي وينال الدايا المغرية والباش سايس القائم على إسطبلات البايلك، والسركجي المشرف على السجون، وآغا العزرة الذي يتولى معاقبة الأتراك المحكوم عليهم من طرف الداي. ويضاف إلى هذه المجموعات العديدة من صغار الموظفين بعض القائمين على الخدمات الاجتماعية بالمدن مثل شيخ البلد الذي يتصل بالطوائف السكانية بالمدن عن طريق أمنائها ويتصرَّف في النقابات المهنية باستخلاص ما يتوجب عليها من رسوم وعوائد ويبلغ أوامر البايلك إلى مختلف الطوائف والجماعات العرقية والمهنية كالعلماء والحرفيين والوافدين على المدينة من سكان الأرياف. والباش سيار، وهو الذي يشرف على شؤون البريد.

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص115

▣ **مجموعة القياد:** أغلبهم كانوا يتولون الإشراف على شؤون البوادي"الأوطان" ويقومون بإقرار الأمن واستخلاص الضرائب من سكان الأرياف بالرجوع إلى شيوخ الدواوير والأعراش والاستعانة بفرسان المخزن وفرق الحامية التركية، والقليل منهم كان يشرف على سير الخدمات الاجتماعية داخل المدن مثل قائد العبيد وقائد الشوارع وقائد الزبل"القمامة".

▣ **مجموعة الحكام:** يتولون الإشراف على إدارة المدن، ويكلف البعض منهم بالقيام ببعض المهام مثل مراقبة جمع الضرائب بالاستعانة بالرؤساء المحليين وأمناء المهن والطوائف والسهر على إقرار الهدوء وتنفيذ الأحكام بالحواضر.

▣ **الشيخ الناظر:** كان يشرف على الأحباس ويرجع إليه وكلاء الأوقاف في جميع ما يتعلق بالأملاك الموقوفة، وبتوجيه منه يتم تسديد النفقات والمصاريف المترتبة على الأوقاف واستخلاص ما يعود منها إلى بيت المال.

▣ **المحتسب أو صاحب الشرطة:** يشرف على مراقبة كل ما يبع في الأسواق والدكاكين من مأكول ومشروب وملبوس ومصنوع، حسب أحكام القضاء والإفتاء وغالباً ما يتجول في الأسواق وهو يحمل الميزان لمعاينة نوعية وكمية المعروضات في الأسواق بهدف التأكد من عدم تحايل التجار. وينال مقابل عمله هذا نسبة معينة من ثمن البضائع الواردة إلى السوق.

▣ **المزوار:**الذي يعرق في قسنطينة بقائد القصبة: يطبق العقوبات الجسدية وينفذ حكم الإعدام بأمر من الداي في غير الأتراك.

▣ **الدلال والبراح:** الأول ينادي على البضائع في الأسواق مقابل درهم عن كل دينار والثاني يعلن عن أوامر وقرارات السلطة الحاكمة ويشهر بالمجرمين والمحتالين واللصوص[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص ص115-116

الدّرس الخامس: التنيظم السياسي للجزائر خلال العهد لعثماني (1519–1830م)

1.التنظيم الإداري: منذ عهد حسن باشا بن خير الدين عرفت الجزائر تقسيماً إدارياُ ظل معمول به إلى نهاية الوجود العثماني دون أي تغيرات جوهرية،فقد قسمت البلاد إلى أربع بايلكات أي مقاطعات، وهي على النحو الآتي:

دار السلطان: هذه المقاطعة كانت تضم المنطقة السهلية، المتيجة والساحل الواقعة بين البحر الأحمر والأطلس التلي والعامل السياسي المتمثل في ضمان أمن السلطة المركزية في مدينة الجزائر، وأكثرها تميزاً فهو مقاطعة تابعة مباشرة للسلطة المركزية في مدينة الجزائر، تتكون دار السلطان أساساً من المناطق التي تم إخضاعها على يد عروج وخير الدين وتضم جغرافياً المدن الخمس الهامة وهي: البليدة، شرشال، القليعة، دلس وأوطانها وقد خضع إقليم دار السلطان لتسيير مركزي وتنظيم محكم وهذا عكس المقاطعات الأخرى التي لم تتأثر مباشرة بالحكم السلطان لتسيير مركزي وتنظيم محكم وهذا عكس المقاطعات الأخرى التي لم تتأثر مباشرة بالحكم المركزي، وإن كانت تخضع لتنظيم إداري مشابه لدار السلطان الشيء الذي حال دون تطور وتبلور الأنظمة الإدارية لهذه المقاطعات.

بايلك التيطري: كان أصغر البايلكات مساحة وأفقرها مقره المدية [1]، وهو ثاني بايلك من حيث التأسيس بعد دار السلطان، فقد أسس سنة1540م كان باي التيطري يقيم في أوائل العهد العثماني في المدية تارة وفي برج سباو تارة أخرى، إلى أن استقر نهائياَ في المدية التي كان العثمانيون قد ضموها لسلطتهم في مدينة الجزائر منذ سنة1517م وبحكم قربه من مركز السلطة فإن حاكمه كان أقل استقلالاً وأكثر خطراً من بايات وهران وقسنطينة، وكان يتقدم زملائه البايات في المراسم العامة ولإضعاف مركز وخطر باي التيطري فقد سحبت منه صلاحية إدارة مدينة المدية وأوكل امرها إلى رئيس يعينة الآغا، ممّا أوجد تعقيدا في إدارة هذا البايلك، أمّا جغرافياً فإن بايلك التيطري يحده من الشمال سهل المتيجة ومن الشرق وطن بني سليمان وبني جعد وعريب وقيادة سباو الذي يحد عمالته وطن يسر، ومن الناحية الشرقية وطن حمزة وهو من عمالة باي قسنطينة.

بايلك الشرق: كانت عاصمته قسنطينة، أسس سنة1567م وهو من أكبر واهم البايلكات من حيث المساحة والثروات، يحده شمالاً البحر، وغرباً زادي الصمار الذي يعرف بوادي بني منصور وبني عباس، والذي يأخذ مجراه من أعالي برج حمزة ويصب في البحر قرب بجاية، وقد لعب هذا البايلك دوراً

[1] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط3، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2012، ص29

كبيراً في مراقبة إيالة تونس وساهم في إخضاعها لنفوذ أتراك الجزائر، ونظراً اشساعة فقد قسم إدارياً إلى أربعة أقسام على كل قسم حاكم مستقل عن الآخر يخضع مباشرة للباي قسنطينة.

بايلك الغرب: يمتد بايلك الغرب من الحدود المغربية غرباً إلى ولاية التيطري شرقاً، ومن البحر الأبيض شمالاً إلى الصحراء جنوباً، ويحتل الدرجة الثانية بعد ولاية قسنطينة إذ تأسس سنة1563م كما أنّ أوّل من حمل لقب الباي هو باي الغرب بوخديجة، من حيث المساحة والأهمية الاقتصادية، ففي البداية كانت عاصمته مدينة مازونة[1]، لكن معطيات عديدة جعلت العاصمة تنتقل إلى معسكر سنة1710م، هاته المعطيات ذكرها الوزان من خلال وصف مدينة مازونة أوائل القرن السادس عشر بقوله: "كثيراً ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب حتى أصبحت اليوم قليلة السكان، وهم إما نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريباً فقراء لأن الأعراب ..." بعد تحرير وهران سنة1792م أصبحت عاصمة لبايلك الغرب ، وقد غلبت على هذا الأخير الصبغة الحربية بسبب الاحتلال الاسباني وتوتر العلاقات العثمانيّة المغربية بسبب محاولاتهم الاستيلاء على تلمسان وبقاء الاسبان زهاء ثلاثة قرون فضلا عن حركات التمرد التي عرفها هذا البايلك. والخريطة توضح تقسيمات البايليكات في الجزائر أثناء العهد العثماني.

وبصورة عامة، لم تكن السلطة التركية الفعلية تشمل سوى سدس مساحة الجزائر الشمالية في حين ظلت حدود الجزائر جنوباً غير واضحة، وهذا حسب المعلومات التي أثبتها بعض الكتاب الفرنسيين.

يمثل الباي السلطة السياسية الأولى على الإقليم وهو المسؤول الأعلى أمام الحكم المركزي، حيث كان عليه القيام بتعيين المسؤولين وتنصيبهم وتنحصر مهامه في تسيير شؤون المقاطعة والإشراف على القوات

---

[1] تتربع مازونة على مساحة تقدر بحوالي 41كلم أي ما يعادل 0.86% من المساحة الإجمالية للولاية بغليزان التي تقدر بـ4800كلم. إذ تعدد الروايات التاريخية في أصل تسمية مازونة بهذا الاسم شأنها في ذلك شأن معظم المدن التاريخية في شتى البقاع، ممّا أدى إلى ظهور عدة روايات تحاول إعطاء الأصول الحقيقية للتسمية: نجد من اعتبر كلمة مازونة مصطلح بربري يعني أرض الرجال الأقوياء، وهناك من يقول أنها ماسينا وهي بذلك مدينة رومانية بسبب أثرين أُكتشفا بها. بينما آخرون يرون أنّ مازونة أسسها "مانع" الذي تزوج أميرة بربرية تدعى "مازونا" وتعني أسماء أخوين بربرين أحدهما "مازونا" والآخر "مديونا". أما بطليموس 146ق.م فيعتبرأنّها مملكة كانت تابعة لنوميديا في عهد ماسينيسا. ويعتقد آخرون أن "مازونة" كلمة تعني "ماء زونة" نسبة لإبنة ملك تسمى "زونة" حيث حط الرحال بجبال المنطقة وطلب من رجاله أن يحضروا ماء لإبنته، فلما وجدوا المنبع حرموه على الغير وقالوا هذا ماء زونة. ويبقى الجدل قائماً والاحتمالات واردة عن مصدر ومعنى تسمية "مازونة نظراً لما ذكر في الكتابات وما حملته الروايات الشفوية. للمزيد ينظر: ميلود ميسوم، مدرسة مازونة"دراسة تاريخية فنية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية، إشراف: عبد الحميد حاجيات، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، السنة الجامعية: 2002-2003، ص ص 2، 8.

العسكرية وعملية جمع الضرائب من الأرياف والسهر على أمن المنطقة وللبايات الحق المطلق في إصدار العقوباتا ضد الأهالي وحق مصادرة الممتلكات، كما يتولى البايات قيادة الجنود في المعارك.

ويتعين على البايات بالتوجه إلى دار السلطان مرة كل ثلاث سنوات يسلموا عائدات بيباليكهم وتقارير عن أوضاع المناطق الخاضعة لهم، وكان يتم في نفس الوقت تجديد تعينهم أو عزلهم نهائياً وذلك وفقاً لما كان يقدمونه من العائدات والرشاوي للداي وأعوانه.

فعلى المستوى المحلي كانت المهام مقسمة بين ثلاثة حكام يقومون بجمع الضرائب والإشراف عليها وتعيين القياد وهؤلاء الموظفون هم: آغا الدوايرـ آغا الزمالة وخليفة الشرق وكان الآغوات يشرفون بدورهم على باقي المناطق بمساعدة القبائل ومن بين المساعدين الرئيسيين الخليفة الذي يقوم باختياره الباي ويعينه الداي، وللخليفة مهام متعددة وكبيرة أهمها نيابة الباي عند الضرورة وتتمثل مهام الخزندار في الإشراف على كل الخدمات المالية[1].

لقد كانت العلاقة الموجودة بين السلطة المركزية والباي تتجلى في مساعدة البايليك بالجيوش وتقديم المساعدات المالية أثناء الكوارث الطبيعية أما الباي فلقد كان يقدم للسلطة المركزية ضرائب ودايا كانت تشكل عوائد البايليك.

وتتمثل هذه العوائد في ما كان يسمى بالدنوش الأصغر، والذي كان يتمثل في ضرائب وهدايا تمنح للداي كل ستة أشهر أي في الربيع والخريف ويقوم خليفة الباي بإيصال الدنوش الصغير إلى العاصمة وبذلك يدنش البايات مرة كل ثلاث سنوات وخلفائهم يدنشون مرتين كل سنة وعملية التندنيش ما هي إلا زيارة إجبارية يؤديها البايات إلى الداي اعترافا بولائهم للحكومة المركزية ولتثمين الإحساس بسلطة الداي وحكومته على المقاطعات وكان الدنوش الصغير يتشكل من اللزمة وهي عبارة عن ضريبة مالية إضافية، والمصنوعات المحلية كالحياك والبرانس البيضاء والسوداء والجلود الفرلي الحمر وأقمشة الصوف وقطع الحرير والأحذية والسروج المطرزةى وقناني العنبر والروائح والعبيد وقطعان المواشي والجمال والخيل والبغال وكميات الشمع والعسل والأرز والحبوب والزيتون والزبدة والكسكس أمّا الدنوش الكبير فكان حاميته تتكون من ثلاثة آلاف فارس من القبائل الحليفة، وعلى رأس كل قافلة ثمانين بغلا. وللإشارة فإن عملية الدنوش والعوائد الفصلية كانت تكثر أو تقل حسب الأوضاع الاقتصادية السائدة في بايلك.

2.ديوان البايلك المحلي: يشكل ديوان البايلك الجهاز الإداري المحلي الذي يرجع إليه الباي للبت في الأمور الهامة أو لطلب الرأي والمشورة وهو يتألف من مجموعة من الموظفين يمثلون مرظفي دار السلطان

[1] حنيفي هلايلي، أوراق...المرجع السابق، ص148

التابعين للدَّاي من حيث الصرحيات والسلطات التي كانوا يتمتعون بها. ومن أبرز هؤلاء الموظفين المحليين نذكر[1]:

أ–الخليفة: الذي ينوب الباي وقد يخلفه عند غيابه ويقوم نيابة عنه بتقديم الدنوش اضعرى للجزائر كل فصلي خريف وربيع.

ب–الباش خزناجي: يشرف على مصادر دخل البايلك ويتولى تسديد مختلف أوجه الإنفاق بالبايليك، ويعينه على ذلك كاتبان رئيسيان يعرف كل واحد منهما بالدفتر دار.

ج–آغا الدائرة: ويعرف ببعض المقاطعات بآغا العرب أو الباش آغا أو خوجة الخيل، وهو قائد الحامية التركية المستقرة بمركز البايلك، ويتلقى أوامره مباشرة من الداي، ويقوم بهزل و إعدام أة تعيين البايات الجدد عندما تصدر له الأوامر بذلك، ويخضع لأوامره فرسان المخزن وهذا ما مكنه من التصرف في الأرياف ومراقبة البايات في تعاملهم مع السلطة المركزية.

د–شيخ البلد(قائد الدار): يحافظ على أملاك الدولة، ويوفر الخدمات الضرورية للحامية التركية، إذ يشرف على شؤون البلد ويرعى مصالح الطوائف السكانية والحرفية بالمدينة.

هـ– الباش كاتب: وهو كاتب الباي الخاص، يتكلف بكتابة رسائل الباي، وبالاحتفاظ بذخائر البايليك المالية وسجلاته العقارية.

و– **الباش سيار أو الباش سراج:** المكلف بمراقبة إسطبلات البايليك وتجهيز حصان الباي الخاص عندما يعتزم الباس السفر أو الخروج من المدينة.

ز–باش المكاحلية: المتصرف بفرقة مكاحلية الباي الخاصة(كوكبة الحرس المزود بالبنادق)[2].

ويلحق بهؤلاء الموظفين الساميين بالبايليك كل من: حافظ دفاتر الإدارة المحلية بالمقاطعة، وله اتصال بالخزناجي نظراً لتوليه المحاسبات المالية للباي، وكذلك المكلف ببريد البايلك وحمل مراسلات الباي، والباش سايس أو الباش سراج المتصرف في إسطبلات البايليك والقائم بتجهيز حصان الباي عند السفر، وباش المكاحلية قائد الفرقة المسحلة بالبنادق التي تخرج بصحبة الباي، والباش علام حامل شارات الحامية التركية بالبايليك.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص194

[2] نفسه، ص196

وهناك مجموعة أخرى أقل أهمية من هؤلاء الموظفين لا يستدعون لحضور ديوان البايليك إلا عند الضرورة وعند التكليف بمهام معينة من طرف الباي كقياد المدن وشيوخ القبائل والشواش وحامل الألوية والموسيقيين المصاحبين للجند والقائمين على بعض الخدمات الإدارية مثل:

قائد الجبيرة: أي حامل محفظة الباي، والتي هي في الواقع عبارة عن حقيبة جلدية تعلق في مقدمة السرج.

قائد المقصورة: أي الحاجب الخاص بالباي.

قائد السبسي: أي حامل غليون الباي.

قائد السيوانة: أي حامل مظلة الباي.

قائد الدريبة: أي القائم على الباب الرئيسي للمدينة،

قائد الطاسة: أي القائم بإحضار الآنية التي يستعملها الباي.

ويضاف إلى هؤلاء القياد من الباش فراش المختص بالاعتناء بمكان نوم الباي وباش قهواجي مكلف بإحضار القهوة للباي ..وغيرهم، وأغلب هؤلاء القياد المكلفين بخدمة الدّاي غالباً ما يختارون من بين المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً (الأعلاج)، ويخولون الحصول على ترضيات وهدايا موسمية مقابل القيام بمهامهم حتى تكون تعويضاً لهم عن أجورهم، وحتى يتمكنوا من تسديد نفقاتهم الخاصة[1].

وعلى كل فإنَّ التنظيم الإداري للإيالة الجزائرية كان يحمل في طياته تكوين دولة وطنية، رغم ما كان يتصف به من جوانب إيجابية وسلبية نلخصها فيما يلي:

كان النظام الإداري وسيلة فعالة مكنت الأقلية الأقلية التركية من التصرف من قدرات الجزائر، وفي وقت أصبحت فيه الجزائر تتمتع بكيان معترف به دولياً وتمارس استقلالا حقيقياً في نطاق الرابطة العثمانيّة التي قوامها المصلحة المتبادلة والروابط الروحية. كما كان يعكس بصدق الوضع الاجتماعي فالمناصب ذات الدخل الوفير كانت محصورة في العنصر التركي والمناصب ذات الدخل المتوسط كان ينفرد بها جماعة الكراغلة، والوظائف ذات المردود المتواضع كانت من نصيب الحضر، بينما الخدمات الشاقة العديمة الأهمية كانت توكل للجماعات الأخرى الموجودة بالمدينة والتي كانت تعرف بالبرانية.

كانت التنظيمات الإدارية للإيالة الجزائرية تستند إلى تقاليد محلية كانت متأصلة بالجزائر منذ الفترة الإسلامية السابقة وإن كان أغلبها يرجع إلى عهد الموحدين مثل وظائف: المحتسب والقياد والشيوخ

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص197

وشيخ البلد، أو أنها كانت مقتبسة من المشرق العثماني، لاسيما ما يتصل بالمجال العسكري من حيث الألقاب ونوعية لخدمات وكذلك في كيفية إسناد المناصب التي كانت تعطى هن طريق الالتزام فقياد المدن كانوا يشترون مناصبهم بمقدار مالي يتراوح ما بين عشرة آلاف (10000)و ثلاثين ألف (30000) بوجو، وخوجات الخدمات الاجتماعية والاقتصادية كانوا يحصلون على وظائفهم مقابل مقدار معين من المال يتسلمه المشرف على الخزينة كل شهرين مما جعل أصحاب هذه المناصب يجددون أو يعزلون تبعاً للمبالغ التي كانوا يدفعونها.

كان الجهاز الإداري يتصف بالمرونة والفاعلية، فهو بسيط في تنظيماته عملي في إجراءاته يعتمد أساساً على توزيع صلاحيات الموظفين على مختلف المهام حسب ما تقتضيه الحاجة، فحتى المناطق التي ظلت ممتنعة على نفوذ البايليك بقوة مسلحة من الفرسان المزودين بالنادق "المزارقية" وبلفيف من فرسان القبائل الحليفة ومقابل تمتع هؤلاء الشيوخ بالامتيازات ونيلهم الترضيات واكتسابهم ثقة الحكام، فقد كانوا يقومون بتنفيذ أوامر الدايات أو البايات ويستخلصون الضرائب نيابة عنهم معتمدين على القوة العسكرية الموضوعة تحت تصرفهم ومن أشهر هذه القيادات التي يبرز طابع المرونة والفاعلية للجهاز الإداري للبايليك قيادات الأوراس وبلزمة والنمامشة وقصر الطير...وغيرها.

أمّا فيما يتعلق بالقانون المدني كما هي الحالة في البلدان الاسلامية الأخرى؛ مصدره القرآن الكريم والأحكام المستخلصة منه ويضاف إليه العادات المتبعة والسوابق العدلية، ولادارة القضاء المدني في جميع حكومات ولايات الايالة، يعين قاضي تركي وآخر عربي وكلاهما يعقد جلسات يومية للحكم في القضايا التي تعرض عليه وذلك يوميا عدا يوم الجمعة. فالأطرف الذين هم في النزاع يقومون بالمرافعة والدفاع عن قضاياهم بأنفسهم وبدون مساعدة محامين وبعد المرافعة مباشرة يصدر القاضي حكمه. فضلا عن وجود المنفتي (مفتي حنفي تركي ومفتي مالكي عربي) يعقد جلسات للنظر في القضايا مرتين في أسبوع[1]. ومع قلة أتباع المذهب الحنفي فإن الأسبقية كانت تعطى للقاضي أو المفتي الحنفي الذي يعرف في الوثائق الرسمية بشيخ الإسلاك ويعتبر الشخصية الدينية الأولى بالبلاد، وذلك لكون الطائفة التركية تنتسب إلى المذهب[2].

[1] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب وعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر الوتوزيع، 1982، ص ص47-48

[2] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص121

الدّرس السادس: مراحل الحكم العثماني في الجزائر وأهم مميزاته: عهد البايلر بايات (1519-1587م):

لقد اعتاد المؤرخون على تقسيم الحكم العثماني في الجزائر إلى أربع مراحل هي:

❖ 1.المرحلة الأولى: عهد البايلر بايات (1519-1587م):

يعرف بعهد البايلرباي ومعناه أمير الأمراء وهو لقب يمنحه الخليفة العثماني مع كوة الشرف أي قفطان لأمير الناحية، كان أوّل من حمل هذا اللقب هو خير الدين وقد حكم هذه الفترة حوالي 20حاكما عاد عدد منهم إلى الحكم مرتين أو أكثر، وكان عدد منهم يحملون لقب بايلرباي كحسن بن خير الدين، صالح رايس، علج علي، في حين كان آخر عبارة عن خلفاء للبيلربايات ينوبون عنهم في الحكم عندما يستدعون من قبل السلطان[1]. وكانت سلطتهم تصل إلى باشوات تونس وطرابلس وكانوا يتصرّفون باستقلالية ويتمتعون بثراء كبير، وكان يتم تعيينهم على رأس الولاية أو الباشوية على حسب المعايير الآتية: الثقة وشجاعتهم وذكائهم وشهرتهم في مقاتلة الأعداء إلى جانب حسن التسيير. ودام عهد البايلربايات 70سنة واتسم بعدّة مميزات التي نستعرضها بإيجاز.

– **أهم المميزات**:انسحب خير الدين إلى قاعدته القديمة جيجل وبقي فيها حوالي ست سنوات من 1521-1527م وبذلك فقد أقامت جيوش ابن القاضي في مدينة الجزائر وبدأوا يرتكبون الأخطاء ويثرون الفوضى في نهب الغنائم وغيرها، بالمقابل استغلها خير الدين في إعادة بناء أسطوله والقيام بهجمات على السواحل الأوربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط مثل: إيطاليا، اسبانيا وفرنسا، كما قام بالاستيلاء على المدن المتبقية من الجزائر كالقل وقسنطينة عام 1521وعنابة 1522والحضنة والقبائل ومتيجة عام 1525وفي عام 1527عاد إلى مدينة الجزائر وذلك بطلب من أهلها، الّذين عانوا من جور ابن القاضي.

وبعد أن تمكن خير الدين من استرداد الجزائر وتطهيرها من المنوئين له، اتجه نظره صوب قلعة البنيون قبالة المدينة، فكان من الضروري إزاحة هذه الشوكة الجاثمة على صدر هذه المدينة، كان أمام خير الدين بربروسة في وضعه السياسي والعسكري الجديد أن يحارب على جبهتين:

1–الجبهة الإسبانية لطرد الإسبانيين من حصن البنيون(Penon): ولما عزم خير الدين على فتحه لم يجد من البارود ما يدفعه للقيام بذلك، لهذا اشترى المدافع الكافية بضرب الحصن من جربة، ثم

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص45

اقتحم الحصن مع قوات كثيفة العدد كانت تحملها خمس وأربعون سفينة جاءت من الساحل وأسر قائد الحصن مع كبار ضباطه وأخذ الغنائم، إذ بمجرّد تحرير حصن البنيون في 1529م هدّمه وبنى ما عُرف بحوض خير الدين، وذلك لتأمين السفن من الرياح الشمالية الغربية، وأنشأ حصناً ذا أربعة طوابق، يحوي على فوّاهات لرمي النيران لحماية المدينة وحوض السفن من أي خطر[1] وربطها بالمدينة عن طريق رصيف استخدم فيه بقايا أنقاض الأبراج الإسبانية فكان أساس تكوين ميناء الجزائر الذي استكملت تجهيزاته وأقيمت أبراج الحراسة حوله من طرف الأسرى الاسبان في فترة وجيزة (1530-1532م)، وبهذا أصبحت مدينة الجزائر طيلة العهد العثماني من الموانئ الحصينة والمراسي التي تتوفر على دار لصناعة السفن، ومنذ ذلك التاريخ أصبح ميناء الجزائر عاصمة كبرى للمغرب الأوسط، بل ولكلِّ شمال أفريقيا العثمانيّة فيما بعد، وبدأ استخدام مصطلح الجزائر للدلالة على إقليم الجزائر حتى نهاية القرن الثامن عشر.

2-الجبهة الداخلية: وكانت تتمثل في محاولة توحيد المغرب الأوسط التي لم تخل من مؤامرات بني زين والحفصيين ومن بعض القبائل الصغيرة، ولكنه استطاع مد منطقة نفوذه باسم الدولة العثمانيّة ودخلت الإمارات الصغيرة تحت السيادة العثمانيّة لكي تحتمي بهذه القوة من الأطماع الصليبية الإسبانية ومن قهرها على اعتناق النصرانية.

وناب عنه في حكم الجزائر أحد أتباعه من أعلاج سردينا وهو حسن آغا (1533-1544م) فواصل جهود خير الدين في توحيد البلاد وإقرار الأمن، فاستولى على قلعة بني راشد 1540م وحد من تمرد أخ ابن القاضي بجرجرة وبسط نفوذه على الشرق الجزائري فدانت له أحلاف الحنانشة والنمامشة وأخضع أولاد صولة المستبدين ببسكرة 1541م وولى حكم الزاب علي بوعكاز شيخ قبائل الدواودة ومنحه لقب شيخ العرب.

3-حملة شرلكان على مدينة الجزائر: 19أكتوبر-03نوفمبر1541م:

تعد حملة شارلكان من المواجهات الحاسمة في تاريخ المغرب العربي الحديث ومن الانتصارات العثمانيّة المدوية بغرب المتوسط، فقد عزم الإمبراطور شارلكان على مهاجمة الجزائر لعدة أسباب من بينها:

✓استغل الاسبان فرصة الهدوء في القارة إثر عقدهم الصلح مع فرنسا[2].

---

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص46

[2] مُحَمَّد خير الدين فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، بيروت: دار الشرق العربي، 1969، ص36

✓إرادة شارلكان ورجال إسبانيا الانتقام للشرف الإسباني الذي نال منه انكسارهم أمام الجزائر سنة1519م.

✓تحطيم قوتها البحرية انتقاماً من غارات خير الدين على السواحل الإيطالية والأسبانية.

✓رداً على سقوط قلعة النيون.

✓تخفيف الضغط على أملاك الإمبراطورية بوسط أوروبا والتي كانت تتعرض لهجمات جيوش السلطان سليمان القانوني.

وقد ورث حسن آغا وضعية حرجة فقد كانت مختلف الأخبار التي ترد على الجزائر تفيد أن ملك إسبانيا شارل الخامس يعد حملة ضد الجزائر، وكان لتلك الأخبار أثرها البالغ في نفوس الأهالي مما دفعه إلى تسخير كافة جهوده على الجبهة الداخلية للتصدي للعدو، فجمع القوى لمواجهة مختلف الاحتمالات، كما راح حسن آغا يشجع الجهاد البحري كما أنه لم يكتف بضرب العدو في عقر داره، بل التفت إلى تحصين المدينة من ذلك تحصينه للبنيون[1].

وقد أولى الإمبراطور هذه الحملة أهمية كبيرة، جمع لها إمكانيات بشرية ومادية ضخمة من إمبراطوريته الواسعة، فقد شاركت الكنيسة الكاثولكية فيها، في سنة 1539م قوافق البابا على منح الإمبراطورية نصف مداخيل الكنيسة، كما كتب في هذا الصدد إلى كرادلة طليطلة وبورغوس وأسقف أشبيلة ومطران قرطبة.

وللإشارة فإن شارلكان قد تفاوض مع خير الدين قبل الحملة، في محاولة منه لإقامة حلف ضد كل من الإمبراطورية العثمانيّة وفرنسا حليفتها لكن خير الدين اشترط أن تكون له بلاد المغرب كلها، من سواحل المحيط الأطلسي إلى طرابلس، وتوقفت المفاوضات لما اكتشف شارلكان أن خ أن حير الدين كان يُطلع السلطان العثماني وملك فرنسا بتفاصيل هذه المفاوضات مع هذا لم ييأس وفاوض حسن آغا عن طريق حاكم وهران، لقد جعلت هذه المفاوضات الأخيرة الاسبان يعتقدون أن حسن آغا سوف يسلمهم مدينة الجزائر بمجرد وصولهم إليها.

وطلب شارل الخامس من حكام الحاميات الإسبانية إعداد تقارير عن أوضاع الجزائر، فقد أعاد حاكم بجاية تقريراً تضمن أخباراً في غاية الدقة عن حالة الجزائر، وبعد سلسلة من التحضيرات الطويلة انطلق الأسطول من مدينة ماهون يوم 18أكتوبر1541م، ضم أسطول الحملة حسب المصادر الاسبانية تتكون من 24000جندي من الألمان والإيطاليين والإسبان، كما كانت تضم فرسان مالطة ومتطوعين

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص27.

من أجناس أخرى، وكان شارلكان هو القائد العام لها، وإلى جانبه العديد من الشخصيات البارزة مثل فرناند كورتيس فاتح المكسيك، مصحوباً بولديه،وكولونا قريب البابا والكونت دالكوديت حاكم وهران.

انتاب سكان المدينة من جراء رؤيتهم لتلك الحملة فزع كبير، لكن حسن آغا نجح في أن يعيد الطمأنينة في نفوس الأهالي فجمعهم وجعل يسكنهم ويطيب نفوسهم. ثم انتقل حسن آغا إلى التصدي للعدو فحشد كل ما لديه من قوى، وأعلن عن التعبئة العامة، حيث أمر شيخ المدينة أن يطلب من السكان التزام قواعد الحراسة المعينة لهم، مختلف الأبراج والبطاريات والأسوار وفور ذلك نصبت عليها الأسلحة والرايات الخضراء والصفراء المزينة بالهلال، وببعض الآيات القرآنية.

ثم امتطى فرساً، وأصبح يجوب له شوارع المدينة مراقباً سير الأعمال عن كثب، بل أنه أشرف بنفسه على توزيع فرق الانكشارية[1] على كافة أبواب المدينة. وبينما الاستعدادات حثيثة، جاءه مبعوث إسباني يدعى لورانزو حاملاً رسالة من شارل الخامس مما جاء فيها:"...تحقق آني مالك هذه المدينة كما ملكت مدينة تونس...وقد بذلت لك الأمان. فإنك إن عاندت ولم تمل إلى ما دعوتك إليه أمرت العسكر يدفعون المدينة دفعة واحدة، ويقلعونها حجراً حجراً". وفور قراءة حسن آغا لنص الرسالة بعث إليه برد شديد اللهجة:"يا كلب النصارى ما قدرت على أضعف بلاد البربر فكيف على مدينة الجزائر. وقد سود الله وجوهكم في المرتين وهذه المرة كذلك إن شاء الله"!.

وكانت الخطة التي طبقها حسن آغا محكمة، إذ قرر مهاجمة العدو ليلا مما جعله يلحق خسائر جسيمة بالعدو، وفي اليوم الثاني زحف الجيش الإسباني نحو المدينة فتعرض إلى قصف متواصل بالمدافع والسهام من أسوار المدينة وأبراجها، وعلى الرغم من ذلك عسكر شارلكان في أعالي كدية الصابون المعروفة اليوم بحصن الإمبراطور، واستمرت المعركة بين الطرفين.

وفي اليوم الموالي تدخلت العناية الإلهية، إذ وقعت زوبعة عصفت بالأسطول لتزيد من خسائر العدو حيث تحطم عدد كبير من السفن وغرقت سفن أخرى كما غرق عدد كبير من الاسبان، واستطاع عدد من الأسرى المسلمين الذين كانوا يجذفون على متن السفن الإسبانية أن ينجوا من قبضة الأسرى، فاضطر الإسبان إلى التراجع منهزمين نحو وادي الحراش شرق مدينة الجزائر، وقد ترك الإمبراطور شارلكان عند انسحابه مع جماعة من جيشه أعداداً ضخمة من القتلى وكميات كبيرة من العتاد؛ إذا قدرت بعض

[1] جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع بباياك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف: كمال فيلالي، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2007-2008، ص ص2، 11.

الروايات خسائر جيش الإمبراطور شارلكان بـ12000 بين قتيل وأسير ومفقود و114مركباً منها 14 من نوع السفن الكبيرة "غليوطات".

ولعل أهم الأسباب التي ساعدت على هزيمة حملة شارلكان تتمثل في استخفاف قادة شارلكان بقوة الجزائريين وتركه جزءاً مهماً من العتاد والمؤن والخيل بالسفن التي أتلفت بفعل ارتطام السفن ببعضها بفعل تلاطم الأمواج الذي تسببت فيه العاصفة، كما تعود إلى استعداد سكان الجزائر والتفافهم حول حسن آغا للدفاع عن المدينة متأثيرين بدعوات الفقهاء والمرابطين للجهاد، وكذلك لاندفاع الأندلسيين الراغبين في الانتقام من الإسبان وانعدام سند للمهاجمين الإسبان من الأهالي؛ إذ لم يقدر أنصار ابن القاضي المعادي للأتراك من الالتحاق بالجزائر وتقديم العون للإسبان.

بهذا الانتصار أصبحت الجزائر بمثابة الجبهة المتقدمة في الصراع الإسلامي المسيحي بغرب المتوسط، وتحولت إلى قلعة تحطمت عليها الأطماع الإسبانية التوسعية الهادفة لتحويل المتوسط الغربي إلى بحيرة نفوذ للقوى المسيحية.

وعلى إثر هذا الانتصار عمت الفرحة الكبرى بمدينة الجزائر، وأقيمت الأفراح، وظل السكان يحتفلون بذكرى الانتصار لمدة ثلاثين سنة.كما صفق اليهود لهذا الانتصار نظراً لحقدهم على الإسبان الذين اضطهدوهم، وأمر السلطان سليمان القانوني أمراً يقضي بتأكيد حسن آغا كحاكم على الجزائر كما كان لكارثة الأرمادة على الشواطئ الجزائرية نتائج عظيمة بأوروبا فقد منعت الدول الأوروبية عن التفكير في توجيه حملة عسكرية أخرى ضد الجزائر إبان القرن السادس عشر. واشتهرت مدينة الجزائر منذئذ بالمدينة ذات الحراسة الجيدة التي لا تغلب وبل وبالمدينة المصونة والمحفوظة من طرف العناية الإلهية فعرفت بالجزائر المحروسة[1]. وهذا ما عبرت عنه رسالة بعث بها مسلمو غرناطة إلى سليمان القانوني بعد هذه المعركة مؤرخة أواخر نوفمبر1541م وصفت الجزائر بأنّها: "سياج لأهل الإسلام وعذاب لأهل الكفر والطغيان".

وبعد ذلك وجه حسن آغا أنظاره صوب الأوضاع الداخلية التي شهدت اضطرابات وتمردات تزعمها بعض الأمراء في ذلك، إذ تمرد شيخ قبيلة كوكو، الذي سعى إلى التعاون مع الإسبان ضد حسن آغا حيث سار بجيشه نحو الجزائر ليقدم المدد والمساعدة لشارل الخامس لكنه لحسن الحظ فإن المساعدة لم تتم، إذ جاء وصولها متأخراً فقد كان الأسطول الإسباني قد غادر الجزائر. ولما علم حسن آغا بتلك الأحداث قرر معاقبته لكن فصل الشتاء جعله يؤجل ذلك إلى فصل الربيع، حيث خرج على رأس ثلاثة

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص32

آلاف جندي وألفي فارس تمكن بفضل هذه القوة أن يرغم أمير كوكو على الإستسلام، والتعهد بدفع ضريبة سنوية، ومن الناحية الشرقية انتقل حسن آغا إلى الناحية الغربية قصد إخضاع المولى أحمد بعد أن أظهر الولاء له فسار حسن آغا نحو تلمسان لكن المولى أحمد تدرك الموقف فبعث إليه برسل وهدية ثمينة معتذراً عما فعله، فرجع حسن آغا بعد أن تمكن من إخماد التمردات واسترجاع الأمن إلى البلاد. وظل يعمل جاهداً في ذلك المسعى حتى وافته المنية في جمادى الثانية عام950هـ الموافق لـ سبتمبر1545م.

ليخلفه بعد ذلك حسن بن خير الدين فقد انصب اهتمامه أثناء توليه أمور الجزائر على قمع حركات التمرد وتنظيم الإدارة وتعزيز الدفاعات على السواحل الجزائرية إذ قسم البلاد الجزائرية إلى مقاطعات رئيسية، كما استمر حسن بن خير الدين في التصدي للإسبان فضيق الخناق عليهم بوهران والمرسى الكبير، وحدّ من تطلعات السلطان السعدي مُحَمَّد الشيخ المهدي نحو تلمسان وأقاليمها بعد حصار دام تسعة أشهر 1550م، وتقدم منها بجيش يقدر بثلاثين ألف رجل نحو مستغانم 1551م فوجه له حسن بن خير الدين قوة من الإنكشارية بقيادة حسن قورصو، ألحقت الهزيمة به بنواحي الشلف، وبعد تكبده هزيمة ثانية بالوادي المالح على يد جيش قوامه 14000 كان على رأسه حسن بن خير الدين فاضطر الملك السعدي إلى الانسحاب إلى المغرب، وقد ساعد ذلك حسن بن خير الدين على تنحية أبي زيان أحمد حاكم تلمسان.

وحينما غادر حسن باشا بن خير الدين الجزائر في فصل الربيع من عام 1552 تولى السلطة بعده صالح رايس، فقد واصل جهوده حيث مد النفوذ في المناطق الداخلية حيث وجه حملته الشهيرة إلى منطقتي ورقلة وتوقرت بعدما امتنع شيوخها على تقديم ما عليهما من ضرائب حيث سار في شهر أكتوبر 1552م على رأس حملة عسكرية فقوامها 3000 من المشاة و1000فارس. وانضم إليه في مجانة عبد العزيز حاكم قلعة بني عباس. وبدأ صالح رايس بتوقرت فهاجمها واستسلم إثر ذلك شيخها ورضخ لسلطته ثم قصد ورقلة التي بادر شيوخها ولهذا فقد أخضعهما وأرجعهما ضمن الوحدة الوطنية جالبا معه غنائم وفيرة[1]. وبهذا فقد أخضع الأغواط ووادي سوف وألزم سكانها بتقديم الضرائب والاعتراف بالسلطة المركزية بالجزائر.

بعدها حاول صالح رايس ربط علاقة تعاون مع الفرنسيين بعد نيلهم الامتيازات من الدولة العثمانيّة، فسمح لهم مقابل إتاوات من تكوين الشركة المرسيلية التي جعلوا مقرها بأحد الحصون على السواحل الشرقية غرب القالة عرف بحصن فرنسا (Bastion de France)1553م، وقد تطور نشاط هذه الشركة

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص34

فحصلت على أرباح كثيرة من صيد المرجان وتصدير الحبوب بعد أن وجد وكيلها الكرسيكي توماس لانش وشريكه كارلان ديديي الحماية من ديوان الجزائر والتشجيع من ملك فرنسا شارل التاسع.

وفي أول عام 1554م شن صالح رايس حملة أخرى على المغرب الاقصى صحبة أبي حسون الوطاسي الذي كان يحاول استرجاع عرش أجداده من السعديين ووصل صالح رايس إلى فاس وأرغم الشريف المهدي على الفرار وتنصيب أبا حسون على عرش المغرب تحت حماية الأتراك ولكن سرعان ما حاول مُحَّد المهدي السعدي أن يحتل تلمسان بالتعاون مع الاسبان فطارده إلى أحواز فاس دون أن يحاول احتلالها.

4-تحرير مدينة بجاية:

إذ كان صالح رايس قد تمكن من استمالة ملك كوكو بسهولة قبل الحملة على فاس، فإن الامر لم يكن سهلاً مع أمير بني عباس، لم يتمكن من تحقيق المصالحة مع هذا الأمير الطامح لإمارة واسعة إلا بعد أن اتخذ قرار إعلان الحرب على الاسبان في بجاية، لقد اتخذ صالح رايس هذا القرار على الرغم من نقص الإمكانيات التي كانت تحت تصرفه المباشر، إذ أن هذا النقص كان بسبب أنّ السلطان العثماني أمر البايلرباي بتوفير أكبر عدد ممكن من السفن والجنود للفرنسيين حلفائه، قصد إعانتهم في الحرب التي كانوا يخوضونها ضد ملك إسبانيا فليب العدو التقليدي للإمبراطورية العثمانيّة، لقد قدم صالح رايس للفرنسيين 20 قطعة بحرية محملة بالرجال والمدفعية ومعلوم أنّ الدولة العثمانيّة تربطها بفرنسا معاهدة موقعة سنة 1535م تؤكد على توطيد التعاون والسلم بين الدولتين.

دعا صالح رايس القادة الأهالي للمشاركة في المجهود الحربي ضد الإسبان المشغولين بالحرب في أوربا جمع أكثرمن 30000رجل من الخيالة والمشاة، جندهم ملك كوكو وأمير بني عباس وقاة آخرون، جند أمير بني عباس حوالي 800 رجل من الخيالة والمشاة وانضم إليه سكان الصومام وإخوان سي مُحَّد الهادي، وهو رئيس الطريقة القادرية الّتي كانت شعبيتها تمتد حتى غاية الجهات الأكثر بعداً في بلاد القبائل[1].

حاصر صالح رايس مدينة بجاية من جهة البر بأربعين ألفا من المقاتلين كان من بينهم عشر آلاف من الفرسان المسلحين بالبنادق والقدافات، ومن جهة البحر بامئتين وعشرين من السفن الحربية والقاليرات[2]، وبعد مواجهة عنيفة تيقن حاكم بجاية بأنه وحاميته في حالة يائسة فاضطر إلى الاستسلام، فتمكن

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص78-79

[2] مارمول كربخال، إفريقيا، ج2، تر: مُحَّد حجي وآخرون، الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، 1989، ص ص379-380

بتاريخ 28 سبتمبر1555م بأن يستعيدها من قائدها الشهير الدون ألونزو دو بيرالتا (Alson de Piralta) ودخل صالح رايس المدينة وأفرج عن الحاكم الإسباني وعشرين ضابطاً وعائلاتهم وفي الوقت ذاته أسر نحو ستمائة أسير. وكان مصير قائدها الإعدام من قبل الملك فيليب الثاني عقاباً له على تضييع بجاية بالمقابل كان استرجاع بجاية انتصاراً عظيماً حيث فقد الاسبان قاعدة إستراتجية على الساحل الشرقي. وكان استرجاع بجاية حافزاً على الشروع في تحضير حملة عسكرية لتحرير وهران لكنه وفاته المنية بينما كان ببرج تامنتفوست[1] يترقب وصول الإمدادات من استانبول عام1556م.

وحينما تولى حسن باشا السلطة للمرة الثالثة عمل على وضع أسس التنظيمات الإدارية والعسكرية إذ ينسب إليه تقسيم البلاد إلى مقاطعات عرفت بالبليلكات(سيتم التفصيل هذه النقطة في التنظيمات الإدارية) وعمل على طرد الإسبان من وهران حيث وجه حملة في 1563م وحاصرها وأوشك على تحريرها لكن الجيش الانكشاري ثار ضده فغادر حسن بن خير الدين الجزائر نهائياً أوائل 1567م، أمّا بعد نكبة ليبانت عام1571م فقد لجأ السلطان العثماني إلى بايلرباي الجزائر علج علي وعيّنه أميرالا للأسطول العثماني، وكلّفه بتجديد الأسطول وتعويض ما دمّر منه، فتم ذلك في وقت قياسي، إذ في جوان 1572م خرج الأسطول العثماني الجديد بأزيد من 200سفينة شيني و8سفن قلاع تحت قيادة علج علي، وبذلك فوّت الفرصة على أعداء الدولة العثمانيّة في الإنتقام منها والقضاء عليها بعد تدمير أسطولها.

أمَّا فيما يخصّ المجال الآخر للمساهمة الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانيّة فتمثل في المشاركة في حصار مالطة 1565 ونجدة فرنسا (1542-1543م) وفي فتح تونس1574م. إذ يعد عهد البايلربايات من أزهى مراحل الحكم العثماني في الجزائر، فقد يعد نشأة لنواة كيان سياسي بحدوده وعاصمته وأقاليمه[2].

---

[1] هو حصن عثماني يقع في مدينة تامنفوست التابعة لولاية الجزائر إذ يعتبر الحصن واحداً من العديد من الحصون العثمانيّة التي بنيت خلال الحكم العثماني للجزائر من أجل حماية مدينة الجزائر العاصمة. تم بناء "برج تامنتفوست" في سنة 1661م من طرف "رمضان آغا" تحت سلطة "إسماعيل آغا" أثناء مرحلة الأغوات في إيالة الجزائر، وتمت إعادة ترميم وبناء هذا الحصن في سنة 1685م أثناء مرحلة الداي "حسين ميزو مورتو" غداة الهجوم البحري الأول في 1682م ثم الهجوم البحري الثاني في 1683م الذين قادهما "أبراهام دوكاسن" على مدينة الجزائر خلال سنتي 1682م و1683م، وتم استخدام أغلب مواد بناء هذا الحصن بعد اقتلاعها من أطلال المدينة القديمة روسقونيا الواقعة في بلدية المرسى. وكان مدفع هذا الحصن يُعلن بطلقاته وصول وتعيين "الباشا الجديد" المعين في إيالة الجزائر من طرف الباب العالي في إستانبول. للمزيد يرجى العودة إلى: هجيرة تمليكشت، "التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنتفوست نموذجا"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع:17، فبراير2016، ص ص352،332

[2] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص48

الدّرس السابع: مرحلة الباشوات(1587-1659م):

في شهر جوان توفي علج علي، وكان يحتفظ بلقب بايلرباي رغم تركه الجزائر وتعيينه أميرالا للأسطول العثماني في 1571م، فعزم السلطان مراد الثالث إلغاء نظام البايلربيات واستبداله بنظام الباشوات وهذا لأسباب متعددة ولعل من أهمها:

- ✓ إنهاء الصراع العثماني الإسباني بإقرار توازن دولي بالمتوسط إثر أحداث مهمة حدت من التوسع العثماني مثل فشل حصار مالطة 1561م وانكسار الليبانت1571م.
- ✓ إبعاد الإسبان نهائياً عن تونس(982هـ/1574م).
- ✓ عقد الدولة العثمانيّة معاهدة مع عدّوها إسبانيا في 1580م.

وبالتالي تحول مجال سياستها نحو المشرق وبالتالي قد يشجع البايلربيات الذين كانت تخضع لهم تونس وطرابلس الغرب على ضم المغرب وتشكيل وحدة سياسية متماسكة تستقل عن مقر السلطة العثمانيّة في إستانبول. ويبدو أن هذه المخاوف غذاها السفراء الغربيون بعاصمة الخلافة الذين كانوا يخشون من وقوع وحدة سياسية في الضفة الجنوبية للمتوسط، وكان الباشوات يعينون من قبل السلطان مباشرة من استانبول مدة ثلاث سنوات، واقتصرت مهمتهم على جمع المال والمحافظة على الأمن وتنفيذ تعليمات السلطان وتجنيد الجيش أثناء الأزمات والجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية. تعاقب على حكم الجزائر حوالي 27 باشا، تولى بعضهم لعدة مرات كان أولهم دالي أحمد باشا(995-997هـ/1587-1589م) وآخرهم إبراهيم باشا (1067-1069هـ/1657-1659م) إذ لم تعرف الجزائر الاستقرار والهدوء لكثرة عدد الباشوات الذين تعاقبوا عليها وانصراف أغلبهم إلى جمع الثروات وذلك رغم نشاط البحرية وامتلاكها مصادر دخل كبيرة من الغنائم وجماعات الأسرى المسحيين إلى جانب عدم اقتصار عهد الباشوات على الصراع على السلطة بين الأوجاق والباشا وإنما تجاوز ذلك إلى التأثير على الجوانب الاجتماعية، فالباشا لا يمكنه فهم تعقيدات الحياة السياسية والقضايا المطروحة في الإيالة في مدة ثلاث سنوات وبمجرد أن تشح أموال الخزينة كان الباشوات يلتجؤون إلى فرض الضرائب على المدن والأرياف مثلما حدث في 1634م في عهد يوسف باشا ممّا يفتح مجال التمرّدات فقد ظهرت سلسة من الثورات في منطقة القبائل الذين رفضوا دفع الضرائب في عهد خضر باشا(1589-1592م) وتجددت في عهد خلقه شعبان باشا ثم في 1640م في عهد أبي جمال يوسف باشا، كما ظهرت أول ثورة للكراغلة1633م. فابتداء من عهد مصطفى باشا(1596-1599م) استفادت فرنسا من امتيازات قنصلية في الجزائر، غير أن وقوع تجاوزات في عهد خضر باشا جعلت الجزائريين يهدّمون المركز التجاري

بالقالة ويسجنون قنصلها، ثم عقدت معاهدة مع فرنسا في عهد مُحَمَّد كوسة باشا ونصت هذه المعاهدة على:

- ✓ إطلاق سراح الأسرى من الجانبين.
- ✓ التوقف عن الأسر من الجانبين.
- ✓ مسالمة البواخر الفرنسية في البحر.
- ✓ تعيين قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بالحصانة.
- ✓ إعادة بناء مركز القالة الفرنسي التجاري[1].

غير أنّ الديوان رفض تنفيذ هذه المعاهدة فأرسل الباب العالي مندوباً لإقناع الديوان ولكن هذا الأخير لم ينجح بل ثار أهل الجزائر ورجال الديوان على المندوب وعلى الباشا ممثلي الباب العالي، وتوترت العلاقات بين الجزائر وفرنسا. وقد حاول خيضر باشا في عام 1596م أن يستعين بالكراغلة والأهالي للقضاء على الفرقة الإنكشارية المهيمنة ولكن محاولته باءت بالفشل ومنذ ذلك الحين اضطر الباشوات إلى بآراء الديوان الذي كان يسيطر عليها رؤساء الجند، فأصبحت قراراتهم تصدر بهذه العبارات: "نحن باشا وديوان ميليشيا الجزائر التي لا تغلب".أمّا فيما يخص بقية القوى فقد شجعها حال الفوضى الداخلية والصراع بين الأوجاق[2] والرياس من جهة والباشا والباب العالي من جهة أخرى ممّا جعل الجزائر تصبح هدفاً للاعتداءات الغربية خلال فترة الباشوات، ففي عهد مُحَمَّد كوسة باشا(16031605م) تعرضت أزفون لهجوم إسباني، وفي1607م هاجم الطوسكان عنابة وفي 1610م هاجم الإسبان جيجل، كما حضرت سفن هولندية أمام السواحل الجزائرية واضطر الديوان إلى عقد اتفاقية مع هولندا، كما عقد الديوان اتفاقية تجارية مع إنجلترا في عهد أحمد باشا(1653-1655م) بعد حملة إنجليز على الجزائر.في مجمل القول يمكن أن ننوه بأن نظام الباشوات الذي فرضه السلطان على الإيالة ابتداء من 1587م كانت له نتائج وخيمة على البلاد والعباد، إذ تسبب في شيوع الفوضى والاضطرابات وفتح الباب للنزاع بين الباشا والبحّارة والأوجاق، فلذلك كانت ثورة الأغوات التي شكلت فصلاً آخر في تطور النظام السياسي في الجزائر خلال الفترة العثمانيّة.

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...المرجع السابق، ص37.

[2] الأوجاق UCAK(أوتشاق): ويعني لغويا " الموقد"، وهو محور تجمع الأسرة ومصدر دفئها، كما يعني المنزل أو الأسرة، ويطلق على الوحدات العسكرية، الكبيرة والصغيرة، وفي كثير من الأحيان يطلق على الإيالة العثمانيّة، ومعنى ذلك أن الإنكشارية أسرة موحدة يجمعها" كانون واحد." ينظر: جميلة معاشي، المرجع السابق، ص8

الدّرس الثامن: مرحلة الآغوات(1659–1671م):

في عام 1659م قرر الجند حسم الصراع القائم بينهم وبين الولاة العثمانيين أي الباشوات حيث قرر الديوان إلغاء منصب الباشا وإسناد السلطة إلى قادة الأوجاق[1].

وسبب تحول السلطة من أيدي الباشوات إلى رؤساء الحامية من الآغوات بإقرار من الديوان وموافقة الجند 1659م يعود إلى سياسة الباشا إبراهيم التي كانت سبباً مباشراً في ذلك، إذ أرد أن يمتنع عن تسديد أجور الجند واقتطاع مبلغ من المكافأة الموجهة لطائفة الرياس من قبل السلطان، مما دفع بالمؤسسة العسكرية بشقيها تثور عليه وتقرر إلغاء منصب الباشوية وزج الجند بالباشا إبراهيم في السجن، وعلى إثر ذلك أرسل السلطان الباشا علي ليستلم مهامه لكنه وجد وضعاً سياسياً صعباً للغاية بسبب العصيان الصريح الذي أعلنه الجند ضد أي مظهر لتبعية السلطان فألقوا عليه القبض رقثة من رافقوه ووضعوهم على متن سفينة وعاد من حيث أتى، ولما علم الصدر الأعظم مُحَمَّد كوبرلو باشا بمجريات أحداث الجزائر أصدر أمراً بقتل الباشا علي الذي أخفق في فرض هيبة السلطان، وفي الوقت ذاته أرسل فرماناً شديد اللهجة إلى الجزائريين جاء فيه: "...لن نرسل إليكم والياً بايعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر...إذا اقتربتم من الممالك العثمانيّة فلن تكونوا راضيين..."[2].

كما أرسل فرمانا آخر إلى البحارة في جميع السواحل العثمانيّة، و إلى والي مصر و شريف مكة، يطلب منهم منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج و عدم بيع السلاح لهم، و عدم السماح لهم بالاقتراب من السواحل العثمانيّة.

ندم الجزائريون كثيراً، وظل وفدهم عاماً كاملاً في إزمير دون أن يسمح له مقابلة الصدر الأعظم، كما أرسلوا وفدا آخر لطلب الشفاعة من السلطان وقد اعترفوا بذنبهم وقالوا للسلطان لو أرسلت لنا كلباً لقبلناه باشا علينا، وبالرغم من ذلك فإن الصدر الأعظم كوبرلو مُحَمَّد باشا لم يستمع لهم ولم يغفر لهم ولن يقبل شفاعتهم.

عقب وفاة كوبرلو مُحَمَّد باشا عين ابنه فاضل أحمد باشا صدراً أعظم مكانه، فكلف الجزائريون القبطان قره مصطفى باشا بالذهاب إلى إستانبول وحملوه الهدايا الثمينة والتحف الجميلة، فعفا عنهم بعد أن تعهد القبطان له بأن الجزائريين يلتزمون بأوامره، وبناء على ذلك أرسل السلطان القابجي بوشناق إسماعيل باشا آغا بطوخين أمير أمراء الجزائر 1661م.

---

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص52

[2] نفسه، ص53

قبل الجزائريون الباشا الجديد ممثلا للسلطان، وسلموه إدارة خاصة به، وقد خرج الجميع لاستقباله، لكنهم قرروا أن الأحداث الأساسية والإدارة الفعلية بيد آغاهم[1]، ونتيجة لتمرد الانكشاريين واستلامهم زمام الأمور انتخب خليل آغا كأول آغا على الجزائر.

وكان الآغوات ينتخبون من الفرقة الإنكشارية لمدة شهرين فقط وبحسب الأقدمية، ممّا جعل الانكشاريين يطمعون في الوصول إلى منصب الآغا. ورغم وجود الباشا فإنّه جرد من كل صلاحياته وقد تناوب على منصب الآغا أربعة أغوات، وكلهم اغتيلوا من قبل الجنود بسبب محاولة احتفاظهم بمنصب الآغا أكثر من المدة القانونية المحددة لهم أو لعجزهم عن دفع رواتب الحنود، وفي عهدهم شهدت الجزائر عدّة اضطرابات داخلية فاشتد الصراع بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية كما تعرضت البلاد إلى عدة غارات أوروبية وأطماع استعمارية منها ومن أهم أحداثها مايلي:

في الميدان الخارجي حاول ديوان الأوجاق أن يحسن علاقاته مع فرنسا ولكنّها أعرضت عن ذلك وواصل القراصنة الفرنسيون اعتداءاتهم على السفن والمراكب الجزائرية في البحر وعلى شواطئ الجزائر نفسها واشتدت حالة الحروب البحرية بين البلدين وعادت بالأضرار على التجارة الفرنسية وعلى الأوضاع الداخلية بالجزائر. فدخل حلبة الصراع ضد الجزائر إلى جانب الفرنسيين كل من قراصنة الانجليز، والاسبان، والهولنديين وكاد الأمر أن يتحول إلى تحالف أوروبي ضد الجزائر لولا أن السلطات الجزائرية كانت حاذقة واتبعت محالفة البعض ومعادات البعض الآخر على التوالي تجنباً لقيام جبهة أوروبية ضدها، فصالحت الهولنديين سنة1633م لتتفرغ لمحاربة الفرنسيين وصالحت فرنسا لتحارب الانجليز والهولنديين وصالحت عام1671م الانجليز لتعود إلى الحرب ضد فرنسا.

1-أطماع لويس الرابع عشر[2] في الجزائر:

لقد كان لويس الرابع عشر(1643-1715م) شديد الحقد على الإسلام والمسلمين وفي نفس الوقت كانت له أطماع استعمارية. كما أنّ وزيره كولبير(Colbert) كان شديد الاهتمام بإحياء التجارة الفرنسية بالمشرق وتأسيس إمبراطورية استعمارية فرنسية فيما وراء البحار ولما كان ذلك لا يتأتى ولا

---

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص53

[2] لويس الرابع عشر (Louis XIV): (05سبتمبر1638م/1سبتمبر1715م): أحد أبرز ملوك فرنسا في أسرة البوربون. استبشر الفرنسيون خيراً بولادته بعد انتظار والديه نحو عشر ين عاماً، حكم فرنسا 54 عاماً، فقد ارتكزت قاعدة العمل لديه على الطاعة في الداخل والسمعة الحسنة في الخارج هو صاحب الملكة الشهيرة"الدولة هي أنا". ينظر:مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا عصر النهضة (1500-1789م)، ج2، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003، ص119

يتحقق ما دامت بحرية الجزائر القوية صاحبة السلطة والنفوذ الواسع في البحر المتوسط الغربي، فقد جرى الاهتمام بوضع الخطط لتحطيمها والعمل على احتلال الجزائر نفسها وتم إرسال بعض الجواسيس إليها منذ 1658م لدراسة أوضاعها واختيار المكان الملائم لاحتلالها. فاقترحوا على كولبير (Colbert)عام1662م احتلال القل وجيجل فحشد قوات كبيرة ووجهها لاحتلال القل في ربيع عام 1663م فتعرضت لفشل ذريع كما تعرضت لهزيمة ساحقة أمام مدينة الجزائر عندما اتجهت إليها في نفس العام. وفي جويلية 1664م وجه لويس حملة عسكرية غارة القائد الفرنسي بوفور (Duc Beaufourt) على مدينة جيجيل في عام1664م، وفشلوا في هجومهم على شرشال سنة1665م لذلك اضطرت فرنسا مفاوضة الجزائر وإمضاء اتفاقية بتاريخ 7ماي1666م التي نصت على تطبيق اتفاقية 1628م ومسالمة سفن في البحار وإطلاق الأسرى من الجانبين وبعد إبرام المعاهدة حصل هدوء نسبي بين البلدين[1].

2-أطماع الانجليز:

لم يتعظ الإنجليز بما لحق فرنسا من خسائر في تجارتها وتجربتها فأخذوا يهاجمون الجزائر منذ عام 1669م ويعتدون على مراكب الجزائر في عرض البحر وأحدثوا تخريباً في مدينة بجاية 1671م وبالجزائر العاصمة كذلك وأدى إلى ظهور تذمر شعبي في البلاد ضد ضعف حكم الآغوات[2].

وقد استاءت طائفة الرياس من هذا الوضع وحملت علي آغا مسؤولية الأضرار التي ألحقت بالموانئ والسفن الجزائرية واتهمته بتقصيره في أمر البحرية، كما اتهمته الانكشارية بتكديس الأموال ولهذه الأسباب تم اغتياله في عام 1671م وعين الانكشاريون خلال ثلاثة أيام مجموعة من الآغوات لكنهم رفضوا كلهم تولي منصب الآغا الخطير، وفي تلك الآونة استغلت طائفة الرياس الفوضى التي سادت البلاد لتعين أحد الرياس حاكماً للجزائر تحت اسم الداي.

[1] يحي بوعزيز، الموجز...المرجع السابق، ص ص43-44

[2] نفسه، ص44

الدّرس التاسع: مرحلة الدايات (1671–1830م):

❖ 1–عهد الدايات الأوّل(1671–1710م):

إنّ انتقال السلطة من قادة الجيش البرّي إلى قادة الجيش البحري غير واضحة، وتفسيرها محل خلاف بين المؤرخين إذ نجد من يذهب بأن قادة الجيش الإنكشاري حينما أدركوا خطورة تأزم الوضع السياسي انسحبوا من الحكم لصالح طائفة رياس البحر بينما يرى فريق آخر أنّ طائفة رياس البحر اغتنمت اضطراب الأوضاع واستولت على السلطة[1].وبذلك أسس نظام عرف بنظام الدايات القائم على الانتخاب دون تحديد المدة الزمنية.

❖ 2–عهد الدايات الثاني(1710–1830م):

منذ أنْ وصل الدايات إلى السلطة عملوا على القضاء على ازدواجية الحكم من خلال إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان، وتعد محاولة الداي الحاج حسين ميزومورتو من المحاولات الأولى التي كانت تهدف إلى تأسيس حكم محلي بمنأى عن نفوذ السلطان ففي عام 1688م عارض بكل قوة قدوم الوالي العثماني الباشا إسماعيل الذي عاد من حيث أتى نتيجة الموقف المحلي الرافض لتبعية السلطان والرافض لازدواجية السلطة، ويتبين أنّ الداي الحاج حسين نجح في الانفراد بالسلطة حيث جمع بين سلطة الداي وسلطة الباشا في آن واحد غير أنّ هذه التجربة لم تعمر طويلاً ورجعت الجزائر إلى نظام الازدواجية.

وفي عام 1710م حينما ارتقى الداي علي شاوش السلطة بادر إلى إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان حتى يضع حداً نهائياً لازدواجية السلطة. فعندما حل الباشا إبراهيم شركان كأمير للامراء بالجزائر عارض استقباله ولم يقدر الوالي العثماني على فرض هيبة السلطان، ونجح الداي علي شاوش في إقناع السلطان أحمد الثالث بمساوئ ازدواجية السلطة. إنّ قوة الحجة لدى علي شاوش مع الهدايا الفاخرة أقنعت السلطان بوجهة نظره.

أ–حملة الكونت أوريلّي1775م: أعد الملك الاسباني كارلوس الثالث حملة بحرية وأسند قيادتها إلى الضابط الايرلندي الأصل الكونت أوريلّي (Le Comte d'Oreilly) وحشد فيها أزيد من 24000رجل و44 سفينة حربية، و344مركب شحن من مختلف الأشكال والأنواع و100مدفعا وآلاف البنادق والرشاشات وما يلزمها من الذخائر وخرجت هذه الحملة من إسبانيا في العشرية الأخيرة من شهر جويلية 1775م ووصلت إلى مياه مدينة الجزائر يوم 31 من نفس الشهر ونزلت غرب واد

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص ص54–55

الحراشوفي صباح يوم أول من شهر أوت شرعت في قذف المدينة، واستمرت على ذلك لغاية 11 من الشهر وتعرضت لهزيمة ساحقة لأن الداي حصن المدينة، ودعم الأسطول واستدعى قوات كبيرة من كل بايليكات البلاد، فقتل للاسبان ما بين 4000و10000 رجل وغنم الجزائريون16 مدفعا وقطعتين للرمي و40000قذيفة وكميات كبيرة من الذخائر والبنادق والملابس والأخشاب وبعض المراكب المعطوبة[1].

ب–حصار وهران وطرد الإسبان نهائياً من الجزائر17أكتوبر1790–29فيفري1792م:

لم تغفل السلطة العثمانيّة بإيالة الجزائر عن أهمية مدينة وهران الإستراتجية، فلم تدخر جهداً من أجل تحريرها إلى غاية تمكن الداي مُحَمَّد باكداش الذي تولى الحكم سنة1707م من استرجاع مدينة وهران في نفس هذه السنة على يد الباي مصطفى مصطفى بوشلاغم المسراتي[2]، ثم استرجاع المرسى الكبير سنة1708م من أيدي الإسبان وجعلها عاصمة بايلك الغرب إلا أنه وفي سنة 1732م كلف الملك الإسباني فليب الخامس الكونت مونتومان (Le Comte *de Monteman*) بغزو وهران من جديد بهدف احتلالها، وهذا ما حدث بالفعل إذ اضطر الباي بوشلاغم إلى إخلاء المدينة ودخولها من طرف الإسبان، ورغم ذلك فقد ظلت وهران والمرسى الكبير تحت حصار وتضييق ومعارك تكاد تكون مستمرة متوالية ما يزيد عن الخمسين سنة، لكن الباي مصطفى بوشلاغم فارق الحياة دون أن يحقق أمنيته في تحرير وهران نهائياً، وتواصلت جهود السلطة الجزائرية لتحرير وهران حتى نجحت سنة 1791 بقيادة الباي مُحَمَّد بن عثمان الكبير واضطرت إسبانيا في الحملة الأخيرة أن ترضخ لشروط الجزائر القاضية بانسحابها من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط ولكنها ظلت تراوغ عساها تحصل على بعض الامتيازات وزاد مصاعبها حدوث زلزال مخرب في وهران عام1790م أصاب كثيراً من عمرانها فاتخذت ذلك فرصة للجلاء وشرعت منذ 1791م في إجلاء قواتها وخرجت منها ومن المرسى الكبير نهائياً في فيفري 1792م، بعد أن رفع مُحَمَّد الكبير الحصار عن وهران في 02محرم1206هـ/ الموافق لـ01سبتمبر1791م ليسمح للقوات الإسبانية بالانسحاب النهائي في أول رجب1206هـ الموافق لـ24فيفري1792م بعدما رضخ الإسبان إلى الصلح مع الباي مُحَمَّد بن عثمان وفق شروطه وتوقيع اتفاقية انسحاب من المدينة وذلك بحضور الداي حسين باشا الجزائر وتضمنت عدة بنود منها:

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...المرجع السابق، ص ص72-73

[2] مصطفى بوشلاغم المسراتي: هو مصطفى بن يوسف مُحَمَّد بن اسحاق المسرتي هو أول بايات وهران بعد تحريرها الأول سنة1708م ودفن بها، وهو أول من نقل مقر قيادة بايلك الغرب من مازونة وتلمسان ثم معسكر.

- ✓ تنسحب إسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط.
- ✓ تدفع إسبانيا لخزينة الجزائر سنوياً مقدار 120000 فرنك.
- ✓ وأن تبتاع من الجزائر 3000 كيلة من القمح سنوياً.
- ✓ أن يكون لإسبانيا مركز تجاري في الغزوات.
- ✓ تسمح لها بأن تصطاد المرجان في السواحل الغربية الجزائرية[1].
- ✓ ترجع إسبانيا للجزائر كل القنابل والمدافع والذخيرة التي غنمتها عند استرجاعها لوهران والمرسى الكبير.
- ✓ تحمل سفينة اسبانية بصفة رسمية إلى استانبول مفتاحين ذهبيين رمز لاستسلام وهر ان والمرسى الكبير، مع جرتين من ماء وهران وتقبل الجزائر مقابل ذلك:

وأن تباشر صيد المرجان على الساحل الغربي الجزائري، ثم ابتدأ انسحاب الإسبان من وهران يوم 17ديسمبر1791م وتم الانسحاب نهائياً بعد ترك الأسلحة والعتاد المتفق عليه وتسليم المدينة للباي الذي دخلها على رأس المجاهدين الجزائريين دخول الفاتح المنتصر 24بفيفري1792م وكان أوّل عمل قام به بعد تحرير المدينة بناؤه للمسجد الكبير، مسجد الباشا من ماله الخاص، شكراً لله على تتويج الجهاد الطويل بالفتح المبين.

وبهذا نقل مقر حكمه إلى وهران لتكون عاصمة لبايلك الغرب وعمل على تدعيم السلطة بها. وبهذا الفتح عرف بايلك الغرب أقصى اتساع له بحيث أصبح يمتد من الناحية الجغرافية على مساحة واسعة تمتد من المملكة المغربية غرباً إلى دار السلطان وبايلك التيطري شرقاً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً وتصل حدوده إلى المدن الصحراوية جنوباً.

ب–حملة الانجليزية–الهولندية1816م[2]:

رأت بريطانيا أنّ تأمين مصالحها في حرية التنقل في البحر المتوسط سيسهم في نمو تجارتها، لذا عادت إلى مقترح سدني سميث الذي تقدم به مؤتمر فينّا للقيام بعمل ضد الجزائر، وبذلك حاولت بريطانيا تنفيذ سياستها في البحر المتوسط عن طريق توجيه اللورد اكسموث (Lord Exmouth) فوصلت قوة بحرية

[1] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص63

[2] قد أورد الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التينلاني تفاصيل أحداث الحملة الانجليزية الهولندية من خلال المخطوط المسمى بـ مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني إلى محروسة ثغر الجزائر 1816م، خزانة شاري الطيب، كوسام، أدرار.

إنجليزية–هولندية يوم 27أوت 1816م تتألف من ست وثلاثين سفينة حربية، وأرسل اللورد اكسموث مركبا إلى الرصيف يحمل علم الهدنة وإنذار للداي عمر باشا بمسألة عقد الصلح وأن يكون الرد خلال ساعة واحدة فقط، بينما كان الجزائريون يدرسون الإنذار وكان المبعوثون عائدين إلى السفينة الرئيسية بجواب سلبي على الإنذار عندما اكتشف الجزائريون فجأة أنّ الأسطول قد اتخذ وضعاً يسمح له بصب النّار على سفنهم وعلى تحصيناتهم، وحدث أن أحدا أمر المدافع الموضوعة على الرصيف البحري بإطلاق النّار.

وكان رد الداي وكبار المسؤولين بالرفض لأوامر الأميرال، فقد تحرك الأسطول الانجليزي–الهولندي بسرعة واتخذ وضعا يسمح له بأن يطلق النّار ويصيب الهدف عبر الرصيف البحري والميناء. وقد وصف الداي عمر باشا المعركة حيث قال: " لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت إحدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة...لم نرى دقيقة راحة واحدة، إذ أخذت تتهاطل علينا في كل لحظة سيلاً وافراً من القنابل الصغيرة والكبيرة الحجم، وقد قاوم الجزائريون العدوان بكل قوة، حتى جعلت قائد الحملة الانجليزي اكسموث يقول: "لم أرى في حياتي أعداء يحاربون بإيمان وثبات وجأش كهؤلاء".

لقد كانت الخسائر المادية جسيمة، فقد أحرقت كل البواخر والسفن التجارية الجزائرية، وتحطمت التحصينات وميناء الجزائر خلال ساعة واحدة نظراً لكثرة القصف وبلغت الخسائر البشرية من الجزائريين ثلاثمائة بين قتيل وجريح أمّا من الجانب الإنجليزي والهولندي أزيد من ثمانمائة قتيل. وفي نهاية أنّ الجزائريين قبلوا بشروط الصلح للورد اكسموث بإلغاء نظام الرق، وإطلاق سراح أزيد من 1200أسير مسيحي دون فدية ودفع تعويض حربي من خمسمائة ألف فرنك.

أما العلاقة مع فرنسا، فقد عرفت استقرار نسبي منذ توقيع معاهدة1694م ساعدت على تطور المصالح التجارية الفرنسية بالسواحل الشرقية للجزائر بعد أن اندمجت شركة الباستيون[1] (Compagnie du

[1] حصن فرنسا المعروف بباستيون فرنسا (Bastion de France) ، فقد حصل تاجران من مرسيليا هما توماس لنش (Th.Linches) وشريكه ديدييه (Didier) بتشجيع من ملك فرنسا لويس التاسع سنة1550م وأصبح يعرف بحصن فرنسا سنة1561م على امتياز بإنشاء مركز لصيد المرجان وقد أقيم على نتوء صخري يشرف على البحر وتحيط به الكثبان الرملية المكسوة بالأعشاب والشجيرات وخلفه أراضي قبيلة "معزولة" التي تكثر بها المستنقعات والغابات ويتكون الحصن من بناية ضخمة تضم =ساحتين تنفتح على غرف لإقامة مجموعة من العمال ومخازن لحفظ الحبوب والسلع وتفصل بينهما بناية مخصصة لرئيس المركز وأعوانه. وقد أقيم واشترط الوالي والباب العالي في الاتفاق عدم تحصين هذا المركز وتسليحه لكن التجار الفرنسيين لم ينفذوا هذا الشرط وأقاموا فيما بعد تحصينات ووضعت مدافع حولها وداخل الحصن ورابطت بعض السفن الفرنسية أمامه، وإقامة بعض الجنود به بحجة مواجهة غارات القبائل المجاورة له تعرض للتضييق من قبل حكام الجزائر قبل أن تدمر منشآته سنة1686م ممّا اضطر التجار الفرنسيين إلى

(Bastion de France مع شركة الهند (Compagnie des Indes) 1791م وتم إلحاقها فيما بعد بشركة إفريقيا التي جهل مقرها مركز القالة وفتحت وكالات لها برأس روزا وحصن فرنسا وعنابة وأوكل الإشراف عليها لمتولي الامتياز هلي(Hely) (1913-1730م) ثم أوريول(Auriol) (1730-1741م) وذلك قبل أن تتحول كل هذه الامتيازات التجارية الفرنسية إلى الشركة الملكية الإفريقية (La Compagnie Royale d'Afrique) التي انصب اهتمامها على المحافظة على الامتيازات الفرنسية أمام تزيد النفوذ الانجليزي بالجزائر.

ج-مسألة الاقتراض: قد وجد حكام فرنسا أثناء الثورة الفرنسية المساعدة من ديوان الجزائر سنة1796م عندما اقترضت حكومة الثورة الفرنسية من إيالة الجزائر ما قيمته مليون فرنك لتتمكن من شراء القمح الذي كان الجيش الفرنسي في إيطاليا وجنوب فرنسا في حاجة ماسة إليه، مع إعطاء تسهيلات جمركية للوكلاء الفرنسيين تمكنهم من شحن حمولات القمح وفي مقدمتهم بكري وبوشناق[1] مما سوف يتسبب لاحقاً في توتر العلاقات الفرنسية الجزائرية بفعل السياسة التوسعية الفرنسية تجاه الجزائر.

د-الثورات المحلية:

-ثورة ابن الأحرش 1808م: هو الشيخ الحاج مُحَمَّد بن عبد الله بن الأحرش المعروف بالبودالي نسبة إلى أبدال الصالحين، وعرف عند البعض بالشريف المغربي، وذكر الأستاذ نصر الدين سعيدوني على أنّ انتسابه إلى المغرب لا يعني أنّه فعلا من المغرب بل جرت العادة في هذه الفترة على أنّ كل غريب يدّعي النسب الشريف إلى الأدارسة بالمغرب الأقصى[2]. وقد سار إلى الحجّ وعند عودته مرّ بمصر التي تعرضت للحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت سنة1798م، وكان على رأس جيش من المغاربة المقاوم

التخلي عنه والانتقال إلى حصن القالة الواقع إلى الشرق منه على بعد 12كلم. وكان ذلك من بين العوامل التي أدت إلى توتر العلاقات الفرنسية الجزائرية. للمزيد ينظر: الشيخ لكحل، الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن السادس عشر، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج:7، ع:1، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، جوان 2015، ص ص1-10

[1] أثبتت مختلف المصادر بأن الأسرتين اليهوديتين بوشناق وبكري هما في الأصل من مدينة ليفورنة (Livourne) بإيطاليا، إذ استقرت في الجزائر سنة1723م إلاّ أنّ المصادر لا تتفق حول تاريخ إنشاء هذه الشركة إذ يرجح بأنّها تأسست رسمياً سنة1793م عندما طلبت منهم فرنسا أن يزودوها بالحبوب لمدة خمس سنوات متتالية. احتكر بكري وبوشناق التجارة في الأخشاب، فصارت البحرية الجزائرية تدفع لهما أموالا طائلة للحصول على ما تحتاج إليه من خشب، بينما لا يشتري اليهوديان هذه المادة من الحطابين إلا بأثمان زهيدة جدا، رغبة في الربح، وهو ما أدى في النهاية إلى عزوف الأهالي عن ممارسة هذا النشاط، فقلت الأخشاب وتضررت البحرية الجزائرية تبعا لذلك، باعتبار أن المادة الخام لصناعة السفن، قد صار الحصول عليها صعبا للغاية، رغم غنى الجزائر بالغابات المختلفة. للمزيد ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.س، ص ص263، 273

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص273

للفرنسيين مع إخوانهم المصريين، وبعد انسحاب الفرنسيين من مصر رجع مع جماعة من الحجاج فنزل تونس ثم قسنطينة التي مكث فيها ومنها توجه إلى جيجل، إذ استقر بزاوية سيدي الزيتوني بناحية جيجل لتفقيه النّاس، وأسس معهداً ببني فرقان لتلقين الصبية القرآن وتعليم الطلبة مبادئ الفقه، ومن هنا راح يلفي دروساً دينية على زائريه الذين أعجبوا بها وبفصاحته ممّا زاد في عدد المتلقين من حوله، ثم قام بعد ذلك بمحاربة النصارى فقام بتسليح عدة سفن بميناء جيجل وأرسلها لتعقب البواخر الفرنسية التي اعتادت التردد على سواحل القل وجيجل للصيد والتجارة وقد تمكنت إحدى السفن ابن الأحرش سنة1803م من الاستيلاء على سفينة مرجان تمتلكها الشركة الفرنسية التي كان مقرها مدينة القالة، بعد قتل وأسر البحارة الفرنسيين مما زاد في شعبيته من بين السكان المحليين. وقد أعلن ابن الأحرش الجهاد ضد الحكام العثمانيين وأسس حكومة تقوم على المبادئ الإسلامية.

ومن أسباب اندلاعها يمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: السياسة المجحفة التي انتهجها بعض الحكام حيث تميزوا بالاستبداد والقتل والتدمير وتبذير الأموال وإشباع الرغبات والاهتمام بالمصالح الخاصة وإهمال شؤون الرعايا.

ثانياً: الأزمة الحادة التي مرّ بها الاقتصاد الجزائري؛ حيث تضاعف تأثيرها بتوالي سنوات القحط الذي عمّ مختلف جهات البلاد، بسبب الكوارث الطبيعية والتي أثرت بشكل حاد على الأوضاع المالية وكذا القدرة الشرائية للسكان.

ثالثاً: حرص ابن الأحرش على تطبيق العدل والمساواة بين جميع النّاس، والوقوف ضد التمييز العنصري الذي طبقه العثمانيون في تواطئهم مع التجار الأوروبيين واليهود سيما في بايلك الشرق ما أدى على تجنيد السكان في الثّورة ضد العثمانيين.

رابعاً: تبني ابن الأحرش للطريقة الدرقاوية ونشر تعاليمها في الشرق الجزائري، وازدياد نفوذه وشعبيته واستقطاب جموع السكان[1].

خامساً: ضعف شخصية باي قسنطينة عثمان الذي حكم من سنة 1803م إلى 1804م.

بعد أن عزز ابن الأحرش موقعه العسكري، وتمكن من أغلب مدن بايلك الشرق، حيث استولى على القل ثم عنابة التي انسحبت منها الحامية العثمانيّة إلى قسنطينة، ووجه أنظاره إلى عاصمة بايلك الشرق قسنطينة فحاصرها سنة 1219هـ/1804م، بخصوص حجم الجيش الذي حاصر المدينة، فهناك من

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص286

يذكر عشرة آلاف مقاتل ومنهم من يقدره مابين ستين ألف، حيث كان الباي في هذه الفترة خارج المدينة يجمع الضرائب بنواحي سطيف[1].

وأثناء حصار ابن الأحرش لقسنطينة خاطب أحد أتباعه سكانها بما يلي":يا أهل البلد هذا الشريف قدم إليكم، ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة وجيوش عريضة، لا تقدروا على مقاتلتنا ولا تنجوا إن فررتم منا، فإن أسلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم، وإن امتنعتم نقاتلكم وندخلوا البلاد بقوتنا، إلا أنّ جيش ابن الأحرش فشل في اقتحام المدينة بسبب قوة مدافعها وانشغال جيشه بجمع الغنائم وبالإسطبلات، مما أوقع فوضى بين صفوفهم.

اضطر ابن الأحرش إلى الانسحاب أمام تحالف أهالي مدينة قسنطينة وأعيانها الذين تصدوا له بقيادة كل من الحاج أحمد الأبيض،وقائد الدار الشيخ سيدي أحمدا لفكون الذين حالوا دون سقوط المدينة حيث خرج أحمد بن الأبيض ومعه ألف مقاتل فالتقى الجمعان في عقبة الصمارة،وقتل من جيش ابن الأحرش نحو مائتي رجل منهم وأصيب ابن الأحرش نفسه بجرح فانسحب أصحابه وحملوه، ورجع سكان مدينة قسنطينة وتحصنوا بسورها.

فلمَّا وصل عثمان باي إلى المكان ا لمقصود "نزل في أرض هناك بين الجبال، وخيمت المحلة وابتدأ القتال مع ابن الأحرش ومن معه من القبائل،وكانت هزيمة كبرى،فاستقر الباي في أرض منخفضة ومضيق وعر امتلأ بالماء بعد سقوط الأمطار مما جعل الباي يهرب،حيث يذكر العنتري:"فلما أراد عثمان باي الرجوع على أعقابه لم يجد سبيلا ولا مسلكا لرجوعه، وانقطع بعساكره وجنوده،وصار في الهلاك والهوان...؛ فلما شاهدوهم القبائل في حالة الغرق وحلت بهم الندامة والقلق، بادروا إليهم في الحال وقتلوا الباي المذكور...، وقتلوا من ذلك العساكر والجيوش ..." فاغتنم عبد الله الزبوشي الذي ناصر ابن الأحرش وكان يحقد على الباي الفرصة فطعنه بسيفه وقتل معه خمسمائة جندي وثلاثة من نوابه.

ولما بلغ السلطة المركزية بالجزائر مقتل الباي عثمان وتشتتت قوته، عزم الداي مصطفى على خوض المعركة بنفسه ومواجهة ثورة ابن الأحرش والقضاء عليها، لكنه تراجع بعد إقناعهم من طرف معاونيه بأن ذلك سيشكل خطرا على حياته؛ فقام بإرسال الحاج علي آغا على رأس جيش برفقة باي قسنطينة الجديد عبدالله بن إسماعيل(1804-1806م). وبذلك تمكنت قوات إسماعيل باي قسنطينة الجديد بمساعدة قبائل المخزن من القضاء على ثورة ابن الأحرش وحركته التي استغرقت أربع سنوات. إذ بعد

[1] زينب جعني، ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق(1800-1807)، مجلة عصور الجديدة، عدد خاص، مخبر البحث التاريخي-مصادر وتراجم-، جامعة وهران، أوت1436هـ/2015م، ص ص131-132

تقهقر حركته بالشرق توجه ابن الأحرش إلى بايلك الغرب، وتحالف مع الشريف عبد القادر الدرقاوي، ويذكر أنّ ابن الأحرش قد قتله الشريف الدرقاوي غيلة بعد أن رأى فيه منافسا قويا، وقد شاع عند العامة أنّ سلطان المغرب طلب نقل جثته إلى المغرب؛ فأجيب إلى ذلك ونقل ليدفن بمدينة فاس.

-ثورة ابن الشريف الدرقاوي 1220 هـ/ 1805م: هو عبد القادر بن الشريف، ويعرف بابن الشريف الدرقاوي نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي كان ينتمي إليها، أما أصله فقد أكدت أغلب المصادر على أنه من قبيلة وادي العبد بالغرب الجزائري، فقال عنه الزياني"أنه عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل السكاني قاطن وادي العبد"[1].

والمعروف أنّ الدرقاوي انتصر على مصطفى العجمي باي وهران في موقعه فرطاسة، بين وادي مينا ووادي العبد عام 1805م ومكنه هذا النصر من السيطرة على معسكر وفرض سلطانه على كل المنطقة الممتدة ما بين مليانة شرقاً إلى وجدة غرباً.

والواضح أنّ ابن الشريف الدرقاوي حينما أحس بقوته العسكرية قرر مهاجمة وهران التي فرض عليها الحصار لمدة ثمانية أشهر، لكن الباي مُحَمَّد بن عثمان المعروف بالمقلش تمكن من فك الحصار بمساعدة قبائل المخزن وملاحقة الثوار والانتصار عليهم في عدة معارك واستطاع باي وهران مُحَمَّد مقلش ما بين(1805-1808م) الذي تمكن من فك الحصار عن المدينة وتشتيت قوات الثائرين وألحق بهم عدة هزائم وإخضاع القبائل الثائرة مثل قبيلة مهاجر والبرجية وبن عامر المتحالفة مع ابن الشريف الدرقاوي.

ومما تجدر الإشارة به هو تعاطف بعض البايات مع الطريقة الدرقاوية، حيث انتمى باي وهران محمّد بن عثمان الملقب بوكابوس(1808-1813م) إلى الطريقة سراً، وأعلن تحالفه مع السلطان المغربي سليمان كما وعد هذا الباي كلا من إسبانيا وبريطانيا بعدة إمتيازات اقتصادية في حالة تقديم المساعدات العسكرية لإنجاح ثورته. لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، لأن إسبانيا ترددت بسبب إلتزامها بالاتفاقية المبرمة مع الجزائر سنة1791م أما المغرب الأقصى فرغم تأييده المطلق للباي إلاّ أنّ إمكانياته العسكرية كانت غير كافية.

[1] للمزيد ينظر: مختار بونقاب، انتفاضة درقاورة في بايلك الغرب الجزائري:1802-1816، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع:3، جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر، ديسمبر2008، ص ص135، 142

–ثورة التيجانية1818م: تنسب إلى محمّد الكبير التيجاني، وقد ازداد نفوذ هذه الطريقة أواخر العهد التركي، وكان لها أتباع كثيرون في الصحراء، وقد اظهر حكام الإيالة لهم العداء حيث بدأ إرسال الحملات العسكرية إلى مقر الطريقة بعين ماضي قرب الأغواط منذ1787م إلى غاية1827م[1].

ومنذ ان تولى عثمان باي شؤون بايلك الغرب بدأ في التفكير بجدية في القضاء على ثورة التيجانية بزعامة أحمد التيجاني، حيث حوصرت القرية سنة1825م وانتهى الحصار بإبرام الصلح بين الطرفين، ولم يتمكن أحمد التيجاني من الانتصار على الجيش التركي في معركة أولاد دحو قرب معسكر بسبب انسحاب القبائل الموالية له وعلى رأسها قبيلة بني هاشم. إلى جانب النمامشة في الأوراس 1818م ووادي سوف 1824م.

–حل الانكشارية 1826م: من الأحداث الهامة التي عرفتها الجزائر قبيل الحملة الفرنسية عليها سنة1830م، هي قضية حل الانكشارية[2] حيث جاء في إطار الإصلاحات التي عمل على تطبيقها السلطان محمود الثاني[3] في مجالي الجيش والإدارة، وقد كان لهذه الحادثة صدى في الجزائر كالدعوة التي أطلقتها المفتي الحنفي مُحَمَّد بن العنابي[4] دعماً لمزيد من الإصلاح في الجيش من كتابه الشهير"السعي المحمود في نظام الجنود".

---

[1] حنيفي هلايلي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مج:21، ع:1، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–، 2006، ص202

[2] تدعى بمذبحة الإنكشارية أو الواقعة الخيرية: هي مذبحة جرت بعد ثورة الإنكشارية باستانبول في14-15جوان عام1826م بعد أن تنبه الإنكشارية لنية السلطان محمود الثاني إنشاء جيش نظامي حديث، لهذا ثاروا في 14-15جوان 1826م في مدينة استانبول لكن وقف معظم الجيش والأهالي ضدهم، وأجبرت وحدات الفرسان الموالية للسلطان الّإنكشارية على التراجع إلى ثكناتهم، ثم أطلقت المدفعية 15 طلقة على ثكناتهم، موقعة بهم خسائر فادحة ثم إعدام أو عزل الناجين وبعد سنتين قام السلطان محمود الثاني بمصادرة آخر ممتلكات الانكشارية وأصبحت الحادثة تسمى بالواقعة الخيرية وبذلك تخلص السلطان من الانكشارية. نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، ط1، عمان:دار زهران للنشر والتوزيع، 2011، ص535

[3] محمود الثاني (20جويلية1785-2جويلية1839م) كان السلطان الثلاثون للدولة العثمانيّة، شهد عصره خطوات إصلاح واسعة وحاول أو يوقظ الدولة العثمانيّة إذ تقلد السلطان العثماني مقاليد الخلافة العثمانيّة سنة1808م وهو في الرابعة والعشرين من عمره واستقر عزمه على أن يمضي في طريق الإصلاح الذي سلكه بعض أسلافه من الخلفاء العثمانيين. تعرض السلطان للإصابة بعدوى السل ولما اشتد به المرض نُقل إلى إحدى ضواحي استانبول للاستشفاء بهوائها النقي ثم لم يلبث أن عاجلته المنية في 2جويلية 1839م.

[4] مُحَمَّد بن محمود الذي أصله من عنابة، والمشهور بابن العنابي ولد عام 1189هـ/1775م وتوفي في الإسكندرية عام 1267هـ/ 1851م. فقد كان إماماً فاضلاً عارفاً بالعبادات والأحكام في المذاهب الأربعة على اختلافها واختلاف أقوالها والراجح منها

ويجمع الباحثون المختصون في تاريخ الجزائر الحديث على أن القرن السابع عشر كان بمثابة العصر الذهبي للجزائر ويرجع الفضل في ذلك إلى أنّ طائفة الرياس التي تقوم بدور مزدوج تمثل في تدعيم القطاع الاقتصادي بنشاطها البحري، والتصدي للغارات الخارجية التي كان يشنها الأوروبيون. ولكن شأن الجزائر أخذ يتضاءل منذ القرن الثامن عشر، إذ أخذت عوامل الضعف في التزايد مما أدى إلى تفاقم الأوضاع السياسية وعجز الحكام على مواجهة ومتابعة التطورات السريعة التي طرأت على المستوى الداخلي والخارجي.

إنَّ سبب إخفاق الحكام في السيطرة على مجريات الأحداث كان نتيجة لعدة عوامل داخلية وخارجية، فبالنسبة للعوامل الداخلية نجد أنّها تمثلت في سياسة التجنيد التي اتبعها الحكام، فعندما كانت الجزائر في حاجة إلى جنود جدد لتدعيم صفوف جيشها، قامت السلطة الحاكمة بإرسال وفد إلى تركيا لتجنيد الجنود، ولكن أعضاء الوفد المكلفين بتلك المهمة لم يلتزموا بطريقة التجنيد التي كانت متبعة في العهود الأولى وفي هذا الصدد يذكر حمدان بن عثمان خوجة: الذي عاصر الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر عن عملية التجنيد كان من أسباب انحطاط البلاد إرسال مندوبين إلى أزمير يجمعون الأجناد وبدلا من أن يتبع هؤلاء المندبون الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند في الميليشيا إلاّ الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة فإنهم كانوا يفتحون أبواب الميلشيا لأي كان حتى أناس كانوا قد أدبوا وأدينوا وكان يوجد من بين المجندين يهود ويونانين...

وقد تعتبر سياسة التجنيد هذه من إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر نظراً لما ترتب عليها من نتائج وخيمة فبعدما كان الجنود يدافعون عن البلاد أصبحوا مصدر ومنبع الفوضى والضعف الذي ساد في البلاد وهكذا تمكن المجندون من السيطرة على الحكم مما سمح لهم بتسيير شؤون البلاد حسب أهوائهم . والجدير بالذكر أنّه كلما تم تعيين حاكم جديد، صحبه تغيير شامل في سلك الوزراء والبايات والموظفين الكبار إذ يقوم الحاكم بتعيين العناصر التي وقفت إلى جانبه أثناء الانقلاب.

وقد تأثرت الإدارة المحلية بما كان يجري على مستوى الإدارة المركزية إذ يقوم الباي الجديد بدوره على مستوى البايلك بعزل معظم الموظفين الذين سبق لهم أن اشتغلوا مع الباي المعزول. وقد يرجع ذلك إلى

=والضعيف فيها، وعالما في باقي المنقول والمعقول، والسياسات العمومية والخصوصية، الخارجية والداخلية، للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمّد بن العنّابي المتوفي1850، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000.

أنّ الباي الجديد لم يعد يثق في الموظفين السابقين الذين تربطهم علاقة وطيدة بالباي المعزول، وهكذا يكون الباي الجديد قد أبعد احتمال وقوع المؤمرات ضده، كما أنه بفضل تعيين موظفين جدد حتى يتمكن من جمع الرشاوي التي تمكنه من تعويض المصاريف التي سبق له أن دفعها للداي وأعوانه مقابل حصوله على منصب الباي.

ورغم حالة عدم الاستقرار التي ميزت هذه الحقبة بوجه عام فقد نجح الدايات الأقوياء في أن يعيدوا للسلطة مظهرها القوي وهيبتها، ومن هؤلاء الحاج علي باشا(1809-1815م) والداي علي خوجة(1817-1818م) والداي حسين(1818-1830م)، فقد شهدت البلاد في عهد الداي الأخير استقراراً سياسياً إذ دامت ولايته اثنتا عشرة سنة وخلال هذه المدة انصبت جهوده على تنظيم أمور الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار حيث قضى على التمردات والثورات الداخلية سيما الثورة التيجانية بناحية عين ماضي، لكن الضغوط الخارجية التي جسدتها قرارات مؤتمر آكس لاشابيل القاضية بإلغاء ممارسة الاسترقاق والتوقف عن ممارسة الغزو البحري والحملة الانجليزية[1] عام1824م ثم النزاع الفرنسي والجزائري حول ديون الجزائر على فرنسا إلى مواجهة عسكرية وحصار بحري على السواحل الجزائرية بعد ضربة المروحة (Coup d'L'éventail) في أول شوال 1242هـ/27أفريل1827موالتي تسبب فيها القنصل الفرنسي دوفال (Duval) بتصرفه المنافي للأدب في مخاطبة الداي حسين عندما أثار هذا الأخير قضية الديون الجزائرية المعلقة مع فرنسا وذلك أثناء حفل استقبال للسلك الدبلوماسي الجزائر مما اضطر الداي حسين إلى الرد عليه برفع المروحة في وجهه وشتمه فكان ذلك ذريعة مفتعلة لتنفيذ المخطط الفرنسي لاحتلال الجزائر، وبعد معارك سطاوالي والشراقة اضطر الداي حسين باشا إلى توقيع وثيقة استسلام الجزائر مع قائد الجيش الفرنسي دوبورمون (De Bourmont) تحت تهديد الحصار ونزولاً عند رأي الأعيان الراغبين في تجنب الآثار المدمرة للهجوم المرتقب من طرف الجيش الفرنسي على مدينة الجزائر، وبذلك وضع حد للإدارة المحلية العثمانيّة بالجزائر التي أبرزت الجزائر في شكل كيان سياسي مستقل ودولة ذات سيادة في إطار الروابط الروحية والعلاقات الأدبية مع السلطة العثمانيّة[2].

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص102

[2] نفسه، ص102

الدّرس العاشر: الجيش البحري الجزائري

1.نشأة البحرية الجزائرية:

شهدت البحرية الجزائرية طيلة تاريخها الطويل عدة مراحل متميزة، فبعد الماضي العريق في الفترة السابقة للإسلام تشكلت النواة الأولى للقوة البحرية الجزائرية إثر الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع الميلادي.

وقد كان لهذه البحرية الإسلامية الناشئة ببلاد المغرب دور كبير في إبعاد الخطر البيزنطي على السواحل بعد أن نقل البيزنطيون قوتهم البحرية إلى غرب المتوسط إثر معركة ذات السواري (34هـ/654م) فقد تمكن حسان بن النعمان بعد الاستيلاء على قرطاج (75هـ/694م) من تكوين نواة للأسطول الإسلامي بالمغرب عملاً بتوجيهات الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الرامية بإنشاء دار سفن إفريقيا واستقدام الصناع المهرة من مصر.

وقد ساعد على تطور البحرية الإسلامية بالمغرب بعد إنشاء ترسانة للسفن بتونس بأمر من الوالي عبد الله بن الحبحاب(114هـ/732م)، وبهذا بدأت البحرية الإسلامية الناشئة بالمغرب بتحقيق مهام خطيرة أثرت على تطور الأحداث بالحوض الغربي المتوسط، تمثلت خاصة في العبور إلى الأندلس (92هـ711م) وفي العمل على فتح صقلية بعد عدة محاولات بحرية (720-752م) وذلك قبل أن يستكمل المسلمون الاستيلاء عليها بقيادة أسد بن الفرات في عهد زيادة الله الأول الأغلبي (827م) وبفضل جهود عبد الله بن إبراهيم الأغلب[1].

هذا وقد ساهم الأسطول المغربي كذلك في فرض سيادة المسلين على جزيرة سردينيا((711-752م) وسواحل جنوب إيطاليا(821م) أثناء حكم ولاة القيروان (715-797م) وأمراء الأغالبة (800-909م) وقد زادت أهمية هذه البحرية في عهد الفاطميين بالمهدية(910-972م)، إذ قدرت بعض المصادر عدد قطع الأسطول في عهد المعز لدين الله قبل انتقاله إلى مصر بـ600قطعة بحرية وفي وقت كانت فيه القوى البحرية للخلافة الأموية بالأندلس على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر التي كانت تتوفر على 200سفينة. وحرصت على ربط اتصالات مكثفة بالسواحل الجزائرية لابعاد الخطر الفاطمي الذي بات يهدد الأندلس، بعد أن زالت دولة الأئمة الرستميين بتاهرت(778-909م) وحاولت صنهاجة الحد من استقلال زناتة بالمغرب الأوسط.

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص ص 137-138

بعدها بدأت البحرية الجزائرية تتميز بنوع من الاستقلال عن باقي الأساطيل المغربية وأصبحت تشكل قوة بحرية خاصة كان لها دور مهم في مواجهة التخطر المسيحي على عهد الحماديين(1130-1126م) وبني زيان(1236-1554م) وقد تركزت قواعدها بمدن عنابة ودلس وبجاية ووهران والمرسى الكبير وأرشقول وهنين وأثناء ذلك أضحت قطع البحرية الوسلة الناجعة في الدفاع عن السواحل الجزائرية ورد الهجمات الأوروبية عنها رغم ظهور قوة النورمان البحرية واختلال التوازن بالمتوسط بفعل تزايد قوة النصار البحرية، بعد أن هاجمت سفن بيزا عنابة(426هـ/1034م) وآغار أسطول جنوة على بجاية(428هـ/1143م) وشرشال وتنس وبرشك (539هـ/ 1145م).

كان للبحرية الجزائرية تحت قيادة الملوك الحماديين دور مهم في إبعاد خطر النورمان عن السواحل، إذ شاركت في محاصرة حامية النورمان التي استقرت بالمهدية منذ سنة543هـ كما هاجمت قواعدهم بالمدن الايطالية (مهاجمة مدينتي بيزا وجنوة على عهد يحي بن العزيز الحمادي) رداً على هجوم تعرضت له بجاية من قبلهم سنة480هـ وذلك قبل أن تتوفر الظروف للموحدين لمواصلة الجهاد البحري ضد النصار بسواحل إفريقية (استرجاع المهدية من يد النورمان 555هـ/1160م) والأندلس(معركة لشبونة البحرية (573هـ/1177م) فقد عمل عبد المؤمن بن علي الكرمي على تطوير الأسطول الإسلامي واستخدمه في استيلائه على إفريقية سنة 1159م و400قطعة بحرية للعبور إلى الأندلس من مراسي المعمورة وطنجة وبادس وهنين ووهران سنة 1163م وقد كان لهذه القوة البحرية تأثير في مكانة الموحدين في العالم الإسلامي، حتى أن صلاح الدين لم يتردد في طلب المساعدة من يعقوب الموحدي في حروبه مع الصلبيين حسب ما تبينه بعض الوثائق.هذا وقد ظلت بجاية وحتى بعد سقوط دولة الموحدين وضعف دولتي بني عبد الواد بتلمسان وبني حفص بتونس قاعدة بحرية مهمة تنطلق منها وحدات البحرية الجزائرية لمواجهة الأساطيل المسيحية المغيرة على السواحل[1].

بعد هذا الاستعراض التاريخي للماضي الإسلامي الحافل دخلت البحرية الجزائرية مع ضعف دولة بني زيان في القرن الرابع عشر فترة ركود تميزت بتحول البحرية من مهامها الجهادية إلى وسيلة لضمان التبادل التجاري بين البلاد الأوروبية والمراسي الجزائرية التابعة للزيانيين وهي المرسى الكبير ووهران وهنين ودلس ومستغانم، إلا أن تزايد ضغط النصارى وتركز هجماتهم على أقاليم الأندلس وتوافد أعداد كبيرة من البحارة الأندلسيين جعل نشاط القطع البحرية الجزائرية يتحول إلى الدفاع عن السواحل ومهاجمة السفن الأوروبية الراسية بها، فتعددت الغارات على الشواطئ الإسبانية سيما في وقت تغيرت فيه موازين القوى

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص ص138-139

بالمتوسط باشتداد التنافس الدولي الإسباني العثماني من أجل بسط السيادة على الحوض الغربي للبحر المتوسط.وصاحب هذا الصراع العالمي ظهور الدولة الجزائرية الحديثة وتطورها في نطاق الإمبراطورية العثمانيّة(1518-1830) مما يدفعنا إلى إبراز كافة أبعاد مظاهر النشاط البحري الجزائري خلال هذه الحقبة التاريخية.

وبذلك فقد كانت البحريّة القوّة الأولى التي اعتمد عليها الأتراك العثمانيّون في بسط نفوذهم في البلاد والدفاع عنها وتكوّنت نواتها في البداية لوم يكن رجال طائفة الريّاس بحارة عاديين، وهذا ما ذكره هايدو (Haëdo): "أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يبحرون أثناء الشتاء والربيع، دون خوف يطوفون في البحر من الشروق إلى الغروب ويسخرون من السفن المسيحية وكأنهم يخرجون لصيد الأرانب".

❖ 2.أسباب قوة البحرية الجزائرية:

تعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب نجملها في الآتي:

- ✓ الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد وهو الأمر الذي جعلها محطة أنظار وصراع بين دول ضفتي شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط حتى أطلق علي مدينة الجزائر اسم المحروسة والمنصورة ودار الجهاد[1].
- ✓ القوة البشرية والثروة الخشبية التي كانت تزخر بها غابات البلاد بالإضافة على الإدارة المحكمة.
- ✓ الظروف الدولية والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية وما أنجر ذلك من صراع مثل العداوة بين الإمبراطور شارل الخامس عاهل إسبانيا وجرمانيا وفرنسوا الأول ملك فرنسا وكذلك التنافس الهولندي –الفرنسي-الانجليزي فيما بعد على اكتساب المستعمرات والسيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.
- ✓ تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية والذين أصطلح على تسميتهم بالأعلاج[2] الذين قدموا مساهمة إيجابية في تطوير القطاعات المدنية والعسكرية، وكان لهم دور في ازدهار البحرية الجزائرية

---

[1] جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع:13، جامعة غرداية، 2011، ص144

[2] معناه اللغوي الرجل الشديد الغليظ، ذي لحية، رجل من كبار العجم، حمار الوحش...وغيرها، أما المراد اللفظي أنه في الفترة الحديثة أطلقت على الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام دلالة على أصلهم المسيحي، ويقوم المهتدي بالمثول أمام القاضي الحنفي لمدينة الجزائر حيث يقوم بالإعلان عن اعتناقه الإسلام وينطق بالشهادة بحضور شاهد ثم يعطى له لسم عربي وتقام له طقوس احتفالية خاصة بهذا

بفضل التقنيات الحديثة التي أدخلوها في صناعة السفن، وقد ساعدتهم معرفتهم للسواحل الأوروبية والبحر المتوسط على التحكم في الملاحة .

- ✓ الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد انهيار الأندلس وحلول الاسبان بالسواحل.
- ✓ مساهمة الموريسكيون في الدفاع عن مدينة الجزائر وتنشيط حركة الجهاد البحري والهجوم المتواصل على السواحل الاسبانية بواسطة الأسطول الجزائري بسبب معرفتهم الجيدة للغة الاسبانية وللأماكن الجغرافية والطرق البحرية.
- ✓ استعمال البحارة الجزائريون الأساليب الحربية المناسبة مثل الالتجاء إلى الغارات المفاجئة واستخدام بنادق البارود السريعة للطلقات والمدافع الخفيفة في هجوماتهم فضلاً عن امتلاكهم الفن المتطورة عصرئذ والقادرة على الإبحار في أعالي البحار.
- ✓ مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة مع تموين البلاد بالبضائع التي كانت بحاجة إليها[1].

❖ 3.قضية القرصنة:

لقد اقتصر نشاط البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر على البحر المتوسط والتصدي للاعتداءات الأوروبية، إلا أنه امتد في القرن السابع عشر إلى سواحل أوروبا الجنوبية، وهكذا تغير موقف الجزائريين الدفاعي إلى موقف هجومي، كما امتد نشاطهم إلى المحيط الأطلسي إذا وصلوا إلى انجلترا وايرلند واسلندا، ولا يعود هذا التفوق إلى مهارة البحارة في قيادة السفن فحسب، بل إلى سرعة السفن وخفتها وانضباط المجدفين في تنفيذ العمليات الحربية بكل نجاح[2].

لذلك وجب التفريق بين البحارة والقراصنة فالقرصان هو الشخص الذي كان حراً في النهب ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة فقد كان يهاجم بدون تمييز سفن أي دولة وكان هدفه الوحيد هو النهب ولكن رياس البحر كانوا أشخاصاً موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهنة ولم يشنوا حرباً إلا على أعداء أميرهم، وكانت مهمة سفينة ريّاس البحر مثل مهمة سفينة القران عبارة عن القيام بعملية مغامرة

الحدث. وقد تعددت مشارب وأصول الأعلاج فقد كانوا من مختلف الأمم الأوروبية سواء كانوا عبيداً أو أحراراً وهذا ما يؤكده الباحث هايدو: لم تكن هناك أمة مسيحية تعيش في مدينة الجزائر إلا وكان منها أعلاج..."

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2012، ص ص140-141

[2] أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر االعسكري والسياسي الفترة العثمانيّة 1519-1830، ط2، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2016، ص52

أكثر مما هي مهمة للصالح العام غير أن رايس البحر كان يقوم بمهمة تعطي طابع الشرعي لنشاطه ثم أنه كان يتصرف في غنائمه بطريقة ينظمها الأمير التابع له.

أمّا العرب فقد اقتحموا مجال البحر، ولم تكن لهم حاجة في ممارسة الجهاد البحري (القرصنة)، فكانت الهجمات البحرية تهدف؛ إما لتأمين الفتوحات الإسلامية، أو على شكل حروب بحرية دفاعية هدفها ضرب اقتصاديات العدو، فكانت ملتحمة بمفهوم الجهاد في سبيل الله، الذي يعتبر ركنا من أركان الإسلام الأساسية، كما يستمد مقوماته الشرعية من وصايا الصحابة، والخلفاء الراشدين، ومن فتاوى الفقهاء، واجتهاداتهم[1] وهذا ما يشير إليه كورين شوفاليه: إن القرصنة بالنسبة للمسلمين قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد في البحر[2].

وقد وصف الأوروبيون هذا الجهاد والنشاط الذي كانت تقوم به البحرية الجزائرية بالقرصنة بينما فسروا اعتداءاتهم المتكررة بأنها دفاع النفس أما لفظ القرصان مشتق من اللفظ اللاتيني كورسارو (Corsaro)، والذي كان يطلق حيها بأن يجوبوا البحار، ويقاتلوا سفنّ في الأصل على كل سفينة مسلحة رخص لملاحيها بأن يجوبوا البحار، ويقاتلوا سفن الأعداء مفهوم القرصنة لدى الطرف المسيحي ليتحدد في مجموعة من، ثم تطور المعاني، والألفاظ تدخل في دائرة النهب البحري (Piraterie)، والنشاط القرصان(Activité corsair)، والقرصنة البربرية الاسلامية (Course Barbaresque Musulmane)، التي كانت كردة فعل ضد التحرشات الأوروبية الصليبية على سواحل المغرب الإسلام.

❖ **4.أصل أعضائها:** كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية ومختلفة المشارب، يوحّدها الجهاد في سبيل الله، وقد تكونت من خليط ممتاز من العناصر المحلية إضافة إلى أعلاج أوروبا الّذين أسلموا وقدموا إلى بحرية الجزائر، وهذا ما أكسب الجزائر نفساً جديداً وقوة متجددة وتقنيات إضافية في مجال المعدات خصوصاً[3].

❖ **5.النظام العسكري البحري:** كان النظام الذي طبقه الجزائريون في تكوين طاقم السفينة في الإيالة، هو نفسه النظام الذي اعتمدته الدولة العثمانيّة، وقد تشابهت الوظائف مع بعضها البعض بين الإيالة والباب العالي وهنا سنذكر الخصائص البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني:

---

[1] ينظر: جمال الدين سهيل، المرجع السابق، ص141

[2] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، تر: جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص49

[3] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص95

❖ 6.ديوان البحريّة:

كان من اختصاصات ديوان البحريّة تطبيق العدالة على جميع أفراد البحرية الذين يخلون بقواعد الانضباط أو يتعدون على القوانين كما كان يبث في المسائل الجارية المتعلقة بنشاط الطائفة وبالخصوص تقرير مصير الغنائم والأسرى الذين كان يجلبهم الرياس حيث كان يفحص السفن وحمولتها وهوية ركابها إن لم تكن تابعة إلى دول في حرب أو لا ترتبط بمعاهدة مع الجزائر، وهذا ما جعل الأوروبيون يطلقون عليه أحيانا اسم مجلس الغنائم. وفضلا عن ذلك كان ديوان البحرية يستشار قبل إقرار السلم أو الحرب مع دولة ما، وكان الديوان يستدعى إليه كلما دعت الحاجة جميع الرياس المتواجدين في العاصمة أو ضواحيها. وكانت جلساته يترأسها القبطان رايس وأحكامه تصدر بعد أخذ المشورة وفق رأي الأغلبية وبدون استئناف[1].وبالإضافة إلى رياس الطائفة كان يحضره كبار موظفي الدولة الذين يعملون في البحرية وهم:

قايد المرسى: وكان المسؤول عن أمن الميناء ويقوم بمعاينة جميع السفن الصادرة والواردة إليه، وكان الوالي يختار دوما لهذا المنصب الرفيع أحد الرياس المحنكين.

وكيل الخرج: عرف في بعض المصادر بوزير البحرية كان المسؤول الأول عن تموينات الميناء من خشب وذخيرة ومعدات والقيا كذلك على أعمال دار صناعة السفن.

خوجة الغنائم: كان يتولى جرد وبيع الغنائم وقسمة دخلها بين المستحقين على مقدار معلوم بعد أن يقتطع حق البايلك والمصاريف.

باش ورديان باشي: وكان بمثابة الناظر العام لسجون الأسرى في مدينة الجزائر وكان من مهامه الوقوف على استعدادات سفر السفن الموجهة للخروج إلى البحر وتوزيع عدد من المجدفين والملاحين الأسرى على متنها. وقلما يعطون اسما للمراكب الحربية كالنصر والغزال والانتصار لأنه كان من عادتهم أن يسمى المركب باسم رئيسه.

وكان الرياس عموماً محل احترام الجميع لعدة اعتبارات نوجزها فيما يلي:

- ✓ الانضباط الذي كان يتميز به الريّا، واستقامة سلوكهم وحسن معاملتهم للسكان.
- ✓ أن الريّاس كان لهم دورهم الجهادي المتمثل في التصدي للغارات والاعتداءات الخارجية مما جعل السكان يتعلقون بهم.

[1] أمين محرز، أمين محرز، الجزائر في عهد الاغوات(1659-1671)، الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع،2013، ص39

- ✓ أن سكان المدن بمختلف شرائحه (سنفصل في هذه النقطة لاحقاً) كانوا بحاجة إلى خدمات الريّاس ليستثمروا أموالهم في تجهيز المراكب للقيام بالنشاطات البحرية.
- ✓ أن الريّاس كانوا مصدر رزق للتجار، الذين ينتظرون عودتهم إلى الميناء لاقتناء بعض السلع التي يبيعونها في المحلات والأسواق.

❖ 7.طاقم السفينة:

كان رياس البحر في بداية الوجود العثماني في الجزائر من الأتراك العثمانيين الذين استقدمهم عروج وخير الدين، وبعد فترة قصيرة أصبح معظم الرياس من المسحيين الذي اعتنقوا الإسلام ومع مرور الوقت تمكن الانكشاريون والأهالي والأندلسيون من المشاركة في طواقم السفن إلا أنهم لم تمنح لهم أجرة شهرية بل كانوا يكتفون بأخذ حصصهم من الغنائم البحرية.

وقد عرفت البحرية الجزائرية تنظيما محكما من حيث التسيير الإداري وانضباط رجالها وكان الداي يختار أحد الرياس الأكفاء ليعينه وكيلا للحرج وهو المسؤول الأول على البحرية الجزائرية وأعطيت له صلاحيات واسعة فكان يرأس ديوان الرياس للنظر في كل القضايا التي لها علاقة بالنشاط البحري[1] فعندما يقرر أحد الرياس الخروج إلى البحر بعد أخذ إذن من الداي يقوم بتشكيل طاقمه المتكون من عدد كبير من البحارين منهم طاقم القيادة المكلف بضمان السير الحسن للسفينة وسلامتها وهذا الفريق يتكون من قائد السفينة والنجار والمكلف بسد الفتحات (قلفاط) والمكلف بالأشرعة والحارس الذي يأخذ موقعه في أعالي الصةاري أما الفريق الثاني يفيتكون من رايس الغنائم وباش طوبجي مسؤول المدفعية وخوجة أو كاتب مكلف بفك رموز الإشارات البحرية والجراح والإمام أما البحارة فإنهم ينقسمون إلى مجموعتين الأولى تأخذ مكانها في مقدمة المركبة وتعرف عناصرها بالبحارة ـأما المجموعة الثانية التي تحمل اسم سوطا رايس تأخذ موقعها في المؤخرة وكان يضم إلى هذا الطاقم عدد من الإنكشاريين تحت قيادة الآغا[2].

والجنود الذين كانوا يلتحقون بالبحرية هم المجندون الجدد فكانوا يحملون معهم البنادق والمسدسات والسيوف وغطاء للنوم أما البايلك فلم يمنح لهم شيئا ما عدا ملابس قديمة لاستعمالها كضمادات للجروح وصندوق من الأدوية وطعامهم يتكون من الرغيف والزيتون الأسود والزيت والتين المجفف والخل.

---

[1] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص ص50-51

[2] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص51

وكان تجهيز السفن يكون على نفقات الدولة أو الخواص فقد استثمرت مختلف شرائح المجتمع في هذه الحرفة حتى أصبحت من الحرف الأساسية وكان الرياس الجزائريون يفضلون الإبحار جماعيا وهنا تكمن قوة الأسطول الجزائري.لقد كانت السفن الجزائريّة ولا سيما الكبيرة منها تضم طاقماً معتبراً وحسن التنظيم يتكوّن من ثلاث مجموعات رئيسية وهي:

مجموعة القياد: وتضم هيئة ضباط السفينة وهم الرايس، قبطان السفينة والباش رايس، مساعده، ورايس العسة، ناظر الطاقم، والخوجة، كاتب الراس، والباش جراح، والورديان باشي، ناظر الأسرى، ورياس الطريق، وهم المكلفون بقيادة الغنائم وباش دمانجي، مدير الدفة.

مجموعة المناورة: التي كانت تضم ربابنة السفينة، وهم اليرقانجي والغادر كابو والبريتاجي الذين يتولون أمر الأشرعة في السفن الثلاثية الصواري، والدمانجي، ملاح الدفة، والصندل رايس، رايس القارب، والمسترداش، معلم نجار، والقلفاط الذي يسهر على كتامة بدن السفينة والعنبرجي مسؤول مخزن المؤن والخزناجي مسؤول مخزن الذخيرة، ووكيل الحرج مسؤول التموين...وغيرهم وكان أغلبيّة هؤلاء البحارة وفق ما تذكره المصادر الأوروبية من الأعلاج والأسرى المسحيين وينقسمون إلى قسمين هما: البحريّة بحارة مقدمة السفينة والصوتا رايس بحارة المؤخرة كما كان يوجد على متن بعض أنواع السفن عدد من الأرقاء المجدفين يدعون بالكراكجية.

المجموعة القتالية: وكانت تتكون أساساً من بعض وحدات الانكشارية تحت قيادة آغا برتبة بلوكباشي يساعده شاوش وعدد معين من الأوضاباشية ووكلاء الحرج، كما كانت هناك جماعة طوبجية تحت إمرة باش طوبجب تتولى مدفعية السفينة. وكان يشرف على شؤوون السفينة مجلس يتكون من الرايس وعدد من الضباط وآغا وخوجة وتتلخص مهمته في إقرار العدل بين أفراد الطاقم وتقرير مصير المراكب المسيحية التي تصادف في البحر.ويجب التنويه أنَّ الحكم قد فتحوا الأبواب لكل من يرغب في الانضمام إلى البحرية الجزائرية شريطة أن يكون قد اعتنق الإسلام وكان الوصول إلى المراتب العليا أمراً صعباً للغاية إذ يجب على البحار البسيط أن يتحلى بشجاعة كبيرة ومهارة عالية في إتقان فنون البحرية وقبل أن يتعين كقبطان كان عليه أن يجتاز بنجاح امتحاناً يجريه عليه ديوان الرياس. ومن أشهرهم الرئيس حميدو[1] الذي

[1] المجاهد البطل أول بحّار محلي في أسطول الجزائر العثمانيّة هو مُحَمَّد بن علي الملقب بـ حميدو ولد في حي القصبة بالجزائر العاصمة سنة 1770م ركب مخاطر البحر منذ صغره وتمكن منذ سن الخامسة والعرشين بأن يصبح "ريس" إذ ترقى من بحّار إلى ضابط ثم أمير للبحر وأصبح يقود أسطولا واستشهد في معركة كيب جاتا يوم 16جوان 1815م، للمزيد ينظر: علي تابليت، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية1770-1815م، الأبيار: دار ثالة، 2006م.

كان خادماً في ضباط الجيش البحري، ثم ارتقى إلى رتبة بحار وبعدها إلى ضابط إلى أن أصبح رايس أي قائد الأسطول الإيالة.

❖ 8.مصادر التموين:

بالنسبة للمواد الأولية التي كانت تستعمل لصناعة السفن فقد كانت الأخشاب تنقل إلى ترسانة الجزائر من نواحي شرشال، كما كانت تتزود من غابات القل الغنية بأشجار البلوط الأخضر، وغابات اليدوغ وبني صالح وضواحي السيبوس وكانت أخشاب غابات القالة أكثر ملاءمة لصنع أقفاص السفن لقابليتها للانحناء والتقوس[1]. فقد كانت توجد ورشات لصناعة السفن وتصليحها في موانئ بجاية، ومدينة الجزائر وشرشال وكانت أخشاب غابات شرشال في القرن السادس عشر توفر كمية من الخشب البلوط والصنوبر لصناعة السفن إلاّ أن كمية الخشب المنتجة عرفت تراجعاً من عام 1650م بسبب الاستغلال اللاعقلاني في تقطيع الأشجار، ولم تكن صناعة السفن مقصورة على نوع واحد بل تعددت أشكالها وأنواعها فجزء منها كان يصنع في الموانئ الجزائرية أو يتم الاستيلاء عليه في عرض البحر من الأعداء والجزء الآخر يقتنى من الخارج، كما أنّ الجزائر كانت تتلقى بعض السفن في شكل هدايا من الدول الإسلامية ،كما أنّ نوعية السفن التي كانت تصنع في الجزائر تتميز بعدة خصائص منها: أن تكون صغيرة الحجم وفائقة السرعة، ممّا يسهل عليها القيام بالهجوم على سفن الأعداء والانسحاب في آن ذاته، وقد كان اهتمام الجزائريين مركزاً أساساً في صناعتهم على السفن المؤهلة لخوض المعارك في البحر والدفاع عن سواحل البلاد ولهذه الاعتبارات لم تعنى القيادة الجزائرية باعطاء أهمية للسفن الكبيرة الحجم.

وقد أوكلت مهمة صناعة السفن للعثمانيين الذين كانوا يستعينون بخبرة الأوروبيين الأحرار والأسرى والأندلسيين والأهالي. أما فيما يتعلق بأنواع السفن التي كانت تعتمد عليها الإيالة في البحرية فإن كثرة أنواعها كانت توحي بمدى عناية الجزائريين بالبحرية، ومن بين تلك الأنواع سفينة بركندة، بلاقرة، سكونة، فرقطون، برلانديرة وقليوطة. وكان أغلب هذه الأنواع من السفن مستخدماً في الإيالات المتوسطة المجاورة كتونس وطرابلس وحتى في العاصمة العثمانيّة اسطنبول ومصر[2].

---

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص100

[2] مُحَمَّد بن جبور، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني، مجلة عصور، الأعداد:12-13/14-15، مخبر البحث التاريخي-مصادر وترجم، جامعة وهران، 2008-2009، ص117

❖ 9.دور طائفة الرياس:

على الصعيد الداخلي:عرفت طائفة الرياس أحسن أوقاتها خلال القرن السادس عشر، حيث سيطرت على المجال السياسي فقد برز البايلربايات من الريّاس ليس فقط في المجال الاقليمي وإنما في المجال المتوسطي كله أمثال خير الدين بربروس، صالح رايس، علج علي...الخ.

وقد أثروا على نظام الحكم، إذ تواييد نفوذهم بفعل أرباح الجهاد البحري على حساب فرق الأوجاق في الفترة التي عرفت ازدهار البحرية (1518-1671م) وكان الدايات أيضا يختارون من ريّاس البحر، وعندما ضعفت البحرية وقلت أهميتها أصبح الدايات يختارون من بين ضباط الجيش البري.

أما في المجال المالي والاجتماعي فقد كان لهم دور في تخفيف عبء الضرائب على سكان المدن والأرياف، إذ كلّما زادت مصادر الدخل البحري خفت الضرائب على الأهالي ونقصت حركات التمرد والانتفاضات كما تسبب في رفاهية مجتمع المدن وزاد في غنى الحضر وتجمعت ثروات طائلة في أيدي البحارة والتجار.

على الصعيد الخارجي:بالمختصر فقد عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانيّة مرحلتين متباينين في علاقتها مع الدولة العثمانيّة وبالتالي مع دول أوروبا مرحلة التحالف أو توافق المصالح ومرحلة تناقض المصالح[1].

❖ 10.عوامل تدهور الأسطول الجزائري:

ترجع أسباب تدهور الأسطول الجزائري إلى عوامل داخلية وخارجية، فكانت العوامل الداخلية تتمثل في تدهور صناعة السفن في الجزائر، نتيجة القرار الذي أصدره الداي مصطفى في عام1799م، إذ منح بموجبه حق استغلال الغابات الواقعة بين بجاية والقل لليهوديين بكري وبوشناق، وقد سمح هذا الاحتكار بشراء الأخشاب مباشرة من الأهالي بأثمان أقل مما كانت عليه في العهود السابقة، وهذا ما دفع الأهالي ينصرفون عن ممارسة هذا النشاط، وقد تسبب هذا الوضع في تكديس الأخشاب على الشواطئ وعدم نقلها إلى ورشات صناعة السفن، والواقع أن عملية استغلال خشب الغابات الواقعة في الساحل الشرقي من البلاد كانت شاقة بالنسبة للإدراة العثمانيّة إذ غالبا كانت تواجهها معارضة محلية، وهذا ما كان يؤدي إلى حروب عنيفة بين القوات الرسمية والقبائل الريفية. أمَّا العوامل الخارجية فتمثلت في فقدان الأسطول الجزائري لعدة قطع أثناء المعارك البحرية التي خاضها ضد الأساطيل الأوروبية.

[1] عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص ص101-102

التقدم الصناعي والتقني الذي مكن الدول الأوروبية من تحدي القوة الجزائرية والوقوف في وجهها منذ أواسط القرن السابع عشر[1].

كما أنّ السفن الجزائريّة في أوقات السلم، كانت تتعرض للتفتيش من قبل الدول الأوروبية قصد إلقاء القبض على ربانها بحجة أنهم أعلاج، ارتدوا عن دياناتهم المسيحية لهذا فضل الملاحون الجزائريون الإبحار على أساطيل حربية لحماية أنفسهم من الأخطار التي كانوا يتعرضون لها. وأرغموا على ترك التجارة لبعض الأهالي يتولون أمرها إلا أنهم لم ينجوا من المضايقات التي مارستها ضدهم الدول الأوروبية وكانت الدول الأوروبية تبرر اعتداءاتها بحجة أن الجزائريين قراصنة متنكرين في هيئة تجار.

تحول النشاط البحري من هدف ديني سامي من أجل الدفاع عن الإسلام وحماية أراضيه من العدوان، إلى أغراض اقتصادية بحتة طلبا للغنائم والمكاسب وبحثا عن الربح.

وممّا زاد أحوال الأسطول الجزائري تفاقماً ابتداء من منتصف العقد الثاني من القرن التاسع عشر، الحملات التي شنها عليه الأسطول الأمريكي في عام 1815م والأسطول الانجليزي الهولندي في عام 1816م ومنذ الحين لم يعد هناك أسطول قوي على النحو الذي كان عليه في القرن السابع عشر. وجاءت معركة نافرين(Navarin) باليونان التي تحالف فيها الأسطول الأوروبي ضد الأسطول العثماني لتقضي عليه نهائياً قي عام1827م، وقد شجع الأسطول الجزائري الحكومة الفرنسية على فرض حصار بحري على السواحل الجزائرية(1827-1830م) الذي انتهى بالحملة الفرنسية على الجزائر1830م.

الانهيار الديمغرافي الذي شهدته الجزائر وباقي الأقطار العربية الإسلامية، والذي صاحبه ترد في الحالة الصحية وحوادث وفتن واضطرابات وفوضى وأدى في الأخير إلى قلة البحارة العاملين بالسفن والذين لم يعد يتجاوز عددهم 5300بحارا عام1769م بعد أن عزف الأهالي عن ركوب البحر وفضل الأتراك الخدمة في الجندية داخل البلاد وتلاشى العنصر الأندلسي المغامر باندماجه في سكان المدينة والجهات القريبة منها.

التحالف الأوروبي ضد القوى الإسلامية بالبحر المتوسط، إثر الحروب النابلونية وقد تمكنت الدول الأوروبية بفعل هذا التحالف من فرض حصار بحري على الدول الإسلامية بالمتوسط بعد مؤتمري فينا 1815م وإيكس لاشابيل1818م[2].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...المرجع السابق، ص 150

[2] نفسه، ص151

الدّرس الحادي عشر: الجيش الانكشاري:

1.نشأة الجيش الانكشاري:

كانت الدولة العثمانيّة جيشاً قبل كل شيء آخر، لأن مهمتها الأولى كانت هي الغزو والمهمة الثانية هي الحكم، ومنذ عهد الفاتح بدأت المهمة الثانية للدولة العثمانيّة أي الحكم تحتل مكان الصدارة ومع ذلك فالمهمتان ارتبطا ببعضهما أشد الارتباط فكانت الحكومة والجيش فكانت الحكومة والجيش وجهتين لعملة واحدة وأحدهما مهمة خارجية والأخرى مهمته داخلية[1].

وكان للجيش الانكشاري كأي جيش في العصر الحديث نظام داخلي يعكس للجنود قوتهم على الدولة ويعرفهم بواجباتهم، وقد تبلور ذلك النظام فيما عرف بقانون السلطان مراد الاول(1359-1389م) ويجدر التنويه هنا إلى المبادئ العامة حول حقوق الجنود الانكشارية فقد تبلورت نصوص هذا القانون في عهد السلطان سليمان القانوني(1520-1522م) وقد تألف من أربعة عشر مادة:

- على قادة الانكشارية وضباطها الانصياع إلى أوامر ولي الأمر.
- أن يتعامل قادة الانكشارية وضباطها مع جنودهم في ثكناتهم ككيان واحد وأن يتفقوا ويتحدوا في اتخاذ القرارات.
- إن حقيقية العسكرية والرجولة لا يليق بها أن تستخدم المظاهر الكاذبة ولا بد من اختيار البشاطة في الحياة.
- لابد من القيام بمتطلبات العبادات الالهية واطاعتهما، كما يقوم بها الحاج بكتاش وعدم الانحراف عنها.
- إن الدوشرمة الذين تم تجنديهم وجلهم من طوائف الأرمن، والبغار والبوشناق والأرناؤوط وما أسر منهم، لابد من استخدامهم في أوجاق أبنائ الأعاجم تمهيداص لدخولهم في أوجاق الانكشارية، ولا يتم قبول الانضمام إلى صفوف الدوشرمة من أجناس محلية وأخرى غير ما ذكر.
- إذا صدر الحكم بإعدام أي جندي انكشاري لابد من اظهار اثبات حيثيات الحكم.
- إجراء الترقيات لمراتب الانكشارية يكن حسب الأقدمية وبالترتيب في الأوجاق.
- لايتم تأديب وتوبيخ أفراد الانكشارية إلا من ضباطهم، وإذا ما صدر حكم بحق أفرادهم ينفذ في أماكن خاصة وبعيداً عن العامة.

[1] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، الجزائر دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م، ص8

- على الانكشاري أن لايطلق لحيته.
- لا يحق للانكشاري أن يترك الثكنات.
- على الانكشاري بأن لايعمل في أي مهنة أخرى.
- لا يحق للانكشاري أن يقدم على الزواج.
- على الانكشاري أن يقضي وقته في التدريب العسكري وتعلم الفنون المختلفة[1].

وقد تم تنظيم المجندين في ثلاث مجموعات:

1-مجموعة تشغل في القصور السلطانية وتسمى بـ " القابي قول " أي عبيد السلطان، ويختارون عادة من بين الأجمل والأحسن قامة للخدمة في القصور السلطانية بعاصمة الدولة و يكونون في مدارس خاصة وهي أكثر الفرق ولاء للسلطان.

2-مجموعة تعد لشغل المناصب الإدارية وتهيء لهذا الغرض.

3 – فرقة المشاة، وهي الأكبرعددا، وتضم معظم المجندين للخدمة العسكرية، وقد أطلق عليها اسم "إنجشايرية" أو "الينجيرية"، وتقسم، حسب مخطوط "بشائر أهل الإيمان..." . إلى<<أربعة (كذا) فرق وهي الجماعة والبلوك والسيبان وعجمي أوغلان.

كان الدافع الأساسي لإنشاء جيش نظامي يعودّ إبى سعي السلاطين إلى تقوية وتوسيع حدود الدولة العثمانيّة، لذلط ظهرت فكرة تأسيس فرقة الجيش الجيش الانكشاري في عهد السلطان أورخان(1326-1360م) وهذا باقتراح من أخيه الوزير – ثاني سلاطين آل عثمان، 1326 الأول (الصدر الأعظم)، "علاء الدين" وقاضي العسكر " قرة خليل جندرلي" والباشا خليل جندرلي.و كلمة "إنكشارية" هي جمع لكلمة "إنكشاري"[2]، وهي عبارة تركية تتكون من كلمتين: ***Yeni çeri*** " "يني" وتعني الجديد و"جيرى" ومعناها النظام، أي النظام الجديد "يني جيريوهو المصطلح الذي أطلق على نظام الجند الجديد، الذي نصح السلطان العثماني بتكوين جيش نظامي اعتمادا على خمس غنائم الدولة من فتوحاتها بالبلاد الأوربية، لأن في ذلك ضمان لاستمرار قوة الدولة العثمانيّة وتوسعاتها، بعد أن اتضح عدم قدرة الفرسان على ضمان ذلك لقلة عددهم وعدم تفرغهم كليا للعمل العسكري، خاصة وأن الدولة كانت في توسع سريع.

---

[1] جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببيايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف: كمال فيلالي، السنة الجامعية:1428-1429هـ/2007-2008م، ص5

[2] نفسه، ص ص2-3

تكونت فرق النظام العسكري الجديد بفضل عملية "الدفشرمة" أو "الدوشرمة" ، ومعناها اللفظي "يجمع أو يقطف "وهي عملية جمع الصبية المسيحيين (Devsirme) وتربيتهم تربية عسكرية إسلامية بعيدا عن الأهل والوطن مما يجعلهم، عند الالتحاق بالعمل العسكري (الجهاد)، لا يعرفون أبا لهم غير السلطان ولا حرفة لهم غير الجهاد في سبيل الله، ويلتحق هؤلاء الصبية بالمدارس العسكرية في سن مبكرة، بين 10 و 15 سنة وأحيانا أقل من ذلك[1].، مما يجعلهم سريعي الذوبان في النهج الإسلامي ، وكانوا يدربون في البداية على مختلف الأعمال المدنية وعلى رأسها البستنة، ولا يبدأ تدريبهم على الأعمال العسكرية إلا في سن 12 ويطلق عليهم اسم "عجمي أوغلان"، أي الصبية الأجانب.

وكانت الدوشرمة هي الطريقة المعتمدة في جمع هؤلاء الصبيان وهي تعني إجبار أبناء النصارى على الانخراط قسرا في فرقة الانكشارية وعلى الخدمة في القصور السلطانية كما يمتاز الجيش الانكشاري بالإخلاص للسلطان حتى أطلق عليهم تسمية عبيد العتبة"قابي قوة للرى"، وكانت عملية" الدفشرمة "تتم كل خمس سنوات ثم تقلصت الفترة إلى ثلاث سنوات ثم إلى سنتين، ثم أصبحت تتم كل سنة، ويجمع الصبية من مختلف المناطق المسيحية الخاضعة للدولة العثمانيّة وخاصة أوروبا الشرقية، من مقدونيا، ألبانيا، صربيا، بلغاريا، البوسنة، الهرسك، أرمينيا واليونان.

2.الجيش الجزائري خلال العهد العثماني:

أجمع جل الذين كتبوا عن الجزائر في العهد العثماني مثل الرحالة والقناصل وبعض المؤرخين أنها كانت جمهورية عسكرية ذلك أن الجيش كان يشكل القاعدة الأساسية التي بني عليها نظام الإيالة ويجدر التنويه أن هناك عاملين صبغا الأيالة بتلك الصبغة العسكرية يتمثل أولها في الظروف الحرجة التي أسست فيها الإيالة، أما الثاني فيكمن أنها امتداد للدولة العثمانيّة الّتي أمدت الإيالة بخصائصها ومنها خاصيتها العسكرية. وقد حافظت الجزائر على صبغتها العغسكرية حتى تكون على استعداد دائم لتصدي للهجمات الأوروبية، وكان الجيش الجزائري مثل الجيش في الدولة العثمانيّة قائما على قاعدتين هما الجيش البري والجيش البحري فالجيش البري كان يتمثل في دعامتين: الجيش النظامي المتمثل في فرقة الأوجاق وفي مقدمتها الجيش الانكشاري والجيش الاحتياطي غير النظامي والمتمثل في قبائل المخزن والكراغلة وبعض الفرق الأهلية بينما البحرية كانت تشكل جانباً هاماً ومميزاً في قوة الجزائر العسكرية.

[1] نفسه جميلة معاشي، المرجع السابق، ص3

3.أقسام الجيش:

ينقسم الجيش الجزائري في العصر الحديث إلى أربعة أقسام أو أربع فرق يكون على رأس كل فرقة مجموعة من الضباط معظمهم من أتراك الأناضول، وهذه الفرق هي:

المشاة: وهم الجيش البري أو الجيش الانكشاري أو ما يطلق عليه عادة اسم الوجاق ويتكون هذا من الأتراك أو المستتركين.

الفرسان: هم الخيالة أو الصبايحية ومعظمهم من الكراغلة والعرب.

المدافعيون(الطوبجية): وهم الذين يقومون على خدمة المدافع والحصون ومصانع البارود والمدفعية وهم من الأتراك والكراغلة والعرب.

البحارة(لوند): وهم الرياس ومعظمهم من محبي المغامرة من أبناء النصارى والعرب[1].

وفي مجل القول فإن الجيش الجزائري يتشكل من قسمين أساسيين هما: الجيش النظامي المعروف بالإنكشاري وهو يتفرع إلى فرع المشاة والمدفعية (الطوبجية) فكل أفراده مجندين من الولايات العثمانيّة المشرقية وانضم إليها فيما بعد المولدون أو الكراغلة أما القسم الثاني والأكبر فهو جيش مشكل من المحليين أساساً فيتكون من فرق الزمالة والدواوير والعبيد والمكحلية وكان أفراد هذه الفرق يضعون أنفسهم تحت تصرف السلطة كما كانت بحاجة إلى خدماتهم.

4.وصول الجيش الانكشاري إلى الجزائر:

وصلت أول فرقة من الجيش الانكشاري إلى الجزائر عام1520م وهي تلك الفرقة التي أرسلها السلطان سليم الأول(1515-1520م) مع الوفد الجزائري الذي حمل له رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم في الالتحاق بالباب العالي.

وكان عدد هذا الجيش 6000جندي منهم 2000من الجيش الانكشاري المدرب والمتمرس على القتال إضافة 4000متطوع وقد أضيفوا إلى الجند الذي كان مع خير الدين في مدينة الجزائر من ضمنهم 500جندي جزائري.

أما عن كيفية التجنيد فإنها تتم بطلب من الداي ويكلف بالمهمة وكلاء الجزائر المقيمين ببعض مدن آسيا الصغرى أو جزر بحر إيجه منها مدينة سميرين وكريت وجنقاله أو وفود مكلفون بمهام من أفراد الجيش ويترأس كل وفد ضابط.

---

[1] علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، الجزائر: دار الحضارة، 2007، ص104

وقد كان الوكلاء في العهود الأولى لا يقيدون في سجلات التجنيد إلا العناصر التركية المسلمة، التي كانت تتمتع بأخلاق طيبة وسمعة حسنة وقدرة عالية على حمل السلاح، ولم يكن يسمح للوكلاء الجزائريين بتجنيد الجند من الولايات العثمانيّة إلا بموافقة السلطان الذي كان يصدر فرماناً يخول بموجبه حرية القيام بهذه العملية،وقد لجأ الوكلاء الجزائريون إلى استخدام الدعاية والإغراء لجلب عدد كبير من الأجناد، فكانوا يعدونهم بالثروة الهائلة والحياة السعيدة التي تنتظرهم في الجزائر.

وعندما يصل المجندون إلى مدينة الجزائر يوزعون على الفرق التي كانت تعرف بالأوجاقات ويشكلون الجيش الانكشاري ويتم التقييد أسماء الوافدين في سجلات جرايات الجند، ويوضعون في الثكنات بعد أن تمنح لكل واحد منهم الملابس، سروال من القطن والصدرية وحزام أحمر ومعطف وشاشية وبرنوس وغطاء والسلاح المتمثل في السيف أو اليطغان وبندقية ومسدسين والجدير بالذكر أن الجندي كان مطالباً بتسديد ثمن السلاح الذي يتسلمه[1].

5.تنظيم والرتب العسكرية:

كان الأوجاق(الجيش) ينقسم إلى عدد من الكتائب أو الأورطة البالغ عددها 424 والتي تنقسم بدورها إلى عدد من السفرات، (والسفرة هي الفرقة المشكلة في الغالب من 16جنديا)وتخضع الانكشارية إلى نظام محكم فكل واحد مسؤول أمام الآخر حسب رتبته والمهام المخولة له، وقد نص عهد الأمان الذي يعد دستوراً أساسياً للمؤسسة العسكرية على احترام كل واحد لمنصبه والمهام المخولة له دون أن يكون تداخل في الصلاحيات وإن تنظيم الجيش الجزائري كان مطابقاً لما و معمول به في الدولة العثمانيّة فكان الجندي يبدأ حياته العسكرية برتبة يولداش ليصل في نهاية حياته المهنية إلى أعلى رتبة الآغا وكانت الرتب تتوزع على النحو الآتي:

يولداش: وهي مركبة من كلمتين يول تعني الطريق وداش تعني الرفيق أي رفيق الطريق، وهو الجندي البسيط أو المجند الجديد الذي لا رتبة له ويدعى بـ يكى يولداش.

اسكي يولداش أو اليولداش القديم: ويتحصل على هذه الرتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة كيكي يولداش.

باش يولداش: أو رئيس اليولداش ويتحصل على هذه الرتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة كاسكي يولداش ويشرف على فرقة عسكرية التي يتراوح عدد أفرادها ما بين 16و20جندياً.

[1] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص ص13-14

وكيل الحرج: وهو المقتصد ورتبته تعادل عريف أول وقد يتعدى عدد وكلاء الحرج في الأوجاق الواحد وهذا حسب أهمية الأوجاق.

وكيل الحرج: وهو وكيل حرج ثانوي.

أوده باشي: "ملازم أول" مسؤول على فرقة عسكرية التي يتراوح عددها ما بين عشرة إلى عشرين جندياً، والأوده تعني في اللغة العثمانيّة المرقد أو الغرفة المخصص للجنود، وهو تحت مسؤولية الأوده باشي، وتنحصر مهمته في السهر على حفظ النظام العام والانضباط داخل الفرقة.

بولكباشي: "نقيب" هو رئيس الفرقة.

عشحي باشى أو رئيس الطباخين ورتبته تعادل رتبة بلوك باشي.

أياباشي: يعادله الرائد إذ هو ضابط سام في الايالة يختار منهم لمنصب الكاهية،ويعمل تحت أوامر الداي يتلق منه الأوامر ويقوم بتبليغها داخل البلاد وخارجها ويتوسط بين الانكشارية والداي، كما أنّه كان مكلفاً بمراقبة المراكب أثناء مغادرتها الميناء، والسهر على منع الأسرى من الهروب.

الكاهية: "عقيد" يشرف على مجموعة من الضباط الذين يعينون في قصر الداي فكان أقدم كاهية يخلف الآغا أثناء إحالته على التقاعد.

ياياباشي: يشكلون فرقة مميزة، تضم أقدم ضباط المدفعية أو البلوكاشية القدامى، وقد تركوا مناصبهم لضباط شباب، وياياباشية هم مستشارو الديوان ويرافقون دوماً الداي في الحفلات العمومية ويساعدون الآغا في حل الأمور المعقدة، وأقدم ياياباشي يختار ليصبح كاهية ثم آغا.

الآغا: "جنرال": هو القائد الأعلى للقوات البرية، وكان الآغا يتولى هذا المنصب لمدة شهرين، أو قمرين لهذا عرف بآغا القمرين، ثم يعزل عن منصبه، ويعرف بمعزول آغا المتقاعد، إلا أنه كان يحافظ على عضويته في الديوان أو المجلس كما أنه يستمر في استلام مرتبه ويخلفه أقدم كاهية مثلما ذكرنا آنفاً[1].

6.الترقية:

كانت الترقية في صفوف الجيش الانكشاري تتم كل ثلاث سنوات، وذلك وفقاً لمبدأ الأقدمية في سلك العسكري، أي حسب ترتيب الجنود من تاريخ تسجيلهم في سجل الجراية، والانضباط والكفاءة والتفاني في أداء المأمورية، فقد كان الجندي يقضي ثلاث سنوات خدمة في كل رتبة ففي السنة الأولى يرسل الجندي إلى احدى الحاميات أو النوبات العسكرية المنصبة عبر التراب الوطني، أمنا في السنة الثانية

[1] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص ص16-17

فإنه يخرج في محلات(المحلة جمع المحلات وهي الفرق العسكرية التي كانت ترسل من مدينة الجزائر مركز السلطة إلى البياليك الثلاثة وكانت هذه المحلات تخرج إلى الأرياف مرتين في السنة، في فصل الربيع وفصل الخريف وكانت مهمتها تتمثل في مساعدة البايات على جمع الضرائب من القبائل، وكانت المدة التي تقضيها المحلة في الأرياف تتراوح ما بين ثلاثة إلى ستة أشهر وبعد ذلك تعود إلى مدينة الجزائر ليلتحق أفرادها بثكناتهم)إلى الأرياف لجمع الضرائب، كما أنه يساهم في إخماد حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل ويشارك في الحملات العسكرية التي تشنها السلطة الحاكمة على الدول المعادية لها. أما في السنة الثالثة فقد يأخذ فيها الجندي عطلته ويسمح له خلالها بأن يمتهن أعمالا حرة كالتجارة والفلاحة أو ينضم إلى البحرية الجزائرية ليستقيد من كل الامتيازات التي كانت تمنح للرياس والبحارة بصفة عامة.

وقد كان الجندي خاضعاً للقوانين العسكرية فمعاقبته مثلا، لا تكون إلا على يد رؤسائه كما أن القوانين تحمي العاجزين ومعطوبي الحرب، وذلك بإحالتهم على التقاعد مع احتفاظ بمرتبتهم والواقع أن القانون كان يمنع الجنود ولاسيما الجدد منهم الزاوج[1].

7.الثكنات العسكرية: هي المؤسسات التي تأوي الأجناد، فكل الثكنات[2] في الجزائر كانت تسمى بدار الانكشارية أو القشلة في بعض الأحيان باللغة العثمانيّة أو بيولداش أوده لرى أو يكيجري أوده لرى كانت توجد بمدينة الجزائر فقط، أما في المدن الأخرى فإنها عبارة عن أبراج تقيم بها الحاميات العسكرية ولم يكن عدد الأجناد يتجاوز مائة جندي. ومن ناحية الهندسة المعمارية للثكنات، فكادت أن تكون مشابهة ويكمن الاختلاف في المساحة التي كانت تحتلها كل واحدة منها فهي محصنة تحصيناً محكماً تحتوي كل واحدة منها على ساحة أو ساحتين وعلى أجنحتها يوجد عدد من الغرف المخصصة لأفراد الجيش والغرف مشيدة على طبقين أو ثلاثة إذ كانت كل غرفة تأوي ثلاثة أفراد وكانت الساحة مجهزة بعين ونافورة وعدد من الكراسي يسترخي عليها الأجناد في أوقات الراحة وكانت الثكنات تحتوي على المطابخ لطهي وجبات الأجناد وقد كانت الدولة تعين عدداً من الأسرى المسحيين للتكفل بصيانة الثكنات وتنظيفها. وعادة ما تأخذ الثكنة اسم منشئها أو المكان الذي تقع فيه وهي:

ثكنة المكررين: وقع خلط في أصل تسميتها بين جمهور المؤرخين، وحسب بربروجر فإن القاطنين بها هم جنود مسنون كانت تغذيتهم الأساسية مادة المقارونة وهي تقع في ضواحي قاع السور، لكن

[1] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص ص17-18.

[2] نفسه، ص24

المؤرخ الفرنسي دوني فيرى بأن هذه التسمية خاطئة وأنّ الصواب في ذلك القرئين أو المكررين والظاهر أن التسمية الثانية هي الأصح لأن كل المعلومات تفيد بوجود مسجد قرب الثكنة الذي بناه الداي عبدي باشا(1724-1732م) وكان الجنود يرتلون فيه القرآن الكريم في المواسم الدينية سيما في شهر رمضان، ومنها جاء اسم المكررين (تكرار القرآن) ويشير الباحث الجزائري نور الدين عبد القادر إلى أن تسمية المقرئين يرجع إلى وقوع الثكنة بحي يسكنه أهل القرآن من الطلبة وحرف اسمها ليعرف بـ ما قرون.

ثكنة باب عزون: وتعرف أيضاً بأمتاع اللبنحية، لكون أجنادها يضطرون إلى شرب الحليب في الفترات التي تقل فيها مواردهم المالية وكانت مخصصة للأجناد العزاب فقط، وقد تخرج منها عدد من الدايات والمسؤولين الكبار في الدولة فلهذا نجد أن عدداً منهم قد اعتنوا بصيانة غرفهم وتزيينها بأعمدة من المرمر، وقطع من الخزف ومن أشهر المسؤولين الذين مروا بالثكنة، نذكر منهم : حسن بن باشا داي الجزائر وإبراهيم آغا صهر الداي حسين آخر دايات الجزائر.

ثكنة صالح باشا وعلي باشا: يطلق على الثكنتين كل من دوفر وبربروجر اسم ثكنة الخراطين لوجودهما في حي تكثر فيه دكاكين الخراطة، أما سكان مدينة الجزائر فكانوا يطلقون على الثكنتين اسم "باب السخرية" لالتصاق البناتين بعضها البعض.

ثكنة أوسطى موسى: سميت بهذه التسمية نسبة غلى المهندس المعماري موسى الأندلسي الذي كلف بانجاز شبكة مياه الحامة، وكان مقيماً في هذه الثكنة كما سميت "باب الجزيرة" لقربها من باب البحر.

ثكنة بالي: وردة عدة تسميات لهذه الثكنة منها ثكنة الدروج لأن الوصول إليها يتطلب صعود الدروج ثكنة القناصل لكونها مقابلة لشارع القناصل وهي تقع بحي الدوامس القريب من باب الجهاد لذا عرفت بثكنة الدوامس أما الوثائق العثمانيّة فتطلق عليها اسم دار الانجشارية المعروفة بالدروج قرب باب الجزيرة وتعد أصغر ثكنات مدينة الجزائر

ثكنة إسكي (القديمة) وثكنة "بني" (الجديدة): يبدو أن هاتين الثكنتين كانتا ملتصقتين بعضهما ببعض:

الثكنة القديمة: تقع في الأعلى ويطلق عليها الفوقانية لموقعها المرتفع بالنسبة للثكنة الجديدة[1].

[1] حنيفي هلايلي، أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الانكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانيّة، مجلة الحوار المتوسطي، ع:3، مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس،ديسمبر2018، ص68

الثكنة الجديدة: تقع في أسفل الثكنة القديمة ويطلق عليها السفلانيةأو التحتانية. والجدول سيفصل سيوضح الثكنات من ناحية التشيدد وتموقها.

اسم الثكنة	التمركز والموقع	تاريخ البناء والتواجد	ملاحظات
باب عزون"الكبيرة واللبانجية"	شارع باب عزون المنطقة 13	مابين 1548-1549م من طرف محمد بن مصطفى	عدد الجند 1661 تحولت خلال الفترة الاستعمارية إلى ثانوية
شكنة صالح باشا وعلي باشا الخراطين	تقع في أعلى ثكنة باب عزون	شيدت قبل1533م تم ترميم ثكنة صالح مابين 1552-1556م و1713م أما ثكنة علي مابين 1568-1571م	1516 و1266 جندي
ثكنة أوسطى موسى	تقع بالقرب من باب الجزيرة شارع البحرية المنطقة 19	شيدت قبل 1675م ربما ما بين 1624-1633	عدد الجند بها 1833 وهي أكبر الثكنات سماها الفرنسيون Le Mercier
ثكنة إسكي 'القديمة) وثكنة "بني" السفلانية	شارع الخضارين المنطقة 3	نهاية البناء مابين 1627-1628م	عدد الجند بها 1089
ثكنة بني(الجديدة)"الفوقانية	شارع الخضارين المنطقة 3	بداية البناء 1596-1597م في عهد الداي مصطفى باشا(1596-1599م) نهاية الاشغال (1637-1638م)	عدد الجند 856بها
ثكنة المكررين	حومة القصور المنطقة21	وجدت قبل 1678-1679م	عدد الجند بها 899، وشيد عبدي باشا مسجد أمامها وحولها الفرنسيون إلى إسطبل للخيالة
ثكنة يالي-الدروج	مقابل ثكنة أوسطى موسى شارع البحرية شارع القناصل المنطقة 21	وجدت قبل 1678-1679م	عدد الجند بها 602[1]

8.مهامهم: لقد كانت مهمة الجنود الأساسية في العهود الأولى من الحكم العثماني، وهي الدفاع عن البلاد والمحافظة على الأمن الداخلي بوازع ديني بحت، وتمكنوا بفضل هذا الدافع الديني والتنظيم المحكم من تحقيق عدة انتصارات والتصدي لجميع الغاراتا التي كانت الدول الأوروبية التي تشنها ضد الجزائر. وكان لهم دور في تثبيت دعائم الوجود العثماني بالجزائر ويظهر ذلك من خلال العمل على توسيع حدود الإيالة، وفي مطلع القرن السابع عشر أصبحت فرقة الانكشارية ثاني قوة رئيسية في الجزائر

[1] حنيفي هلايلي، أضواء...المرجع السابق، ص72

بعد الباسا، ويرجع ذلك إلى حالة الاستقرار التي عرفتها البلاد، كما ساهمت في إنعاش الضرائب والآتاوات خاصة بعد تراجع غنائم الجهاد البحري منذ القرن الثامن عشر.

9.التسلح: تتمثل أسلحة الجيش الجزائري في السيوف أو البطغان والمسدسات والبنادق والمدافع ومنها ما هو خاص لرمي الحجارة، المعروفة بالمهاريس ومنها ما يستعمل في رمي القنابل المحرقة والكور وما يمكن قوله عن صناعة الأسلحة في الجزائر فإنها غير متطورة فتوجد في بعض المدن والقرى المصانع لصناعة البنادق والخناجر وسبك المدافع والكور وتحضير البارود وكان الجندي يتسلح في حالة الحرب بمسدسين وخنجر وبندقية وسيف وهناك من ينفي وجود صناعة الأسلحة في الجزائر.

10.الجرايات: إن دراسة تفصيلية الجرايات أو مرتبات الجند خلال العهد العثماني، تعد من المسائل الشائكة والمعقدة، نظراً لتشابهها في بعض المصادر أحيانا وتناقصها أحياناً أخرى وذلك من حيث القيمة والمدة فهناك من حدد الأجرة بالشهر أو شهرين وهناك من حددها بالسنة علماً أنها كانت تسلم في العادة مرة واحدة في كل قمرين.

وكانت عملية توزيع الجراية تتم بحضور أعضاء الديوان، المشكل من الداي والآغا والكاهية والبول كباشي والكتاب والباش شاوش والخزناجي ومساعديه والمكلف الرسمي بهذه العملية هو الآغا الذي يحضر الدفاتر ويشرع في المناداة فكان الداي أول من يتسلم جرايته ثم يليه الضباط والجنود، وكانت عملية تسديد الجراية تستغرق أسبوعين كاملين أما الغائبون فيمكن استلام جرايتهم أثناء عودتهم إلى المدينة.

11.عوامل تدهور الجيش:

أما عن العوامل المؤثرة في الأوضاع العسكرية فإنه يمكن إيجازها فيما يلي:

مع مرور الوقت انحرف الجنود عن مهمتهم الجوهرية وحل محل الدافع الديني، إذ أصبح الجنود يولون اهتماماً متزايداً للجانب المادي، كما كانوا يهتمون بالسياسة مما سمح لهم بتكوين طبقة متنفذة في المجتمع[1]، وبالتالي أصبحوا يتصرفون في أمور البلاد حسب أهوائهم وأغراضهم فكلما حاول الداي المساس بمصالحهم وامتيازاتهم أو تأخر عن دفع مرتباتهم كان مصيره العزل أو الاغتيال.

قلة الموارد المالية: إن الضعف المبكر الذي حدث على الجيش لم يكن خطيراً لأن حالة البلاد الاقتصادية كانت جيدة، فلذا تمكن الحكام من السيطرة على الوضع والتغلب على الانتفاضات

[1] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص33

والاضطرابات بجميع أشكالها إلا أن الأمر قد اختلف لما بدأت موارد البلاد تتضاءل بدءاً من أواخر القرن الثامن عشر وما صاحبه الوضع المعفن وانتشار الفوضى.

قلة وفود الجند من المشرق: لقد كان لتدهور الأوضاع الاقتصادية انعكاس سلبي على الأوضاع العسكرية حيث قامت السلطة بتقليل عدد المجندين من المشرق. والتقليل من المجندين لم يرجع إلى قلة إمكانيات الجزائر فحسب، بل كان الحكام يتجنبون في السنوات الأخيرة تجنيد الجنود من المشرق لأنهم يدركون أن الانكشارية أصبحت غير صالحة، إذ فقدت كل الخصال التي كانت تمتاز بها في العهود الأولى. فهي من ناحية ساهمت في بناء مجد الإمبراطورية في البداية ومن ناحية أخرى تسببت في انحطاطها في النهاية.

انتشار الأوبئة(سيأتي التفصيل لاحقا في هذه النقطة): لقد انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني عدة أوبئة ولاسيما الطاعون الذي أودى بحياة عدد كبير من السكان، ومن ضمنهم الجنود فكان الطاعون يصيب الأماكن التي تكون فيها كثافة السكان مرتفعة مثل الثكنات العسكرية التي كانت تأوي عدد كبيرا من الجنود.

-الإنكشارية وتغيير أوضاعهم الاجتماعية: بعد أن كان الانكشاريون في بداية الأمر يعيشون عزاباً في ثكناتهم حيث وهبوا حياتهم لخدمة الوطن، فإن الوضع قد تغير في العهود الأخيرة، إذ سمح لنسبة كبيرة منهم بالزواج، ممّا جعلهم يرتبطون أكثر بأسرهم، وبالتالي أصبحوا يتخلون عن دورهم العسكري، كما سمح للجنود بممارسة المهن المختلفة التي لا علاقة بالحياة العسكرية مثل التجارة والانخراط في البحرية.

-ضعف التسليح: إن الجيش الجزائري على غرر الجيوش الاسلامية الأخرى لم يطور من أسلحته وخططه الحربية، عكس الجيوش الأوروبية التي دخلت دولها في مرحلة التصنيع في القرن الثامن عشر مما مكنها من توفير أسلحة متطورة، وأسطول قوي، قهرت به الجيش الإنكشاري في معظم المعارك، وأظهرت تفوقاً ملحوظاً في البحار والمحيطات. وهذا ما يفسر عدم قدرة الجيش الجزائري على الصمود أمام الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830م ولم يكن أمامه الخيار إلا الانسحاب من الجزائر والعودة إلى المشرق[1].

[1] أرزقي شويتام، دراسات...المرجع السابق، ص35

12.التنافس بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية:

لقد نجم عن التنافس الذي حدث بين القوتين البرية والبحرية إلى عدم استقرار نظام الحكم، إذ مرّ الحكم العثماني في الجزائر بأربعة عهود متباينة وقد كان الهدف من هذا التنافس هو محاولة كل قوة السيطرة على مقاليد الحكم حيث كان الجنود يعلمون جيداً أن الحفاظ على امتيازاتهم المادية مشروط بمدى تحكمهم في السلطة، لذا أصبح المحرك الأساسي للتنافس يتمثل في العامل الاقتصادي الذي خلف تأثير سلبي على سلوك الجنود، فبعدما كانت مهمتهم الجوهرية هي الدفاع عن البلاد أصبح همه هو الحصول على أجورهم فإذا تأخر الحكام عن تسديدها في الوقت المخصص، عمت الاضطرابات التي غالباً ما تودي بحياة الحكام، لكنه رغم اشتداد الصراع بين القوتين فإن هناك توليفة بينهما بسبب المصلحة المشتركة، فإذا كانت القوة البرية تشرف على مهمة الدفاع عن البلاد واستتباب الأمن الداخلي فإن القوة البحرية كانت توفر جزءا من أجور الجنود بفضل العائدات والغنائم البحرية التي كانت تزود بها خزينة الدولة، ومن هنا يتضح أن المصلحة المشتركة قللت نسبياً من حدة الصراع، سيما بعد أن سمح للانكشارية في عام1568م بالانضمام إلى الطاقم البحري، والمشاركة مباشرة في ارباح غنائم الجهاد البحري

وفي الواقع كان للفريقين مصالح متكاملة تشدهم غلى بعضهم البعض في معظم الاحيان، فمهما بلغ ثراء رجال البحر فليس بإمكانهم الاستغناء عن الجند الذين كانوا يقومون بالمحاحافظة على الأمن في الداخل والدفاع عن الجزائر، والأمر نفسه بالنسبة للجند فمهما بلغت قوة الجند وكثرتهم فليس بامكانهم أن يحملوا بفرض إرادتهم على رجال البحر، لأن عنائم هؤلاء كانت تسد حاجة الخزينة وتسمح لها بدفه مرتبات الجند بصورة منتظمة[1].

[1] حنيفي هلايلي، بنية...المرجع السابق، ص132

الدّرس الثاني عشر: التنظيم السكاني في الريف الجزائري

1.سكان الأرياف: كانوا يشكلون غالبية سكان الإيالة الجزائرية، إذ تتراوح نسبتيهم بين 90و95% من مجموع السكان، وهم يتوزعون في المناطق الجبلية والسهلية والصحراوية، وقد كان سكان الجبال يعتمدون في حياتهم على زراعة الأشجار المثمرة، بينما سكان السهول يمارسون زراعة الحبوب وتربية الحيوانات أمّا سكان الصحراء فمنهم من كان يمارس زراعة النخيل في الواحات ومنهم من كلن يتولى تربية المواشي وبالإضافة إلى النشاط الزراعي والرعوي، كان الريفيون يمارسون التجارة والصناعة التقليدية سيما صناعة النسيج. أمّا إذا حاولنا تقسيم سكان الأرياف حسب معيار المكانة الاجتماعية وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، فإننا نجد أربع قبائل[1]وقبل الخوض في هذه النقطة يجدر بنا في بادئ الأمر التوقف عند الدلالة اللفظية للقبيلة قبل الاستعراض في ذكر فئاتها.

2.مفهوم القبيلة:

جاء ذكر القبيلة بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:13]، ومن ذلك استمد المسلمون مفهوم القبيلة، ومنه تتفرغ القبائل التي سميت كذلك لتقارب الأنساب فيها، وبعد القبيلة تأتي العمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة والعشيرة[2]، إذن تجمع القبيلة بمفهومها الإداري عدة فرق أو عددا متغيراً من الدواوير، أما من منظور الاجتماعي فإن القبيلة مجموعة متجانسة تجمع بينها رابطة الدم وينتسب أفرادها إلى أصل واحد وهذا ما يجعل القبيلة أبعد ما تكون عن الإقليم الإداري أو الوحدة السياسية[3]. وتربط أفراد القبيلة روح التضامن، إذ تظهر التويزة قاعدة التقابل(Réciprocité) التي يخضع لها معظم أشكال التعاون حيث يساعد الفلاح غيره في عمل ما ثم يحظى هو بمساعدة الآخرين بعد ذلك، كما تبدو القبيلة بوضوح جهازاً اجتماعياً يمتص الفرد ويخضعه لأوامره ليوفر له في المقابل الأمن والتضامن.

---

[1] أرزقي شويتام، نهاية...المرجع السابق، ص82

[2] كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: دحو فغرور، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2012-2013، ص237

[3] ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقايم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص413

وعليه فالقبيلة في الريف خلية اجتماعية أساسية تشكلها المجموعات الريفية، معتمدة في الأصل على أساسين؛ أوّلهما علاقة القربي الناشئة عن الانحدار من نسل جد واحد، وثانيهما الأرض التي تستقر عليها القبيلة، وكل تقليص لهذه الأرض يمس نظامي القبيلة الاقتصادي والاجتماعي ويؤدي بذلك غلى تفتيتها، كما أنّ دخول عناصر بشرية لا تنتمي إلى القبيلة لا يؤثر على تركيبتها بشكل ملحوظ.

وقد هيمن الطابع القبلي على الريف في الجزائر سواء في المناطق الجبلية والسهلية أو في الهضاب العليا والصحراء، ونظراً لأهمية العصبية القبلية فكما يرى ابن خلدون أنَّ العصبية تتلاشى في البيئة الحضرية؛ بينما تقوى وتشتد في البيئة صارت الجماعات تنتظم ضمن تنظيمات قبلية ورغم انتفاء علاقة القرابة بينها أحيانا، ولم يقتصر على الريف بل أصبحت المدينة تتأثر بهذه العصبية حيث تحولت أحياؤها في كثير من الأحيان إلى امتداد لقبيلة ما.

3.أنواع القبائل في الريف:

3.1.قبائل المخزن: ارتبطت الإدارة العثمانيّة بالجزائر وبالخصوص في المناطق الريفية بمصطلح"المخزن" ويعود أصل هذه الكلمة إلى تلك المؤسسة الإدارية، التي أنشأتها دول المغرب قبل الفتح الإسلامي والمتمثلة في الأعوان الإداريين المكلفين بتسيير وحفظ محصولات الضرائب العينية المكدسة في "المخازن" إلى أن أصبح هذا اللفظ يطلق على تلك الإدارة نفسها[1] إذ يمكن تعريف قبائل المخزن بأنّها مجموعات سكانية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدوار، وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك، بل هي في واقع الأمر تجمعات سكانية تعميرية ذات تكوين مصطنع، فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال، وبهذا تشكل قبائل المخزن حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن، بل إنها أضحت في أواخر العهد العثماني تؤلف رابطة متينة تشد المحكوم إلى الحاكم وتبقي على تماسك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الريف[2].

أ–أصنافها: تعد قبائل المخزن نموذجا واضحا لسياسة الإدارة العثمانيّة مع السكان، ولاسيما سكان الأرياف، واتصاف هذه القبائل بالصفة المخزنية يتضمن أنّها تتكون من مجموعات بشرية ذات طابع إداري وعسكري وفلاحي في ذات الوقت وهو عامل الارتباط في حالتها هذه، ولم يكن ارتباطها

---

[1] كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانيّة(1509-1792)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مُحَمَّد دادة، جامعة وهران، السنة الجامعية:2014،2013، ص95

[2] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص246

قائما على الأصل الواحد والعصبية القبلية بالأساس، وبالنظر إلى نشأة وتكوين هذه القبائل يدكن الوقوف على ثلاثة أنواع:

-الصنف الأول: قبائل محلية في الأصل تتواجد على أراضي زراعية أو مجاورة للمدن قبل مجيء العثمانيين، وكانت مواطنها سهلة المنال من طرف العثمانيين، حيث فضل هذا الصنف التحالف مع العثمانيين طوعا مقابل إقرار احتفاظهم بأراضيهم وانتفاعهم بجمع الضرائب من قبائل الرعية،وتلتزم هذه القبائل بتقديم كل أصناف الدعم للإدارة العثمانيّة لاسيما العسكري، كما أن بعض القبائل كالقبائل المرابطية تعاونت مع العثمانيين عن قناعة ومن منطلق أنهم مسلمون محررون جاءوا لأجل الجهاد وتحرير الأرض من الكفار.

-الصنف الثاني: هو قبائل ممتنعة في الأصل لكن فرض عليها الوضع المخزني، غير أنّها لا تلتزم بهذه الصفة بشكل دائم، إذ تتمرد كلما مرت الإدارة العثمانيّة بفترة فتور أو انشغال، ومنها قبائل نزليوة بوادي يسر بمنطقة القبائل.

-الصنف الثالث: هو قبائل شكلها العثمانيون من أفراد لا ينتمون عادة إلى نفس الأصل، فهم مغامرون متطوعون أو حتى من العبيد الذين تم تحريرهم، حيث فرض وضعهم الاقتصادي والاجتماعي انضواءهم لخدمة العثمانيين نظير إقطاعهم أراض زراعية وانتفاعهم من وظائف[1].وتستمد قبائل المخزن وظائفها الحربية والإدارية من تقاليد التبعية والولاء التي طبقها الموحدون واتبعها فيما بعد الزيانيون بتلمسان وبنو حفص ببجاية وقسنطينة، وعمل الأتراك على الإبقاء على هذا النوع من القبائل المتعاونة عندما تيقنوا من أهميتها في استخلاص الضرائب ومعاقبة المتمردين منذ حكم الباشوات(1587-1659م)، ثم وسعوا صلاحيتها في القرن الثامن عشر، فأصبحت تشارك في المحلات الفصلية لاستخلاص الضرائب وإيقاع العقاب بالممتنعين والمعادين لسلطة البايلك والحيلولة دون تحرك القبائل الجبلية أو الصحراوية لاجتياح السهول الخصبة حيث توجد ملكيات البايلك وتعيش قبائل الرعية الخاضعة، كما تكلفت بحراسة الأبراج الحصون والخوانق الجبلية والممرات الصعبة وأماكن العبور والمسالك الرئيسية الواصلة بين مراكز البايليكات وعند الطواحين الهوائية والمائية والأسواق الموسمية بالإضافة إلى تجنيدها لإبعاد الخطر عن مكامر البايليك ومحطات الطرق"القوناق" حيث يستريح المسافرون والمحافظة على سلامة الجسور والقناطر المهمة ونقاط التقاء المحلات الفصلية عند توجهها لجمع الضرائب

[1] مُحَمَّد السعيد عقيب، عمر لمقدم، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانيّة بالسكان(إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج:7، ع،2، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، 2018، ص ص108-109

والحملات البعيدة المدى، ويوكل إليها أمر تنفيذ أوامر البايليك ومراقبة وتنفيذ تعليماته، وذلك لقلة عدد الجند التركي بسب أن الوضع المدي الممتاز الذب كان يعيشه أفراد الطائفة التركية شجعهم على استخدام قبائل المخزن لكي تحافظ على امتيازاتها ومصالحها الخاصة، وذلك بالتقليل من عدد الجيش المرتزق وعدم الاكثار من جلب المجندين من الأناضول لأن عملاً مثل هذا يضطرهم إلى صرف أجور كثيرة ومصاريف إضافية تنقص من ثرواتهم ومواردهم الخاصة إلى جانب أنها لم تتلقى هذه الحكومة التركية في الجزائر دعم مادي أو بشري من مركز السلطة العثمانيّة.

والاتصاف بالصفة المخزنية لا يعني أداء نفس المهام، إذ على هذا الأساس تصنف إلى نوعين: قبائل مخزنية ذات طابع عسكري وهي القبائل المخزنية المحاربة كقبائل مازونة والنوع الثاني هي القبائل المخزنية ذات الطابع الفلاحي تهتم بالفلاحة وتربية الخيول غير مسلحة، وتساهم بالعمّال الخماسين أو لحراسة مطامير البايلك كقبيلة أولاد صابر حيث كلّفت بتموين قبائل المخزن والجيش بالخيول.

ب–الامتيازات: مقابل هذه الخدمات كانت قبائل المخزن تحظى ببعض الامتيازات وتنال بعض الحقوق دون بقية سكان الأرياف، فتتمتع بالأمان والحماية من طرف سلطات البايليك والإعفاء من المطالب المخزنية والضرائب الإضافية كاللزمة والغرامة والحكور والمعونة، والاكتفاء فقط بتقديم بعض المساهمات العينية الخفيفة التي لم تكن تتجاوز سدسي المحصول وفي بعض الأحيان لا تتعدى حصاناً واحداً وبعض الخراف مع دفع الضريبة الشرعية "العشر والزكاة" زيادة على تلقي فبائل المخزن المنح والتجهيزات مجاناً من الدولة كالسلاح والمؤونة ووسائل النقل وغير ذلك.

وممّا نذكره أنّ نشاط قبائل المخزن الحربي قد ترك آثاراً في حياة سكان الأرياف، إذ ساعد على انتشار اللغة العربية وانحسار اللهجات المحلية ببعض الجهات كالهضاب العليا قسنطينة، وشجع على شيوع البدواة والتحول من ممارسة الزراعة إلى تربية المواشي، وإن كانت بعض عشائر المخزن حاولت الاستقرار بالجهات التي تقيم بها لممارسة الفلاحة، وعلى كل فإنَّ قبائل المخزن أصبحت في نهاية العهد العثماني بمثابة الدركي الساهر على مصالح البايليك والقوة الفعالة التي يوظفها الحكام لإبقاء نفوذهم والانتفاع بثروات الجهات الأكثر غنى كسهول فرجيوة وساباو وقسنطينة والهضاب العليا وعنابة وغريس وتلمسان ومتيجة وعريب وسهول بني سليمان[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص ص248-249

3.2)قبائل الرعية (الخاضعة): كان المجتمع الريفي يتكون أساساً من قبائل الرعية، التي جعلها خضوعها المباشر لسلطة البايلك، إذ تتحمل عبء النظام الضريبي، فكانت تعد المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد، لما كانت توفره من مداخيل مالية، وإنتاج زراعي وحيواني حيث كانت قبائل الرعية مطالبة بدفع الضرائب النقدية والعينية، ومن جملة العوامل المختلفة التي أرغمت القبائل الأهلية على الخضوع للإدارة العثمانيّة نلخصها فيما يلي:

أ–الموقع الجغرافي: كانت معظم القبائل تقيم في المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدراة الممثلة في قبائل المخزن، والقبائل المتعاونة معها، والحاميات العسكرية المرابطة في الأبراج ومدن البياليك.

الوضع المادي: كانت معظم الأراضي الفلاحية الخصبة، في يد قبائل المخزن، والقبائل المتعاونة، وبعض الأسر القوية، أما نصيب قبائل الرعية كان ضئيلاً جداً بل هناك من لا يملك شبراً واحداً، وهذا ما جعل بعض القبائل تدخل في نظام الرعية للاستفادة من أرض مقابل تقديم خدمات للإدارة، ودفع الضرائب المقررة عليها.

الصراعات والحروب القبيلة: أدت الصراعات والحروب التي كانت بين القبائل بسبب التنافس حول المراعي، ونقاط المياه، ومحاولة فرض الوجود، وغيرها من القضايا ببعض القبائل ولاسيما الضعيفة منها بالاستنجاد بالإدارة العثمانيّة والدخول تحت حمايتها.

طريقة تنظيمها: كان تنظيم قبائل الرعية معقداً، لاختلافه من قبيلة لأخرى فهناك ما كان خاضعاً لشيوخ قبائل المخزن وآغوات الدواوير والقياد والخوجات وخلفاء البايات والبايات وهناك ما كان تابعاً لخوجه الخيل وآغا العرب بمدينة الجزائر، وقد تعود أسباب تقاسم مهمة قيادة هذه القبائل إلى الانتفاع من خدماتها والظفر بالنصيب من الضرائب التي كانت تدفعها، كما أنّه يسهل من عملية التحكم فيها وإخضاعها.

3.3) قبائل المتحالفة: تتعامل مع البايليك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات التي تولت حكم المجموعات القبيلة المتحالفة، الطابع الروحي في غرب البلاد "علائلات المرابطين" والطابع الحربي في شرق البلاد وجنوب التيطري "الأجناد"

بينما العائلات التي تولت زعامة هذه المجموعات القبيلة الحليفة بمناطق جرجرة و البابور والصومام اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة "الأشراف" أو امتثالها لرأي الجماعة"الخروبة[1].

والجدير بالذكر أنّ البايليك حاول ربط هذه المشيخات القوية بالسلطة وإخضاعها لتصرف الحكام وذلك بالالتجاء إلى عدة وسائل منها:

التقرب إلى شيوخها ومرابطيها وذوي الرأي منها بإسقاط المطالب المخزنية وتقديم الهدايا وإصدار فرمانات التولية، مقابل خدمات محددة مثل تأمين الطرق وجمع الضرائب من الدواوير والدشر التابعة لهم، وبهذا أصبح هؤلاء الشيوخ والزعماء المحليون واسطة بين الأهالي البعيدين عن سلطة البايليك وبين رجال البايليك، وأداة طيعة يوظفها الحكام في بسط نفوذهم غير المباشر على المجموعات القبلية التي يعصب إخضاعها.خلق تنافس وتناحر بين الأحلاف القبيلة الكبرى، وذلك بتشجيع الصراع العشائري المعتمد على مبدأ الصف ونزعة التعصب للقبيلة، ومن أشهر الأحلاف المتصارعة على نطاق المياه ومجال الرعي والتي كان للحكام دخل في إضرام العدواة بينها.

شن الحملات الانتقامية المفاجئة بين الحين والآخر، وذلك عندما تظهر من تلك القبائل بوادر الامتناع عن تقديم المطالب المخزنية أو يحاول بعض الزعماء التخلص من رقابة البايليك[2].

3.4) قبائل الممتنعة(المستقلة أو الساسبة أو الرافضة): كانت بعض القبائل الجبلية والصحراوية تمتنع عن دفع الضرائب، وقد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي وتضاريسها، وكذا بعدها عن مركز الإدارة، وكان رفضها هذا راجع إلى طبيعة نشاطها الاقتصادي، إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي ممّا جعل مردودها الزراعي ضعيفاً، فكان نشاط تلك القبائل مقصوراً على قليل من الزراعة، تربية المواشي والتجارة وهذا ما جعل اقتصادها يلبي احتياجاتها اليومية، ولهذه الاعتبارات نهجت السلطة الحاكمة سياسة خاصة إزاء هذا النوع من القبائل، فلم يكن من أولوياتها فرض الضرائب، كما هو الشأن في المناطق السهلية الخاضعة لها بل كانت تهدف إلى تحويل عدد من القبائل الممتنعة إلى قبائل مخزنية، أو إجبارها على دفع ضريبة لممارسة التجارة في المدن والأسواق التابعة للمخزن أو على الأقل دفع ضريبة رمزية تعبيراً عن ولائها وتبعيتها. كأولاد دريس، لعذاورة، أولاد سيدي عبسى العذب، عزير، سحاري لعطايا، أولاد نايل، بني لغواط، مجموعة الأربعاء، مجموعة المزاب، مجموعة الشعانبة، ورقلة، مخادمة أوسعيد مخادمة، ناقوسة وسعيد عتبة.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص250

[2] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص ص251-252

الدّرس الثالث عشر: التنظيم السكاني في المدن الجزائرية

شهدت التركيبة السُّكانية لمدينة الجزائر مع مطلع العصور الحديثة تغييراً ملموساً نجم عن التحولات العميقة، فقد كانت الهجرة الأندلسية عام 1492م وتلتها هجرة أكثر كثافة عقب صدور قرارات التنصير الإجباري عام1494م ثم كان التحاق الجزائر بالدولة العثمانيّة عام1519م، وبهذا فقد غيرت هذه العوامل وجه التركيبة السُّكانية وسنحاول تناول الأقليات والطوائف الّتي يتشكل منها سكان المدن كل على حدة لتميز كل جماعة على أخرى في وضعيتها الاجتماعية ونشاطها الاقتصادي وعلاقتها بالدولة وأهم المجموعات السكانية والأقليات العرقية بالمدة هي: الأقلية التركية، جماعة الكراغلة، طبقة الحضر، وجماعة البرانية والدخلاء.

1.الأتراك: استقر الأتراك العثمانيون منذ مجيئهم إلى الجزائر في المدن أكثر من الأرياف، لاعتبارات عديدة أهمها وجود السلطة المركزية العثمانيّة بالمدينة، وعدم تقبل الريفي للسيطرة العثمانيّة وتمسكه بالحكم المحلي، الحكم القبلي،كما امتاز الأتراك العثمانيون عن باقي المجموعات السكّانية باحتلالهم لمكان الصدارة في الهرم الاجتماعيّ من خلال هيمنتهم العسكريّة والسياسيّة على الإيالة؛ فقد كانت أغلب الوظائف في جهاز الدولة من نصيبهم وكانت لهم بذلك اليد العليا في تسيير شؤون البلاد[1]، وكانوا يشكلون طبقة مغلقة منعزلة عن المجتمع الجزائري متمسكة بلغتها التركية وبمذهبها الحنفي وتخضع لنظام قضائي خاص ولها امتيازات خاصة والأتراك وحدهم يرتدون الثياب المطرزة بالذهب ويحملون السلاح.

وبذلك فقد اكتفى معظم الأتراك مع امتيازاتهم الكثيرة بالعمل في الجيش وممارسة الوظائف الإدارية أو الاستغال في دكاكين الأقمشة والحلي والمواد الكمالية أو استغلال أملاكهم بالمدن وبساتينهم في الفحوص، وعند التقاعد أو الإحالة عن المعاش كان معظمهم يفضل الإقامة في بعض المدن العتيقة كالبليدة والقليعة وقلعة بني راشد وتلمسان بينما الآخر يفضل البقاء بمدينة الجزائر وضواحيها.

ونظراً لانعزالها فإنها لم تؤثر على التركيبة العرقية للسكان ولا في طريقة حياتهم ومعيشتهم رغم المدة الطويلة التي قضاها الأتراك بالجزائر فإن تأثيرهم لم يتجاوز الأنظمة الإدارية ولم يتعد الألقاب والرتب العسكرية وبعض الأنواع من المأكولات والملابس والفنون وهذا ما يوضح بأن وجود العنصر التركي بالجزائر على رأس جهاز الدولة كان وجوداً عسكرياً وإدارياً فق، وليس له أي صبغة استعمارية بالمعنى المتعارف عليه للكلمة: وهنا يجب عدم الوقوع في مغالطة بعض الكتاب الفرنسيين الذين لم يتمكنوا من

[1] أمين محرز، المرجع السابق، ص141

التفريق بين الجزائر ككيان مستقل معترف به دولياً ومتحالف مع الدولة العثمانيّة في نطاق الرابطة الاسلامية ومن أجل المصلحة المشتركة.

2.الكراغلة: تكونت فئة الكراغلة نتيجة زواج أفراد الجيش التركي بنساء الجزائر وظهرت لأول مرة في مدن تلمسان، مستغانم، معسكر ، قلعة بني راشد، مازونة، المدية، مليانة، القليعة، بسكرة، قسنطينة وعنابة[1]. هذا وقد ساعد الكراغلة على أن يحتلوا المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي صلتهم بالأتراك وعلاقتهم الخاصة بالأهالي فأصبحوا بعد فترة قصيرة من الوجود التركي بالجزائر يشكلون طبقة وسطى ميسورة الحال تنشط في التجارة وتشتغل في المهن وتستغل الملكيات الزراعية والفحوص، وفي بعض الأحيان تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية.

وقد تكاثر عدد أفراد هذه المجموعات السكانية حتى بلغوا في نهاية القرن18م في مدينة الجزائر حوالي 6000نسمة وبلغ عددهم في مدينة تلمسان حوالي 500 شخص وكانوا أصحاب الرأي فيها، وكلفوا بحراسة الأبراج وكانت الأغلبية من أفراد هذه الجماعة تمارس مهنة الفلاحة. وللثقل الاجتماعي الذي تمتلكه به هذه الجماعة كانت عيون الأتراك وجواسيسهم لا تفارقهم خوفاً من احتمال تواطئهم مع أعيان البدو ووجهاء القبائل بهدف الاستيلاء على مقاليد السلطة في الجزائر.

وهذا ما حاول بعض أفراد من هذه الجماعة بالتحالف مع بعض الشرائح الاجتماعية المحلية، زيادة على التأييد المعنوي الذي وجوده من طائفة رؤساء البحر أن يطالبوا بنفس الامتيازات التي كان يتمتع بها الأتراك وقاموا سنة1596م بأول محاولة للثورة عندما قدموا مساندتهم إلى خضر باشا الذي رغب في القضاء على الانكشارية، ولم يقدر الأتراك الحد من شركتهم إلا بعد أن سمح لهم الداي شعبان آغا(1661-1665م) بحق الانتساب للأوجاق.

وكانت نتيجة سياسة الترقية التي اعتمد عليها الداي شعبان آغا ارتقاء بعض الكراغلة إلى مناصب سياسية إذ تولى بايليك الغرب الكرغلي مصطفى العمر (1636-1648م) وبايليك التيطري الكرغلي مُحَمَّد الذباح(1668-1671م) وبايليك الشرق الباي أحمد(1826-1837م). وتعد أخطر ثورة للكراغلة على النظام التركي هي ثورة 1633م في عهد الباشا حسين(1626-1633م) إذ تسلسلوا إلى مدينة الجزائر في الظلام لكن محاولتهم انكشفت وقضي على زعماء الثورة بكل وحشية وقام الأتراك بنفيهم نحو المدن الداخلية وتشتيت تجمعاتهم.كما كان لسياسة التقارب بين الأتراك والكراغلة أثر سيء

[1] حميد آيت حبوش، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر العثمانيّة، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، ع:2، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، جانفي2015، ص139

في العلاقة بين الكراغلة والأهالي إذ أضحى الجزائري ينظر إلى الكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الأتراك الحاكمين.

3.الحضر: تعني لفظ الحضر من الناحية اللغوية الحضور بالمدينة أي السكنى بها ويسمى الحضري بالمديني وهو ثقافياً متحضر منذ زمن طويل[1] وهم يحتلون المرتبة الثالثة بعد الأتراك والكراغلة في السلم الاجتماعي، وكانوا يملكون الأراضي في سهل متيجة وبعض الأملاك في مدينة الجزائر نفسها ويمتهنون التجارة، وكانوا في معظم الأحيان راضين بوضعهم ولا يطمحون إلى مناصب سياسية ولكم نجد منهم من تقلد مناصب القضاء والإفتاء والكتابة ونحوها من المقاليد الثانوية الهامة وكان بعضهم محل ثقة الباشا كحمدان بن عثمان خوجة. ومن أهم العناصر التي كانت تتألف من طبقة الحضر:

أ–الأشراف: طبقة قليلة العدد والتي تتميز عن باقي الحضر بانتسابها إلى آل البيت حسب التقاليد المتعارف عليها فقد اشتهر أغلب أفرادها بالتقوى والورع، وهذا ما أكسبهم احتراماً وتقديراً لدى الحكام وباقي السكان فخصهم بعض الدايات بالعطايا والمساعدات مثل الداي مُحَمَّد بقطاش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك وساهم في إنشاء زاويتهم عام1121هـ الموافق لـ1709م.

ب–الأندلسيين: إنَّ علاقة الجزائر بالأندلس قديمة توثقت أواصرها منذ محاولة الخلافة الأموية بقرطبة استمالة العشائر الزيانية بالمغرب الأوسط للوقوف في وجه المخططات الفاطيمية، ثم غدت هذه العلاقة أكثر تلاؤماً بعد أن تمكن المرابطون ثم الموحدون من ضم أقاليم الأندلس الإسلامية إلى ممتلكاتهم بأقطار المغرب العربي ومنها الجزائر، ومما زاد هذه الصلات عمقاً استقرار كثير من الأندلسيين على طول السواحل الجزائرية[2] وقد أعقب هذه العلاقات والهجرات المحدودة بداية النزوح الأندلسي الجماعي إلى أقطار المغرب العربي وفي مقدمتها الجزائر، وكان أكثرها وقعاً وأشدها أثراً سقوط مدينة إشبيلية في يد الإسبان عام722هـ–1371م الذي كان بداية للهجرة الجماعية وهذا بعد فشل ثورة جبال البشارات(Las Alpujarras)(1499–1502م)وتخير المشاركين فيها من أهالي غرناطة ونواحيها بين التنصير والنفي وتفضيل الغالبية منهم الهجرة إلى أقاليم المغرب العربي ومنها الجزائر، هذا وقد بلغت الهجرة الجماعية لمسلمي إسبانيا أوجها مع قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك الاسباني فيليب الثالث

---

[1] بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بوعلام بلقاسمي، السنة الجامعية: 2007–2008، ص122

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبري والوجود الأندلسي بالجزائر، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص12

عام(1016هـ-1609م) بهدف تصفية الوجود الإسلامي بإسبانيا، وقبل صدور هذه القرارات المجحفة تركزت جهود الإخوة بربروسة على انقاد الأندلسيين ونقلهم إلى الجزائر فقد شنوا ثلاثة وثلاثين حملة بحرية ناجحة على السواحل الاسبانية، ويصنف أفراد هذه الجماعة إلى مجموعتين هما:

ج-المدخّلون: كان هذا الاسم يطلق على الأندلسيين الوافدين من مملكة غرناطة وما جاورها (إقليم الأندلس بجنوب إسبانيا).

الثغريون: هم المورسكيون الذين قدموا من أرغونة وقشتالة وممالك بلنسية وقطلونية ويجدر التذكير بأن يسمح لهم الانخراط في صفوف الانكشارية لكن بترخيص استثنائي من الآغا..

وكان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر انعكاس إيجابي في ميدان الجهاد البحري فقد عمل الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري والهجوم المتواصل ضد السواحل الإسبانية بواسطة الأسطول البحري الجزائري، وبفضل معرفتهم الجيدة للغة القشتالية (الإسبانية)، وللأماكن الجغرافية والطرق البحرية عملوا على إنقاذ من بقي من المسلمين في الأندلس إلى جانب مساهمتهم في مجالات تطوير تجهيز السفن بمنائي الجزائر وشرشال والمعدات وتحسين صناعة الأسلحة وتحضير البارود.

يضاف إلى ذلك ما قدمه أفراد الجالية الأندلسية من خدمات إدارية لصالح العثمانيين، فقد اشتهر الأندلسيون بتحصيل الضرائب وجمع وموارد الخزينة العامة والقيام بتسجيلها وفقا لتعليمات الإدارة العثمانيّة بالجزائر، وهذا ما سهل تعامل الإدارة مع بقية عناصر مجتمع الإيالة، وبفضل خبرتهم المالية مارسوا أعمال القرصنة والنخاسة ومبادلة الأسرى والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع القرصنة.

وشكل الأندلسيون القاطنين بإيالة الجزائر، خطرا كبيرا على أمن الشواطئ الإسبانية، وخاصة في الخوض الغربي للبحر المتوسط، إذ كانت هجوماتهم مع الأسطول الجزائري تزرع الرعب في قلوب سكان سواحل إسبانيا، وقد عبر أحد الكتاب الغربيين عن ذلك بقوله: " إن الميزة المشتركة لدى الموريسكيين هو أنهم يكرهون المسيحيين، وعندما تسمح لهم الفرصة وتتوفر الإمكانيات، يجهزون سفنا، ويلقون القبض على السفن الإسبانية، ويتخذونهم أسرى، رغبة في الانتقام". وبذلك فقد شارك مهاجري الأندلس في إقرار الحكم التركي وتدعيم القوة الدفاعية للجزائر في وجه الانتفاضات الداخلية فقد تمكن عروج من تشتين قوة حاكم تنس وأعوانه في معركة جرت بسهول الشلف بفضل مساعدة 500فارس أندلسي من

أهل غرناطة وبلنسية وأراغون للقوة التركية المكونة من 1000جندي من المشاة فضلا عن الاستعانة الحكام الأتراك في حكم المدن التي أخضعوها لأول مرة بحاميات أندلسية[1].

كما أن الحالة العمرانية التي شهدت بفضل استقرار العنصر الأندلسي نمواً ملحوظاً لم تعرفه الجزائر منذ العهد الحمادي، إذ نلاحظ أنّ هناك نهضة عمرانية بدأت ترسم ملامحها ابتداء من مطلع القرن الخامس عشر[2] تتمثل بالخصوص في إنشاء أغلب حصون وقلاع المدنالتي استقروا بها كقلعة شرشال وبعض حصون مدينة الجزائر مراكز حضرية جديدة وإعادة بناء المدن والقرى فالمدائن التي أنشئت من قبلهم مدينة القليعة والبليدة التي أسست على يد سيدي أحمد الكبير عام(942هـ-1535م) بعد أن أقطع خير الدين بربروسة أراضيها للأندلسيين الذين بادروا ببناء مسجد –لا زال يعرف حتى اليوم بجامع الترك- ومخبز وحمام.

ففي مجال العمارة أدخل الأندلسيون استعمال القرميد كما عرفوا باستخدام الوخارف والمجصصات والتفنن في تشكلها وتخريمها كما هو الحال في العديد من المساجد مثل جامع سيدي بلحسين بمدينة تلمسان.

ومن المدن الرئيسية التي تأثرت بالهجرة الأندلسية مدينة عنابة التي استوطنها عدد كبير من الأندلسيين وكذلك مستغانم، آرزيو وتلمسان حيث تجمعوا في أحياء خاصة بهم وعندما ضاقت بهم تلك المدن أنشأوا بجوارها القرى والمستوطنات التي لازال البعض منها يحمل أسماء أندلسية مثل قرية الأندلس غرب مدينة وهران. إلى جانب قيامهم بإقامة العيون وإنشاء السواقي وجلب المياه إلى المدن وتنظيم الري وكان حظ الجزائر من هذه الأعمال الخيرية وافراً حيث تم اكتشاف العيون الغزيرة بضواحي الجزائر وجلب مياهها وتوزيعها على العيون داخل المدينة فعلى سبيل المثال أن عين الحامة جلبت مياهها من طرف المهندس الأندلسي اسطي موسى. وهذا انعكس على الفلاحي باستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي بنواحي متيجة ومرتفعات الساحل القريبة من مدينة الجزائر بفضل مهاررة فلاحي فلانسيا والأراغون ذوي التقاليد العريقة في ممارسة الفلاحة فقد اشتهروا بزراعة الاشجار المثمرة كزراعة زيت الزيتون،حب الملوك(الكرز)، التفاح، والإجاص وخاصة البرتقال والعنب أما الفحوص الواقعة بالقرب من المدن الرئيسية كالبليدة والجزائر والقليعة فإنها اختصت بإنتاج الخضر والفواكه التي حسن الأندلسيون أنواعها وطوروا زراعتها كما يعود إليهم الفضل في إدخال زراعة محاصيل لم تجد الاهتمام لدى الأهالي مثل

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات...المرجع السابق، ص ص18-19

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات...المرجع السابق، ص ص18-19

شجرة التوت الأبيض والأسود بنواحي القليعة وشرشال والأرز والقطن بجهات مستغانم وملیانة والعناب بإقليم عنابة.

أما فيما يتعلق بالنشاط الصناعي فإن الأندلسيين تمكنوا من إقامة المشاغل وإنشاء الورشات لمزاولة مختلف المهن والصناعات كالنجارة والحدادة والخياطة ومعالجة الخزف والجلد والحرير وقد اشتهرت مصانع الحرير الأندلسية بمدن الجزائر والقليعة وبرشك بجودة إنتاجها الذي كان يغطي حاجة المدن الرئيسية ويصدر جزء منه إلى الأقطار المجاورة كتونس. ومن الصناعات المستحدثة التي ارتبطت بالوجود الأندلسي بالجزائر نسيج القطيفة "المخمل" التي اختص بها مهاجرة غرناطة وصناعة الشبكية (La dentelle) التي تورثتها الأندلسيات عن أمهاتهن سواء من حيث الآلات المستخدمة في نسجها وطرزها أو الطريقة المتبعة في تشكيلها ومن الصناعات التي نهضت بفضل اعتنائهم بها الشاشية(الطربوش) وصناعة نسيج الزرابي[1].
الزرابي[1].

كما تمكنوا الموريسكيون[2] الوافدين إلى مدينة الجزائر من العمل على شيوع لغة الفرنكا (Langua Franca) التي تغلبت عليها الكلمات الاسبانية وهذا بسبب العديد من العائلات الموريسكية في القرن 16م ومن مظاهر التأثير اللغوي الذي يبدو في استخدام جملة من الألفاظ الإسبانية في لغة التواصل، وهي لا تزال إلى حد الآن مستعملة في مناطق عديدة من مدن الجزائر والجدول الآتي يوضح تأثير العربية ببعض الكلمات الاسبانية:

اللفظ باللهجة الجزائرية	مدلوله	اللفظ باللسان الاسباني
بابور	باخرة	Babor
براكة	كوخ	Barraca
بلوزة	لباس	Blusa
بلاصة	ساحة	Plaza
بندير	دف	Pandera
بلكون	شرفة	Balcon
لامبة	مصباح	Lambara
دورو	نقد إسباني	Duro

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات...المرجع السابق، ص22

[2] الموريسكيون أو الموريسكوس(Moriscos) مصطلح اسباني اختلف المؤرّخون في تحديد معناه واشتقاقه فالكثير من المؤرخين يرى أن أصل الكلمة لاتيني إغريقي مشتق من كلمة موري Mauri تطلق على مجموعة ذات بشرة سوداء، وأصل الكلمة مشتق من الكلمة الاغريقية Amaurus ومنها اشتقت كلمة مورو Moro ويقصد به شديد السمرة فالموريسكيون إذن تسمية أطلقت سنة1499م على كل من هو عربي أو مسلم واستخدمت رسمياً في ملفات محاكم التفتيش عام1520م. للمزيد ينظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة اللأندلسيين1492-1610م، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص ص42، 44

Cantina	حانة	كانتينا
Carro	عربة	كارو
Lata	قطعة من الحديد الأبيض	لاطة
Capote	معطف	كبوط
Placa	لافتة	بلاكة
Cocha	الفرن	الكوشة
Sala	قاعة فسيحة	صالة
Amoir	خزانة الملابس	الماريو
Kif	النشوة	الكيف
Nana	كلمة تعظيم للمرأة وفي الاسبانية تستخدم للجدة	نانة
Marca	الصنف-النوع	الماركة
Semana	أسبوع	سمانة
Fabrica	معمل	فبريكة
Zapato	حذاء	صباط
Sandalia	نعل	صندالة
Fantazia	المختال	فنطزية
Falta[1]	خطأ	غالطة

أمَّا في ميدان الأدب ومجال الموسيقى والغناء فقد طبع نظم الموشحات وتلحين الأغاني التي حافظت على بنائها اللغوي وطريقة إنشادها حسب تقاليدها الأندلسية والتي تعود بدايتها في عهد عبد الرحمن الناصر وقبل أن تكتمل نماذجها في فترة لاحقة على يد أقطاب الموشحات مثل بن زهر ولسان الدين ابن الخطيب وبن زمرك...وغيرهم.

لقد اعترى الموشحات الأندلسية بموطنها الجديد بمقاطعة الجزائر ضعف البناء اللغوي وترجع المستوى الشعري فغلبت على مقاطع الدارجة(العامية) ودخلتها تعبيرات لغة الفرنكا ذات الأصول الاسبانية إلا أنها بقيت وفية لتقاليد الموركيين معبرة عن أحاسيسهم وشعورهم وحنينهم إلى وطنهم الأصلي حتى إنها أصبحت بتوارثها جيلا عن جيل أقرب إلى تلاوة التراتيل أكثر منها إلى تلحين وإنشاء القصائد وقد ظلت تحترم في أغلبها البناء التقليدي. كما نقلوا الأزجال(المألوف) وأدخلوا الآلات الموسيقية الأندلسية وحافظوا عليها مثل الآلات الموسيقة الوترية كالرباب والعود (الكويترا) والكامنجة والقانون أو الصوتية كالقصبة والزرنة والغايطة أو الايقاعية كالطبل والدف والطبيلة والطار والدربوكة...وغيرها. كما عملوا على تحسينها، إلى جانب إحيائهم المدائح النبوية (المولوديات) والإخوانيات وقصائد المدح والغزل

[1] حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص ص 163-162

ووصف الطبيعة والتي كانت تعزفها الأجواق الأندلسية في المواسم والأعياد والسهرات العائلية. كما حافظ سكان تلمسان على جانب كبير من التراث الموسيقي الغرناطي حتى أنّ كلمة غرناطة بتلمسان أصبحت مرادفة لكلمة موسيقة فقد اشتهر في تلمسان أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن مسايب الأندلسي(ت1776م) بنظم الموشحات وتلحينها، وقد نسب إليه نظم 3034 قطعة شعرية(مالوف) أغلبها في مجال المدائح النبوية (المولوديات).

د–الأعلاج (المهتدون)[1]: هم المسيحيّون الذين اعتنقوا الإسلام والمعرفون بـ (Renégats) ويسمون في المصادر الأوروبية بالمرتدّين كان غالبية الأعلاج من بلدان البحر الأبيض المتوسط مع أكثرية من المدن الايطالية أما خلال القرن السابع عشر فقد ظهرت عناصر جديدة من الأعلاج والذين وفدوا من البلدان الغربية كالألمان، الدانمركيين والفلامان، والانجليز، وهولنديين، وفرنسيين...الخ.

كما تمتعوا بنفس الامتيازات التي تتمتع بها الأتراك وترتب عن ذلك حضور قوي لهذا العنصر في صفوف الانكشارية إلا أن نشاط البحري كان مجالهم المفضل وفي أوائل القرن 17م نقلوا خبرتهم في تعليم الجزائريين صناعة السفن الطويلة والإبحار بها.

ومن الطقوس الدينية التي تقام عند الاحتفال بالأوروبي الذي يعتنق الإسلام بأن ينطق بالشهادتين ويعلن عن إسلامه أمام الباشا والديوان ويطاف به في الشوارع على جواد مسرج ومزين وتضرب له الموسيقى ويرافقه الجنود وتجمع له الدارهم، كما يكون له راتب ثابت ويقيد في سجل العسكر وهذا بالنسبة للمسلم الذي يختار الإسلام عن طواعية، في حين نجد من كانوا يكرهون على الإسلام وفي هذه الحالة لا يحتفل بهم ولكنهم يتمتعون بحقوق الجندي فيقيدون في دفتر العسكر ويشاركون في غنائم البحر.

ومعظمهم قد اعتنق الإسلام طمعاً في الانخراط في البحرية الجزائرية والاستفادة من غنائم البحر بهدف تحسين أوضاعهم بدلاً أن يبقى أسيراً يعمل في التجديف أو في الحقول أو في خدمة بيوت الأتراك إلى جانب أنهم كانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلادهم الأصلية من جراء نظام الإقطاعي والاستبداد الملكي السائد آنذاك في البلاد الأوروبية.

كون الأعلاج في العهد الأول على وجه التحديد خلال عهد البايلربايات "قوة ضاغطة" يتبين ذلك في عدد الحكام الذين تولوا سدة الحكم. ففي الفترة الممتدة من 1535إلى 1586م تعاقب ستة عشر حاكماً، سبعة منهم كانوا أعلاجاً. كما حافظ الأعلاج على روابطهم مع عائلتهم الأصلية بأوروبا رغم

[1] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية، الجزائر: منشورات ANEP، 2007، ص27

أنهم أصبحوا مسلمين وقد عرفوا كيف يتأقلمون مع وسطهم الجديد وان ينصهروا في المجتمع دون أن يماثلوه تماما وقد حافظ أبناؤهم على روح المبادرة والقتال اللتين جعلتهم متميزين في النسيج الاجتماعي.

4-مجموعة البرانية: لقد ضمت الجزائر عدداً هاماً من البرانية وهي عناصر غير قارة نزحت من مناطق مختلفة إلى المدينة للعمل فيها مؤقتاً، ولم يكد ينقضي القرن 16م حتى أصبح الوافدون على المدينة مهيكلين ومنتظمين في شكل جماعات بحسب أصولهم الجهوية، وقد كان على رأس كلّ جماعة منها أمين هو المسؤول عن شؤونها فيما يختصّ بأمور الشرطة والفصل في الخلافات، ويقوم بدور الوسيط بينها وبين ممثّلي السلطة وكان يتمتع أمين الجماعة بصلاحيّات واسعة كمعاقبة المخالفين إذا اقتضت الضرورة وتحصيل الضرائب من أفراد جماعته لفائدة البايلك ويساعده عادة أعوان وكتّاب وشوّاش وقد اختصت كل جماعة قد اختصت كلّ مجموعة بمهام وأعمال تقوم بها تحت قيادة أمين منها يختاره البايليك ويوكل له حق مراقبة جماعته وتولي شؤونها فيما يتعلق بأمور الشرطة والقضايا العدلية، ونستعرض فيما يلي هذه المجموعات:

أ-الجيجليون: يعود استقرار العناصر الجيجلية بمدينة الجزائر إلى عام1516م ويتعلق الأمر بالذين رفقوا الإخوة بربروسة عقب استنجاد أهل مدينة الجزائر بهم[1]، ومنذ هذا التاريخ أصبح هؤلاء يحظون بمكانة خاصة وامتيازات كبيرة، فهم دون سواهم من العناصر البرانيّة؛ لأن من حقهم حمل السلاح ويمكنهم ارتداء الملابس المطرّزة بالذهب وهو شيء محرم على الأهالي الآخرين وبمقدورهم التعارك مع الأتراك. وتمكن الكثير منهم من الحصول على الثروات وامتلاك المخابز والمنازل، وقد اختص أفراد الجماعة الجيجلية بالعمل في المخابز والمطابخ وبعض المهن الأخرى التي أوكل حق الإشراف عليها لأمنيهم الذي كان يعد من بين أغنياء مدينة الجزائر

ب-جماعة بني ميزاب:

ينتسب إليها سكان قرى وادي ميزاب ومناطق الشعانبة وورقلة والقرارة ويحتكر أفرادها في المدن الكبرى ولاسيما الجزائر وقسنطينة ويمتهنون في مطاحن الحبوب والحمامات ويشرف إليهم عادة ذبح الأنعام من بقر وغنم وبيع اللحوم ونقل البضائع ومنهم من يمتهن في دكاكين الفحم والفواكه والمقاهي وغيرها.

[1] أمين محرز، المرجع السابق، ص155

وقد تميزت جماعة بني ميزاب بتفانيها وإتقانها العمل ونزاهتها، كما عرفت بوفائها للحكام ووقوفهم إلى جانب الأتراك في صراعهم مع الكراغلة وهذا ما ساعدها على اكتساب ثقة الحكام والحصول على تعهدات وامتيازات مع نهاية القرن الثامن عشر، ومكنها من تكوين ثروات ضخمة وشراء الدور والمنازل والمحلات والبساتين وامتلاك الحمامات وأفران الخبز.

ج–جماعة البساكرة:

تتكون من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ وسوف وتوقرت الذين قدموا إلى المدن الكبرى طلباً للعيش، فأوكلوا ببعض المهن المتواضعة والأعمال الشاقة كجلب المياه إلى المنازل وتنظيف القنوات والمجاري من الأوساخ وحمل السلع والبضائع كالحطب والفحم والحبوب والتين والعمل في ورشات المرسى وخدمجية(أي خدّام أجراء كما عمل البعض منهم كباعة متجوّلين وبحّارة [1].

ويتولى شؤون جماعة البساكرة أمين يعرف لدى العامة "البسكري سيدنا" وهو مع بساطة لباسه وتواضعه كان له نفوذه ومكانته لدى الحكام، ومن حقه فرض الغرامات وتحديد الكراء الشهري لـ24دكانا تابعة لأفراد جماعته، ويتقاضى من البايليك مقابل الإشراف على أفراد طائفته 14خبزة في اليوم وقلة من زيت وكيسيين من الحبوب وأربع مترات من القماش كل شهرين كما يستخلص من كل بسكري يقدم للعمل بمدينة الجزائر 50بوجو.

ولعل أهم اختصوا به هو حراسة الدكاكين والأسواق ليلاً وكان أمينهم يوزّعهم كل ليلة على أزقة المدينة، حيث كانوا ينامون أمام أبواب الدور والدكاكين التي يشرفون على حراستها وغن حدث أن سرقت إحداها فإنّه كان عليهم تعويض صاحبها.

د–جماعة القبائل: أتي معظم أفرادها من المناطق الجبلية القريبة من مدن الجزائر، تلمسان، البليدة، المدية وقسنطينة للعمل في هذه المدن والاشتغال بالمهن اليدوية والأعمال الزراعية بالفحوص، وكان معظم أفراد هذه الجماعة من منطقة جرجرة زواوة ولقد شكل منهم العثمانيون في زمن حسن باشا بن خير الدين فرقة مشاة تخضع تقريباً إلى نفس ترتيبات الانكشارية من حيث التنظيم، وقد كان أفرادها من العزّاب يعيشون في ثكنات على شكل وحدات من 200إلى 300عسكريّ، وبلغ عدد الزواوة المنخرطين في الجيش حوالي 5000رجل في سنة1621م وانخفض قليلاً إلى 4000 في سنة 1675م.

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص237

وكانوا يتولون العمل في دكاكين بيع الزيت أو الصابون أو العسل أو يقومون بالحراسة في الليل ويشتغلون في بناء السفن والأعمال الزراعية بالفحوص، وكان بالمدينة سوق خاصّ بهم يدعى بسوق القبايل وكذلك من النشاطات التي مارسوها وكانت على ما يبدو حكراً عليهم صناعة الفحم وبيعه، حيث كونوا جماعة فرعيّة عرفت"بالقبايل الفحّامين".

هـ- جماعة الأغواطيّون: ينتسبون إلى مدينة الأغواط وإلى قبلتي الزناجرة وأولاد نائل، ومعظمهم يتولى أعمالاً متواضعة مثل حمل البضائع والاشتغال بأعمال الوزن والكيل بأسواق الجزائر وبيع الزيت كما يشتغل منهم بالتنظيف وجلب الماء وخدمة المنازل[1].

5-العبيد: تعود أصول معظمهم إلى السودان حيث كان التجار التوارق يحصلون عليهم بواسطة المقايضة مقابل بضائع كالشواشي والأحذية والأقمشة الحريرية وكان يصل إلى مدينة الجزائر ما بين خمسين ومائة وخمسمائة عبد، وبعد حملة صالح رايس إلى الجنوب أضحى يصل إلى مدينة الجزائر سنوياً ثلاثون عبداً من ورقلة وخمسة عشر من توقرت، بمقتضى الاتفاق الذي حصل مع شيوخ المنطقة. وبذلك صنف الباحثون العبيد بالجزائر العثمانيّة إلى صنفين: عبيد سود أي من بلاد السودان ويسمون عادة بالزنوج وعبيد بيض وهم أعاجم ويسمون أعلاج بعد تحريرهم.

ويتولون العبيد خدمة المنازل وأعمال التنظيف والغسيل، والبعض منهم يشتغل في المخابز وأعمال البناء والنسيج وصناعة القفاف والحصر من القصب والحلفاء بالإضافة إلى امتهان بعض الفنون الجميلة كالموسيقى، الغناء والرقص.

ونجد أن ثلاث شرائح اجتماعية امتلكت العبيد، مرتبة حسب حجم ملكيتها للعبيد وهي:

- شريحة الموظفين السامين الإداريين والعسكريين الأتراك العثمانيين وفي مقدمتهم الداي وباياته والوزراء.
- شريحة رياس البحر والتجار والحرفيين الأثرياء وفي مقدمتهم الأمناء الحرفيون.
- شريحة الوافدون أو البرانية كالجيجلية والقبائلية والمعتوقين الذين بدورهم امتلكوا عبيداً ومارسوا العتق.

[1] ناصر الدين سعيدوني،تاريخ...المرجع السابق، ص237

6–المغاربيون: من بين العوامل المشجعة عوامل في تنقلات بين سكان الأقطار المغاربية الجوار والعلم والتجارة، ومدينة الجزائر كان لها تأثير التواجد المغربي واضحاً خلال العهد العثماني إذ أخذت عدة مواقع بالمدينة أسماء مغربية كحومة سيدي علي الفاسي، وحارة السلاوي، ومدفع جربة، وزنقة الجرابة.

ولقد وفد المغاربة من مدن مختلفة من فاس وتيطوان وتازة وطرابلس وتونس لكنهم لم ينتظموا ضمن جماعات خاصة بهم باستثناء العنصر الجربي، وكان النشاط التجاري أحد أهم عوامل استقطاب المغاربيين إذ ساهموا في التجارة الدولية عبر ميناء الجزائر في الفترة الممتدة1686مإلى 1791م كما يجب ذكر بأن لم يكن هؤلاء الوافدون من المقيمين الدائمين بالمدينة إذ توفي عدد منهم بالفنادق مثال ذلك توفي مغربي بفندق باب عزون وتوفي تونسي بفندق الشماعين ويتعلق الأمر بالتجار الذين كانوا يعبرون بميناء الجزائر بينما جاء البعض الآخر طلباً للعلم مثل الطالب التونسي المتوفي بزاوية بن عبد الله كما كانت الرحلة إلى الحجاز أحد أسباب توقف بعضهم بمدينة الجزائر مثل وفاة" مغربي فيلالي" في طريق إلى البقاع المقدسة.

7–أهل الذمة:

أ–اليهود:

اليهود الأهالي الذين احتفظوا بعقيدتهم وشكلوا خلايا دينية واجتماعية متماسكة، وقاوموا الإسلام والمسيحية، وتعد أقدم فئة ويحتمل أن المجموعة الأولى منهم والتي تعتبر نواة الهجرات اليهودية إلى منطقة شمال إفريقيا التي يمكن قد رافقت الفنيقيين الأوائل، الذين أسسوا مدينة قرطاجنة لولعهم بالتجارة ثم أعقبت هذه الهجرة هجرات أخرى أكثر أهمية في العهد الروماني والوندالي والبيزنطي وأثناء الفتح الإسلامي، إما من المشرق أو من إسبانيا بالإضافة إلى يهود الأندلس "السافرديم" الذين قدموا مع مسلمي الأندلس هروباً من اضطهاد النصارى منذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر[1]، وما انضم إليهم فيما بعد يهود ليفورون والموانئ الايطالية الأخرى بعد منتصف القرن السابع عشر لممارسة التجارة وتصريف غنائم الجهاد البحري وعقد الصفقات بين الدول الأوروبية وحكومة البايليك.

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ ...المرجع السابق، ص241. للمزيد ينظر: كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: دحو فغرور، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي–معسكر، السنة الجامعية: 2007–2008. فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص ص23، 273

أما عدد اليهود في الايالة الجزائرية فيمكن تقديره من خلال التعرف على تطور عدد يهود الجزائر، ففي نهاية القرن السادس عشر بلغ هذا العدد حوالي 5000نسمة وفي منتصف القرن السابع عشر ناهز عددهم 10.000نسمة من مجموع سكان المدينة البالغين 100.000نسمة ثم تناقصوا بعض الشيء مع تضاؤل عدد السكان فأصبحوا في نهاية القرن الثامن عشر لا يزيدون عن 7000نسمة وعند الاحتلال انخفض عددهم إلى 5000نسمة من مجموع كل اليهود بالبلاد الجزائرية البالغ عددهم30.000نسمة[1].

وكان اليهود منتظمين وفق تنظيم طائفيّ على رأسه شيخ أو مقدّم اليهود، وهذا الأخير كان يتولى تسيير شؤون الطائفة، ويجمع الجزية والمغارم من أفرادها لصالح البايلك وباعتبارهم من أهل الذمة تمتع اليهود كما في باقي البلاد الإسلاميّة باستقلال ذاتيّ في إدارة شؤونهم الخاصّة من مالية وقضاء وتعليم وبحرية إقامة شعائرهم الدينية في بيعهم.

أمّا عن النشاطات التي مارسها اليهود فيمكن القول أنهم اشتغلوا بالتجارة بكافة أنواعها من البيع بالتجوّل إلى التجارة الخارجيّة مروراً بالسمسرة وكانوا كوسطاء في بيع الأرقاء والغنائم البحريّة إلى جانب أنهم احتكروا الصيرفة، صياغة الذهب والفضّة وكان سك النقود وتبيضيها من بين الأعمال التي كانت مقصورة عليهم، كما مارسوا عدّة نشاطات حرفيّة أخرى مثل الزجاجة، الخياطة، القزازة وبوجه خاصّ العطارة حيث وجد سوق العطارين اليهود.

ب–النصارى(الدخلاء):

وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري مثل التجار الأجانب والقناصل الأوربيين ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشرية وجماعات الأسرى المسحيين الذين كانوا يؤلفون الغالبية الساحقة من هذه العناصر الدخيلة ففي نهاية القرن 16م قدّر عدد الأسرى المسحيين بمدينة الجزائر 25.000 ثم تناقص بعد تراجع النشاط البحري فلم يعودوا يتجاوزون في الربع الأوّل من القرن الثامن عشر 10.000 أسير يتوزعون على سجون البايلك الخاصة ثم تناقص عددهم كثيراً قبل أن يرتفع بفعل تجدد نشاط البحرية الجزائرية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وإثر هجوم اللورد

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ ...المرجع السابق، ص241. للمزيد ينظر: كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: دحو فغرور، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي–معسكر، السنة الجامعية: 2007–2008. فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص ص23، 273

إكسموث (Lord Exmouth) سنة 1816م اضطرت حكومة الداي إلى إطلاق جميع الأسرى البالغ عددهم 1642أسير وعند الاحتلال الفرنسي لم يكن عدد الأسرى يتعدى العشرين فردا أغلبهم من الجنود الإسبان الفارين من الخدمة العسكرية.

وكان الأسرى المسيحيون التابعون للبايلك أو الذين يمتلكهم الخواص يكلفون بأعمال مختلفة مثل العمل في ورشات بناء السفن ومقالع الحجارة ومصانع الأسلحة...وغيرها ومنهم من يعمل في البساتين أو يقوم بالخدمة في المنازل والمقاهي والحانات ويحصلون مقابل ذلك علاوات شهرية وهدايا متنوعة في المواسم والأعياد ولا يحد من حريتهم سوى قضاء الليل في سجون البايليك المخصصة لهم.

أمّا القناصل ومبعوثو الدول الأوروبية وممثلو الشركات والوكالات التجارية الأجنبية ورجال الدين، فكانوا يعيشون في معزل عن باقي السكان فكانوا ينزلون بفنادق معينة أو في أحياء منعزلة أو يسكنون منازل خاصة بهم ولا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية المطبقة في البلاد، وإن كانوا يتعرضون في بعض الأحيان إلى غضب الحكام واستبعادهم عند توتر العلاقات مع دولهم[1]. فرغبة الأتراك كانت تكرس في الهيمنة على المناصب الحساسة في الإيالة وزاد حقد الرعية عليهم حينما فرضوا الضرائب والغرامات.وكانت الطبقة الحاكمة في أساسها خليط من مختلف الأجناس والأصول(أتراك، يونان، كورسيكون، ألبانيون، مالطيون، ومرتدون من بلدان أوروبية بالإضافة إلى أهلها الأصليين وكان فيها أيضاً من مختلف الأديان واللغات وكانت مفتوحة للتيارات الخارجية.

وعليه فإن السلطة القضائية ترتكز على الشريعة الإسلامية ويمثلها لدى الداي مفتي وقاضي لكل من المذهب الحنفي الذي يمارسه الأتراك والمذهب المالكي الذي يتبعه غالبية السكان على أن تكون الرئاسة الدينية والقضائية للمفتي الحنفي (المفتي الأكبر) الذي يختاره الباب العالي.

وتقر السلطة القضائية لإيالة الجزائر بالامتيازات الاجتماعية عند تطبيق أحكامها بين الأتراك والأهالي فالأتراك يعاقبون سراً في دار آغا الانكشارية حتى لا تهان كرامتهم بينما الحضر والنصارى واليهود يشهر بجرائمهم كما أن لقناصل اليهود وهم اليهود محاكم خاصة لها الحق في تطبيق أحكامها في حالة المخالفات التي لا تتصل بالأهالي المسلمين ولا تمس في أمن الدولة وهذا ما زاد في انعزالهم عن بقية الشعب.

ونتج عن كثرت التشريعات الإدارية والامتيازات الممنوحة إلى الأفراد إلى بروز نوع من التفكك في مركزية سلطة الدولة وشيوع الرشوة ضمن الجهاز الإداري وبذلك يتضح أن جماعة العثمانيين الحاكمة

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص245

ومن يرتبطون بها بمصالح مشتركة كبعض الكراغلة والأعلاج والأوروبيين من مسيحيين ويهود فإن معظم السكان عاشت تهميشاً حقيقياً على كل المستويات سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

ومن خلال هذه المعطيات الموجزة يتبين بأن مختلف العلاقات التي تحكمت في التركيبة الاجتماعية ضبطتها الفوارق الاجتماعية والاقتصادية وقد وضعت هذه الفوارق الخطوط العريضة لهذه العلاقات وعملت على ظهور نظام معقد للعلاقات يغلب عليه المصلحة والتضامن حيث أنّ المصالح المشتركة كثيراً ما دعمت العلاقات الاجتماعية وتناقضها زاد في تعميق الهوة بين الفئات الاجتماعية. ولاشك أن هذه النظرة التركيبة نحو تقسيم المجتمع قد تركت تأثيرات سلبية أدت بالجزائري إلى عدم شعوره بالولاء للسلطة وازداد إحساسه بالولاء للعشيرة والقبيلة وهذا ما يبين ضآلة التأثير التركي في إيالة الجزائر رغم بقائه زهاء ثلاثة قرون.

الدّرس الرابع عاشر: البيئة الصِّحيَّة في الجزائر خلال العهد العثمانيّ
(الكوارث والأمراض والأوبئة)–دراسة تحليليَّة–:

1.الكوارث الطَّبيعيَّة:

أ–الزلازل:

تعتبر الكوارث الطبيعية بفعل آثارها المدمرة من العوامل المساعدة على انتشار المجاعة واشتداد وطئتها، نظرا للخسائر والدمار الذي تتسبب فيه، والاضطراب الذي نتج عنها من جراء تعطل الأعمال الفلاحية وهجرة السكان وتحول الفلاحين من الحقول، وقد كانت الزلازل في الجزائر الشمالية بفعل تكوينها الجيولوجي وطبيعتها الطوبوغرافية من الشدة والتواتر، ما يجعلها بحق أحد الأسباب المؤثرة في المواسم الفلاحية[1]. وبذلك فقد شهدت الجزائر إبان العهد العثماني سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة التي أدت إلى خراب بعض المدن ونتجت عنها في كثير الأحيان خسائر في الأرواح والممتلكات مثل زلزال مدينتي الجزائر والمدية عام1632م، وكذلك زلزال مدينة الجزائر وضواحيها عام1639م و1676م على أن أهم الزلازل التي تعرضت لها السواحل الجزائرية هو زلزال سنة1716م الذي تخربت من جرائه مدن شرشال والجزائر العاصمة وبجاية وأرغم السكان إلى التوجه للأرياف بعد أن تهدمت منازلهم. وعندها أمر الداي بمعاقبة اللصوص والقضاء على أعمال الفوضى التي صاحبت الزلزال.

ثم تكررت الزلازل بمدن مليانة وعنابة والجزائر عامي1723–1724م وشرشال عام 1735م وفي سنة 1755م وقع زلزال قوي بمدينة الجزائر وقد صاحب ارتداداته شهرين كاملين حسب بعض الرواة المعاصرين الذي أدى إلى تهدم الحنايا وانقطاع الماء ونشوب الحرائق ببعض الأحياء وشيوع أعمال الفوضى والنهب.

وفي أواخر القرن الثامن عشر ووأئل القرن التاسع عشر، وقعت زلازل منها زلزال وهران عام1790م الذي ساعد على استرجاع المرسى الكبير ووهران من أيدي الإسبان، وقد تكررت الهزات الأرضية العنيفة في عدة جهات مثل عنابة عام1810م ومدينة الجزائرعام1818م والبليدة وجهات الأطلس البليدي ونواحي الساحل ومتيجة عام1825م وقد أدى هذا الزلزال بالخصوص في هدم بعض الدور في مدينة الجزائر وخراب مدينة البليدة عن آخرها، وتكررت سلسلة من الهزات الأرضية في السنوات الأخيرة من حياة الإيالة الجزائرية وكان آخرها عام1830م.

---

[1] مُحَمَّد الزين، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانيّة في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع:17، جامعة غرداية، 2012، ص131

ب–المجاعات والفيضانات:

ارتبطت الأوبئة والأمراض كذلك بالاضطرابات المناخية من جفاف وفيضانات والقحط والمجاعات إذ شهدت الجزائر مجاعات عديدة نذكر منها مجاعة 1551م، ومجاعة 1579م و1580م وكذلك مجاعة عام1752م التي استمرت لمدة أربع سنوات وراح ضحيتها 1700 شخص في مدينة الجزائر وحدها ومجاعة عام1778م و1779م ومجاعة 1787 و1789 التي تسبب فيها الجراد وانتشار الوباء. وفي سنة 1804 م حدثت أزمة قحط في قسنطينة.

ويمكن أن نشير إلى سنوات زحف الجراد بما يلي: 1663م–1710م –1724م–1725م – 1760م–1778م1779م 1780م وما بين 1784م–1787م و1798–1799م–1800م– 1804م– 1816م 1822م–1824م أما أعوام الجفاف فهي كانت في الفترة الممتدة من 1597م إلى 1580م ومن جوان 1612م إلى غاية 1609م ومن عام 1734م إلى 1737م ومن عام 1778–إلى1779م وكذلك عام 1800م وبالإضافة إلى عامي 1806م–1807م وعامي 1816–1819م.

وهكذا كانت الجزائر تشهد فترات القحط مما يسبب مجاعات متكررة مما أدى إلى التزايد في عدد الأموات عبر كامل البلاد، وقد قام الباي مُحَمَّد الكبير في احدى تلك الفترات بجلب القمح من أوروبا ووزعه على السكان مجاناً وأعفى المزارعين من دفع الضرائب.وفيما يتعلق بالفيضانات فتشير المصادر إلى أنّ هناك مساحات شاسعة من متيجة اكتسحتها المياه إثر الفيضانات التي حدثت في شهر مارس1637م وعام 1694م[1]. وكذلك خلال سنوات الآتية: 1727 – 1731 – 1733 – 1734 – 1736 – 1740 – 1753 – 1755 – 1757 – 1791 – 1812 – 1816.

ج–الجفاف والجراد:

الجفاف: يتسبب فيه اضطراب التساقط بالجزائر وانقطاع الأمطار في بعض الفترات لمدة قد تستغرق الموسم الفلاحي كله، وإن كان ذلك بالنظر إلى مواصفات المناخ المتوسطي السائد بالجزائر الشمالية ظاهرة طبيعية، ولعل هذا ما جعل نزول المطر في فصل الربيع بمثابة المؤثر على حلول الرخاء أو توقع القحط، فإذا انقطعت الأمطار في شهري مارس وأفريل وتكرر ذلك لسنة أو سنتين، فإنه لا مناص من ندرة المحاصيل وحلول القحط.

[1]عبد القادر قندوز، الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج:7، ع:1، جامعة ابن خلدون تيارت، 2014، ص273

الجراد: قد ساعدت على ظهوره الظروف المناخية السائدة بالجزائر، والمرتبطة بالمناخ الصحراوي في الجنوب وتأثيره على مناطق الهضاب العليا الرعوية في الوسط ومناطق التل الزراعية الخصبة المحاذية للبحر في الشمال، فكان زحفه متوقعا كل أربع أو خمس سنوات، وأثره لا يتجاوز في غالب الأحيان تضرر المحاصيل بنسبة لا تؤثر كثيرا على كمية الإنتاج الزراعي. على أنّه عندما يشتد الجفاف لفترة طويلة نسبيا وتهطل بعده الأمطار المتأخرة بنسبة كبيرة متسببة في حدوث فيضانات مفاجئة، فإن ظهور الجراد بكثرة بعد ذلك 14 يكون شبه مؤكد، واجتياحه للحقول أمر لا يمكن تجنبه، كما أن انتشار المجاعة وحلول الوباء بعده يكون نتيجة طبيعية لانهيار الإنتاج الزراعي. هذا وقد أصابت، مدينة الجزائر موجات جراد لسنوات 1798 1804م، وقد اجتاح الجراد كذلك1799م،1800م وقسنطينة سنة 1804م.

2-نتائج الكوارث الطبيعية:

تسبب القحط في ارتفاع أسعار الخبز حيث حرست المخبزات خوفاً من اقتحامها من طرف الجائعين وأصبح صاع القمح يباع بـ 5سلطاني بينما كان سعره قبل المجاعة نصف سلطاني مما جعل السلطات العثمانيّة تستورد الحبوب من بلاد اليونان فانخفض سعر القمح. كما قد يحدث القحط تمردات فقد مهدت لهذه الأزمة ثورة ابن الأحرش التي انطلقت في وادي الزهور سنة1803م ومن العوامل الرئيسية التي تولدت عنها الأزمة تكمن في: استفحال القحط الذي استمر سنتين متواليتين وتكاثر الفتن واشتداد الأهوال التي حالت بين الفلاحين وخدمة الأرض وتسبب ذلك في قلة الحبوب في السوق وارتفاع الأسعار[1] وقد خفت الوطأة بعض الشيء سنة1805م لكن الأسعار لم تشهد الاستقرار إلا بحلول سنة1808م.

تمثلت الآفات الطبيعية كالأوبئة والمجاعات والقحط والجراد والزلازل والفيضانات والحرائق في انعدام الأمن وتكرر الحملات العسكرية وكثرة المطالب المالية ومما أدى إلى تدهور الحالة الصحية والمعيشية بالأرياف وازدادت سوءا منذ أواسط القرن الثامن عشر، فعند تناقص السكان بسرعة بفعل الأوبئة والمجاعات فقد توفرت كميات من الإنتاج الفلاحي والحيواني مثل ما حدث عام1787م فقد بيعت بجهات عنابة كميات كبيرة من الصوف للمحتكرين الأجانب بأسعار زهيدة إثر هلاك كثير من السكان وعدم وجود من يقوم بنسج الملابس الصوفية كالبرانيس واختفاء صناعة الحرير.

[1] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ-1974م، ص33

تخلف الفيضانات الضرر الكبير الذي يلحق بالحياة الاقتصادية، وتفشي الأمراض القاتلة وإتلاف المنتوجات الزراعية وتدمير المباني وتراجع ديموغرافي للسكان نقص الأقوات وغلاء أسعارها وانعدام الأمن وتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية وبقيت مساحات كبيرة تا الأراضي الزراعية غير مستغلة وتحول جزء من هذه الملكيات إلى مؤسسة الأوقاف.

ونظراً لهذه الأوضاع المتدنية والظروف الصعبة فقد الفلاح الجزائري الرغبة في العمل حتى أنه في سنة 1786م لم يجد ملاك بسهل عنابة من يقوم بحصاد حقولهم حتى أرغموا إلى التنازل عن نصف الإنتاج لمن يحصد القمح بعد أن تخوف كثير من الفلاحين من تفشي الوباء وزهدوا في الحصول على خمس المحصول ما دام عمال البايليك والملاك المقيمين بالمدن يستحوذون على أربعة أخماسه بدون جهد.

وفي مثل هذه الأوضاع لم يعد يربط الفلاح بالحقل سوى انعدام الإمكانيات وتراكم الديون سنة بعد أخرى واضطراره إلى الاقتراض من صاحب الأرض، وبهذا فقد الرغبة في مزاولة النشاط الزراعي وتحول إلى تربية المواشي وإذا اضطرته الحاجة يلتجئ إلى زراعة بسيطة في المناطق غير الخصبة التي تتميز بحصانتها الطبيعية وبعدها عن مراكز الحاميات ومواطن قبائل المخزن وتسبب ذلك في انكماش الأراضي الزراعية وتقلص المساحات المستغلة حتى أضحت عشية الاحتلال لا تتعدى حسب الإحصائيات الفرنسية 359.040هكتار في الوقت الذي بلغت فيه قطعان الماشية سبعة ملايين رأس على أقل تقدير.

كما تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري فاندثرت بعض الأسر والقبائل كما هو الشأن مع قبائل الأمحال الذين سمي طاعون 1786م بـ "حبوبة الأمحال" نسبه إليهم، بعدما أفناهم عن آخرهم، كما طرح الوباء مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف حيث كان لإدارة بيت المال زمن الطَّاعون نشاط يفوق جميع الإدارات الأخرى فهي تقوم بإحصاء الموتى وتعمل على تجنب الفوضى التي قد تنجم فيها كثرة الوفيات كما أنها هي التي تتولى التركات المهملة وتقوم بعمليات الميراث[1].

كما أنّ الضرائب العينية كادت أن تنعدم بعد تضرر المزروعات من الجراد الذي اجتاز من الصحراء إلى المناطق التلية عام1816م وعليه اضطر الداي على فتح مخازن الحبوب أمام الأهالي الذين أضر بهم الجوع وحتى يأمن شر الثورة والشغب.

[1] كاميلية دغموش، الوضع الصحي والمعيشي لبايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج:10، ع:2، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، جوان 2019، ص344

كما أن ظهور المجاعة سنة1819م ازدادت الحالة المالية تدهوراً ولم تجد الحكومة بدا من استيراد 50.000صاع من القمح من أوربا لتغطي استهلاك مدينة الجزائر لوحدها. وبهذا فإن انعكاس هذه المجاعات على الأحوال المالية فيظهر في ارتفاع الأسعار ارتفاعاً لم يكن معهوداً وبذلك أضحت المواد الأولية غالية الثمن لا يقدر الكثير من الأهالي من تحملها.

والجدير بالذكر أن أخطر تأثير للوباء نلمسه عند هلاك أعداد كبيرة من علماء الجزائر لما يمثلونه من ثقل فكري وحضاري جد هام، ونذكر منهم كل من أبو مُحَمَّد بركات المسبح القسنطيني الذي توفي بالطَّاعون عام1574م والفقيه عبد الله بن محمود بن عمر التنبكتي عام1597م كما توفي العالم سيدي عبد اللطيف بن عبد الكريم بن بركات بن سعيد عام1621م، وعام1647م توفي الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي، والفقيه مُحَمَّد بن عبد الكريم الفكون الذي توفي عام1662م ووفاة أبي سالم العياشي عام1679م ووفاة العالم سيدي مُحَمَّد أبو راس ابن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري صاحب التأليف التي جاوزت المائة عام 1822م ...وغيرهم.

ومن خلال هذه المعايير نرى الارتباط الواضح بين هذه الكوارث والآفات الطبيعية وبين ظهور الأوبئة والأمراض بصورة مستمرة جعلت البيئة الصحية الجزائرية تشهد تدهوراً متواصلاً طيلة العهد العثماني في الجزائر.

3-نظرة عامة عن الوضع الصحي في الجزائر:

إنَّ مستوى المعيشة لأي عصر أو بلد يقاس بالأحوال الصحية السائدة، فلهذه الأحوال الصحية دور هام وحاسم وأهمية بالغة لفهم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وذلك أن الأحوال الصحية غالباً ما تؤثر إيجاباً أم سلباً على مستوى المعيشة، ومن ثم تكون لها انعكاسات على الحياة الاجتماعية والنمو الديمغرافي[1] وهذا ما يؤكده الإمام الشافعي-رحمة الله عليه: **"لا أعلم علماً –بعد الحلال والحرام– أنبل من الطب"**.

وبهذا فإنَّ العناية بالعلوم الطبية كانت أكبر من الاهتمام بالعلوم الأخرى (ما عدا الفلك) خلال العهد العثماني، ذلك أنَّ الإنسان كان في حاجة إلى المعالجة سواء كان في أعلى مكان أو أدناه، حقاً أن الإيمان بالقضاء والقدر في هذا الميدان كان مسيطراً على العقول بصفة عامة ولكن بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج والتداوي واتخاذ الوسائل والأسباب للمحافظة على الصحة، وهم أولئك المؤمنون

[1] مُحَمَّد الزين، المرجع السابق، ص129

بالحديث المنسوب إلى الرسول الله ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه شفاءً؛ علمه من علمه، وجهله من جهله»[1] وبذلك فقد تزامنت في الجزائر أثناء الوجود العثماني ثلاثة أصناف من الممارسة الطبية ونذكرها على النحو الآتي:

1) الطب العثماني أنشأ لأغراض عسكرية.
2) الطب الشعبي بهدف تلبية حاجيات السكان الصحية.
3) الطب الأوروبي[2].

4 –الطب العثماني:

كان كبار المسؤولين في الدولة يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة ويصطنعون لهم الأطباء كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ولم يؤسسوا أكاديميات طبية للبحث ولم يشجعوا دراسة الطب في المدارس، لذلك نجد أنّ بعض الباشوات والبايات قد جلبوا أطباء أوروبيين بالشراء ونحوه ومعظم هؤلاء الأطباء كانوا يأتون أسرى عند النزاع البحري، ولكن بعضهم كان قد استجلب من بلاده أو كان مقيماً في الجزائر لأغراض تجارية أو سياسية. ويذكر أن حسين بوكيمة باي قسنطينة كان له طبيب هولاندي يدعى سانوس وكان سانوس هذا على صلة بالطبيب الانجليزي الرحالة توماس شو وهو الذي منح له معلومات جغرافية وغيرها عن قسنطينة عندما زار شو هذه المدينة ويتضح أنه بينما الباشوات والبايات يجلبون الأطباء لأنفسهم ويؤمنون بقيمة الطب الأوروبي كانوا لا يكترثون بصحة السكان عموماً تاركين العامة للطب التقليدي. بالمقابل نجد الباي مُحَمَّد الكبير أنّه كان يعتني بالطب ويشجع العلماء على التأليف واختصار المطولات منه. فهو الذي أوحى إلى أحد الشيوخ ويدعى عبد الطيف بوضع سماه (المنهل الروي والمنهج السوي في الطب النبوي) كما أمر كاتبه ابن سحنون بجمع طب القاموس فجمعه وزاد عليه من كلام الأطباء حتى أصبح تأليفاً هاماً وكان الباي يجيز من يفعل ذلك بالمال الجزيل.

أما بشأن الصحة البحرية فكان طاقم السفينة يضم دائما باش جراح أو جراح أو أمين أطباء أو الطبيب القائد ولقد كان لهذه التغطية الصحية أهمية كبيرة بسبب هجمات التحرشات والقراصنة، فقد كان يقوم بدور الطبيب والجراح فقد كان يتم اختياره من بين الأشخاص الأكثر كفاءة مهما كانت جنسيتهم والعمليات الجراحية كانت تجرى دون تخدير وفي ظروف يرثى لها.كما أن خدماته كانت تلبي مختلف الاحتياجات الصحية المطلوبة سواء من كبار الشخصيات التركية أو الجند الانكشاري كما كان

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ط1، ج2، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1998، ص ص 416-417
[2] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانيّة، الجزائر: منشورات ANEP، 2013، ص83

مسؤولا عن الأطباء العسكريين الوافدين من تركيا ومصر لضمان الرعاية الصحية للجيش الانكشاري ومكتبه كان بالقرب من قصر الجنينة.

5-الطبّ الشّعبي:

كانت ممارسة الطب الشعبي والطرق الاستشفائية بسيطة غير معقدة تعتمد خاصة على النباتات التي توجد في المنطقة مما يعكس أن طريقة اكتساب الخبرة والمعرفة كانت متوارثة عبر الأجيال، وهذا ما جعل بعض العائلات تتخصص في مجال معين من الطب كالحجامة والجراحة والختان والجبر، فبعضهم اكتسب خبرة وكانت له شهرة واسعة يؤمه الكثير من النّاس من مناطق مختلفة، لقد كان التكوين المعرفي للطبيب يستند على ما تلقاه من محيطه أو ما ورثه من نصائح عن أجداده وهذا ما أشار إليه هلتون سامبسون (Sompson Hilton) الذي مكث أربع سنوات بالجزائر واختلط بسكان الريف وصاحب أطباء الجزائر في قوله بأن: "حرفة الطب بالجزائر يرثها الابن عن أبيه، ولهم كتب قيمة في هذا الميدان...وهي حرفة سرية، أصحابها ماهرون في علم ثقب العظام، أو استبدال عظام الإنسان بعظام الحيوان...ولهم دراية أيضاً بطب العيون...ونسبة نجاحهم في هذا الميدان مرتفعة رغم بساطة هذه الأدوات الجراحية، ولهم دراية فائقة بعلم النبات، يجمع الطبيب بنفسه الأعشاب من الغابة ثم يجففها أو يقطرها ويزنها ويمزجها ويحضرها للمرضى بالإضافة إلى ما تلقه في دراسته الدينية من القرآن وأحاديث الرسول ﷺ.

كما كان الطب الشعبي يعتمد أساسا على الطب النبوي بما احتواه من توجيهات وقائية وعلاج وكان بعضهم يزيد في تكوينه مزاولة ودراسة كتب ابن سينا والرازي، ومنهم من سافر خاصة إلى الحجاز واحتك بأطباء آخرين و زادت معرفته وكبرت شهرته، إلا أنها تتفاوت من طبيب إلى آخر بحسب الرصيد التكويني والمعرفي.

6-الطب الأوروبي:

ويمكن أن نصنف الأطباء الأوروبيين بالجزائر إلى أربعة أصناف:

- الأطباء الأحرار الذين كانوا يدخلون في خدمة كبار المسؤولين الجزائر[1].
- الأطباء الموظفين بالمؤسسات والشركات الأوروبية بالجزائر.
- الأطباء الرحالة الذين كانوا يزورون الجزائر لأغراض علمية.
- الأطباء الأوروبيون الأسرى بالجزائر[1].

[1] فوزية لزغم، الأطباء الأوربيون خلال العهد العثماني، مجلة عصور،مج:12، ع:2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، 2013، ص240

7-الهياكل الصحيّة:

أ-المستشفيات:

إن أماكن العلاج تكاد تقتصر في بعض المصحات وملاجئ نذكر منها:

مستشفى الخراطين: خراطين هي استبدال لاسم خير الدين الذي شيّد عام 1550م. لقد كان هذا المستشفى مخصصاً للمرضى والمصابين العسكريين.

مستشفى برج الأربعة وعشرين ساعة(برج باب الواد): وبحسب نصب تذكاري فإنه شيد عام1568م،وملجأ للأمراض العقلية، وملجأ للمرضى طريحي الفراش وقد ضم هذا الملجأ الأتراك بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسيحيين التي كانت تنفق عليها الدول الأوروبية ومنها المارستان العام لرجال الدين الإسبان الذي أقامه الأب الإسباني سيباستيان دوبون عام1551م لفائدة الأسرى، وأعيد تجديده عام1612م وأصبح يتلقى إعانة سنوية من الحكومة الإسبانية بلغت في القرن الثامن عشر حوالي 10.000فرنك وكذلك المستشفى الذي أقامه الراهب المعروف قاوريد(Garido) عام1662م داخل سجون الجنينة بالقرب من باب عزون، ومستشفى لازاريت الذي خصص له الملك الفرنسي لويس الثالث عشر بعض المساعدات المالية وكذلك المستشفى الفرنسي بحصن فرنسا الذي تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية.

ب-الصيدليات:

كانت هناك واحدة بمدينة الجزائر تحوي مجموعة من القناني، والكؤوس الحاوية على العقاقير والتوابل، ويشرف عليها باش جراح، والذي كان صيدلياً وطبيباً وجراحاً في نفس الوقت، إضافة إلى بعض الدكاكين، التي كانت تبيع أنواعا من الأدوية المستخرجة في معظمها من النباتات ، مثل الصبر ، الحلبة، والقرنفل وكانت توجد بالقرب من قصر الداي في مكان يدعى الجنينة.

8-الأوبئة:

أ-الطَّاعون(Peste): هو مرض جرثومي معد ينتشر في شكل وباء، واللفظة مأخوذة من العبارة اللاتينية (pestis atra) وتعني الموت الأسود لأن لفظة وحدها معناها آفة في حين أن لفظة الطَّاعون في اللغة العربية لا تعني في الحقيقة مرضاً بذاته إنما يطلق في الغالب على كل مرض وبائي وبذلك أصبحت مرادفا للوباء[2] والطَّاعون كما هو معرّف حالياً يرجع إلى العصور القديمة وقد كان سبباً في ظهور

---

[1] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص240

[2] مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسفي، الجزائر : منشوراتANEP، 2013، ص19

أوبئة مدمرة كبرى حصدت الملايين من الأرواح في مختلف أصقاع العالم. وفي اللهجة الجزائرية يسمى هذا الداء بوكبار أو لحبوبة[1] بالإضافة نجد من يذكره بـ المرض لصفر والريح الصفر. وأمّا أنواع الطَّاعون الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني نذكر:

الطَّاعون الخراجي أو الدملي(Peste Bubonique)[2]: وهو الأكثر شيوعاً ويتميز بظهور دمل على ثنايا الفخدين والإبطين وهو معدي وقاتل.

الطَّاعون الرئوي (Peste Pulmonaire ou Pneumonique): يصحبه التهاب رئوي وهو من الأوبئة الأكثر انتشاراً بواسطة العدوى وهو قاتل.

الطَّاعون التعفني(Peste Septicémique Primaire) : وفيه تظهر العلامات بانتقال عدوى هذا المرض إلى الإنسان بواسطة لسعة قمل المصاب [3] كما يرجع البعض سبب تكون هذه الجرثومة إلى تلوث وتسمم الجو بفعل الرائحة الكريهة التي تبعث من جثث الجراد المتعفنة التي تنتشر في الجو بعد زحف الجراد على المنطقة الموبوئة وأثبتت الدراسات التاريخية أنّ زحف الجراد يكون مصحوباً بانتشار كبير لوباء الطَّاعون.

ورغم أنَّ المناخ الصحي الذي كانت تتمتع به الجزائر، فإنّها كانت عرضة لأمراض مختلفة ولعل أخطرها داء الطَّاعون الذي كان يظهر حسب بعض المصادر في البلاد مرة كل خمس عشرة أو خمس وعشرين سنة. وسون نستعرض بعض الأمثلة التي عرف بها الوباء وهي كالآتي:

وباء 1654م: المعروف بالكونية والذي قضى على ثلث (1/3) سكان المدينة.

وباء 1664 م: وأدى إلى تناقص عدد سكان مدينة الجزائر إلى أقل من النصف، حيث هلك فيه حوالي 10000 أسير.

وعام 1737م سمي "بعام الطَّاعون": بحيث انتشر الوباء عبر أرياف وحواضر الجزائر، وقد توفي باي وهران، يوسف ولد بوشلاغم إثر هذا الوباء.

---

[1] عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع:76، الجزائر، 1993، ص 124

[2] فلة موساوي-القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني بمساعدة: دانيال بانزاك، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2003-2004، ص40

[3] يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي1830-1962 ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف: فغرو دحو وأللوم (Ghislaine Alleaume) في جامعة وهران1-أحمد بن بلة، السنة الجامعية2017-2018، ص13.

وباء عامي1786–1787م: ويشر الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته بأن يصل عدد تشيع خمسمائة جنازة أحياناً كل يوم ويسمى بالوباء الكبير[1]، وبالإجمال أدى إلى هلاك 16721 نسمة من مدينة الجزائر منهم 14334 من المسلمين والباقي من الأسرى واليهود.

وباء عامي 1817–1818م: قضى في مدينة الجزائر على أزيد من 14000نسمة.

ب–وباء الجذري (La Variole): وهو مرض الجدري المعدي فقد أرجع المؤرخون وجود داء الجذري في منطقة شمال إفريقيا إلى 3000 سنة ماضية، واعتبروه من أخطر الأمراض التي تفتك بالسكان، إذ كان يصيب البلاد مرة كل أربع سنوات تقرياً وفي فترة الحكم العثماني تم تسجيل وباء الجذري في بداية القرن السادس عشر عندما ضرب الحامية الاسبانية في بجاية 1509م ثم في بداية عام 1560م، وتفشى الوباء المعروف بالحبوبة في عهد صالح رايس سنة 1522م وأحمد عراب1571م كما تم تسجيله في مدينة الجزائر في 1789م ثم من جديد عام 1803م وتكرر بحدة خلال سنة1817م وضحاياه بكثرة من شريحة الأطفال، بين عامي1803م و1804م قتل ما بين 2000 و3000 شخص.

ج–أمراض العيون: وهي راجعة للتغيرات المناخية وتأثيرها على تركيبة العين، وقد رأى بعض الأطباء والرّحالة الأوروبيين أن الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية والأوبئة وإنما وصلتهم هذه عن طريق أقطار المشرق العربي وبلاد السودان والمغرب الأقصى وبعض المناطق الأوروبية،كما كان طريق الحج من أهم مصادر الوباء[2].

د–التيفوس: ويدعى أيضا بالهواء الأصفر، وقد شكل مرضا خطيرا جدا، ارتبط بسنوات المجاعة، وقد وصف هذا الداء من طرف أصحاب الحوليات والمخطوطات بالحمى القراصية، تتكرر تقريبا كل عشرين سنة وهو نوعان:

التيفوس الطفحي (Typhus exanthematique) : ويدعى أيضاً بالنمشي وهذا النوع هو الذي انتشر بين صفوف الفرق العسكرية الاسبانية المتمركزة ببجاية، وتتمثل أعراضه في ارتفاع حرارة الجسم

[1] مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، طبعة خاصة، تح: أحمد توفيق المدني، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010، ص78

[2] عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني1519–1830م(مقاربة اجتماعية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: محمّد دادة، جامعة وهران1أحمد بن بلة، السنة الجامعية: 2014–2015م، ص49

إلى40° مع صداع شديد وطفح جلدي شديد، وقد تضرر السكان منه بصورة شديدة في أوت 1826م.

تيفوسمورين: هو لا يعرف إلاَّ بتسميته اللاتينية(**Typhus Murin**)، ويشكل برغوث الفأر الناقل لهذا المرض، وأعراضه تكون مماثلة لأعراض النوع الأول، ومن بين أبرز الأمراض والأوبئة التي عرفتها الجزائر أواخر العهد العثماني، كان داء الزهري،حيث ظهر سنة1792م،وبرز بشدة مرة أخرى سنة1817م[1].

هـ–الحمى بجميع أنواعها: التي أصابت السكان بمختلف أعمارهم منها حمى الربيع تسمى بالحمى الصفراء (**Fièvre jaune**) وحمى الصيف الخطيرة التي تؤدي إلى الوفاة خاصة في صفوف المسنين وحمى المستنقعات المعروفة بالملاريا المرتبطة بالمياه الملوثة، حيث كانت منطقة متيجة تعاني منها.

و– مرض السل(Tuberculose)**:**مرض معدي سببه بكتيريا الفطرية السلبية أو عصية كوخ(bacil van Koch)، وتعرف باسم (Mycobacterium tuberculosis)عندما يكون الشخص مصابا بعدوى سل الرئة (المفتوحة) فإنه قد ينقل بكتيريا الفطرية السلية عندما يسعل أو يتكلم أو يعطس، ويمكن للبكتيريا أن تصل عبر الدم أو المسالك الليمفاوية وقد تصاب الكلى، العظام، المخ، الغدد وأعضاء أخرى.

ولا ينتقل مرض السل عبر الأشياء وقد كان القرن 14م أسوأ قرن بالنسبة لحضارة البحر الأبيض المتوسط، لأن المنطقة كان قد أصابها هذا المرض سنة1348م ما نتج عنه انخفاض في عدد سكان المنطقة، وقد ضرب هذا المرض الجزائر مرة أخرى خلال العصر الحديث مابين سنتي 1552و1782 حوالي 26مرة سجلت فيها مدينة الجزائر عدة حالات بالإصابة بهذا الداء سنة1693م،واستمر إلى سنة1694م.

ز–الحصبة: مرض يتسبّب فيه فيروس من فصيلة الفيروسة المخاطانية وهو شديد العدوى إذ ينتقل مرض الحصبة من شخص لآخر عبر الرذاذ (القطرات التنفسية)التي تنتقل إلى الأغشية المخاطية في الجهاز التنفسي العلوي والملتحمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومن المحتمل أن ينتقل فيروس الحصبة أيضاً عن طريق الهواء في الأماكن المغلقة ويسبب الحمى والطفح الجلدي، وقد شهدت سنة1700م انتشار المرض

[1] عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص ص49-50

الأحمر الحصبة (**la rougeole**)الذي قتل الكثير من الأطفال. وأول من عرف هذا المرض وميزه عن مرض الجذري هو الطبيب المسلم أبو بكر الرازي سنة 900م[1].

8.1-عوامل انتشارها:

قد كانت هذه الأوبئة تنتقل إلى الجزائر من قبل الحجاج والجنود المجندين والتجار القادمين من المشرق[2] وكان الوباء يتسرب إلى الجزائر في معظم الأحيان عن طريق البحر لذلك نجد أوّل من كان يصاب هم عمال موانئ وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد ومما يجدر ذكره أنّ الطَّاعون لم يكن مقصوراً على الجزائر فقط بل شمل معظم الدول المطلة على البحر المتوسط وهذا لكثرة الاتصالات بين هذه الدول إلا أن مصدره الأصلي كان يرجع إلى المدن التركية باعتبارها مراكز استقطاب للأجناس المختلفة وقد كان الوباء ينتقل من المدن التركية إلى بيروت والإسكندرية ثم دول المغرب العربي. ومن أهمها:

- ✓ موسم الحج، حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين مما يساعد على انتقال العدوى، من البيئات الموبوءة من الشرق الأوسط إلى الجزائر.
- ✓ القوافل التجارية، إذ تساعد على انتشار العدوى خصوصا أثناء مرور هذه القوافل بمنطقة مصابة بالطَّاعون، فتنتقل العدوى إلى المسافرين والأسواق، حيث يتلاقي فيها التجار المصابين بالمرض مع غيرهم، فتنتشر العدوى بين أوساط السكان.
- ✓ الفرق العسكرية، التي تعتبر عاملا أساسيا في انتشار المرض والعدوى وانتقالها بسرعة كبيرة بين فرق الجند أثناء الحملات العسكرية.
- ✓ شجع على توطن هذه الأمراض الموسمية والأوبئة المعدية انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول المدن الكبرى مثل وهران والجزائر وعنابة.
- ✓ عدم التزام السكان بالقواعد الصحية التي كانت تتميز بها الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي في بلاد المغرب العربي. والتي لم يعد يعلم السكان منها سوى معلومات بسيطة وتجارب شخصية وحتى المثقفين منهم قلما تتجاوز معرفتهم الصحية تصنيف ابن حمادوش المعروف بكشف الرموز وتذكرة الأنطاكي الصحية.

---

[1] صليحة علاّمة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830إلى 1962 *عمالة الجزائر نموذجا*-دراسة تاريخية-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مبخوت بودواية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية: 1437-1438/2016-2017، ص215

[2] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-18330)، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2010، ص84

- ✓ عدم فرض الحجر الصحي هذا الإجراء كان متخذ في جميع الدول خصوصاً الدول الأوروبية وبذلك لم تحترم السلطات الجزائرية هذا الإجراء المتمثل في الحجر الصحي أو الكارنتينة (**Quarantaine**)[1] سيما إذا خص الأمر السفن المحملة بالبضائع أو الأشخاص باستثناء محاولة صالح باي عام1787م فرض حزام صحي حول عنابة ومنطقتها ليمنع انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة. إلى جانب ما ذكره الرحالة عبد القادر ابن حمادوش بقوله: "وفي ثالث رجب 1157هـ/ آخر يوم من يوليو (جويلية)1744م قدم علينا مركب من إسكندرية بالحجاج وفيه الوباء فمنعهم الباشا(داي الجزائر) للدخول خشية من أن يقوم ينتقل المرض إلى المدينة إلى ثامن عشر موافق خامس عشر أوغشت (أوت)وأذن لهم في الدخول بعد أن تحقق سلامتهم من المرض المذكور".
- ✓ المراسلات، وهي عامل متسبب في نقل عدوى الطَّاعون بحيث أن الرسائل الإدارية والسياسية والديبلوماسية حتماً تكون سبب في نقل العدوى بانتقال تلك الرسائل من منطقة إلى أخرى أثناء انتشار الأوبئة.
- ✓ الملابس والأفرشة، من الأدوات الناقلة للطاعون.ولقد ساعد على توطن هذه الأمراض والأوبئة المعدية انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول المدن الكبرى مثل عنابة والجزائر ووهران، وممّا زاد في تعقيد الأمور أكثر هو عدم التزام السكان بالقواعد الصحي.

وبذلك فإنَّ صلة الجزائر بعالم البحر المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها بالبلاد الأوروبية وارتباطها بالمشرق العربي فمن هذه البلدان ولا سيما مصر والحجاز واستانبول انتقلت مختلف الأمراض كالطَّاعون، الجدري الدمل والسل وكانت أهم الطرق لانتقال هذه الأمراض القاتلة من مواطنها الأصلية بالشرق الأقصى إلى الجزائر توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية. وما يمكن ذكره أنّ العديد من الأوبئة الأخرى لم تسجل في الجزائر كالكوليرا (Choléra) إلاَّ في الفترة الاستعمارية الفرنسية ابتداء من 1834م.

10–تأثيرها على الوضع الديمغرافي:

[1] مشتقة من الكلمة الايطالية (quarantine) بمعنى أربعين حيث كان طبق الحجر الصحي على الوافدون من الخارج الذين يشتبه في مرضهم أربعين يوماً حتى تثبت سلامتهم من الوباء.

اتسم الوضع الديمغرافي لسكان الجزائر في العهد العثماني بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان أو كثافتهم وذلك تبعاً للظروف الصحية والأحوال المعيشية والشروط الطبيعية فبالنسبة إلى التعداد الإجمالي لسكان الايالة الجزائرية يمكن القول أن عدد السكان كان يبلغ مع نهاية العهد العثماني حوالي ثلاثة ملايين أو أزيد ولا نأخذ بقول حمدان خوجة بأن عدد سكان البلاد الجزائرية كان يبلغ عشرة ملايين نسمة ولا نثق في صحة المعلومات القادة الفرنسيين التي أنقصت عدد السكان إلى مليون نسمة أو أقل، وإنما نحاول أخذ الإحصائيات المعتدلة مثل إحصاء بوتان (Boutin) (1808م) الذي يحصي السكان بما لا يقل عن 2.800.000 ولا يزيد عن 3.000.000. بحيث قدر عدد سكان ما يقل عن 2.800.000نسمة ولا يزيد عن 3.000.000 نسمة وتقديرات النشرة الإعلامية للجيش الفرنسي(1830م) التي ترجح عدد السكان يناهز 1.870.000نسمة وإحصاء معلومات اللجنة الإفريقية (**la Commission Africaine**) لعام1832م[1].

وبما أنَّ الإحصائيات حول عدد سكان مدينة الجزائر أثناء الفترة العثمانيّة تتناقض من مصدر إلى آخر، فيصعب كذلك استنتاج العدد الحقيقي للخسائر البشرية التي انجرت عن الكوارث الطبيعية والأوبئة التي عرفتها الجزائر خلال الفترة العثمانيّة، وبالتحديد القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادين وهي الفترة التي تميزت بركود ديمغرافي نتيجة ارتفاع نسبة الوفيات. ومما زاد في تعقيد الأمور هي السجلات التي تحتوي على الوفيات على مستوى كل قبيلة فهي تذكر الوفاة ولا تحدد سببها دون ذكر تاريخ الميلاد.وبالتالي فإن تقويم الأوضاع الديمغرافية أمرا صعبا يبرر محدودية الوثائق عند استغلالها للمقاربات الديمغرافية.

العلاج:

أما العلاجات الشائعة فكانت تتمثل في الآتي:

- الأعشاب: وتقدر ثروة نباتية في البلاد الجزائرية بحوالي3500نوع، ويستفيد منها المريض عن طريق شربها بعد غليها أو نقعها أو استعمالها كبخور.
- الارتياد للمعالجة على الحمامات المعدنية الطبيعية التي كانت تزخر بها البلاد الجزائرية.
- تعليق المريض على صدره الأحراز، التي تشكل له مناعة ضد الأمراض، أو تشفيه منها بحسب الاعتقاد السائد وقتها.

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ...المرجع السابق، ص ص 121-122

زيارة المرابطين والأولياء الصالحين بغرض الحصول على البركة، وذلك بوضع أغراض أخصية داخل الضريح ثم الرجوع وأخذها بعد أيام أو أخذ البعض من التراب المحيط بالضريح، والمخلوط بالماء لابتلاعه، أو جمع بعض الأعشاب من المحيط نفسه، أو أخذ بعض البخور، أما أهداف المرجوة من القيام بزيارة الأضرحة فيمكن تقسيمها إلى:

أهداف صحية: تتمثل عادة في الشفاء من الأمراض المختلفة، وتحصيل الصحة والسلامة الجسدية، وقهر الكسل والخمول. وقد يختص ضريح ما بهذا النمط كما هو حال ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وسيدي والي داده، وسيدي امُحَّد بو قبرين، وسيدي بوالقدور، وسيدي منصور.. وغيرهم[1].

أهداف نفسية: يأمل صاحبها في الحصول على الراحة والهدوء الداخلي، واتقاء الشرور، وإبعاد العين والحسد، ونيل الخير والبركة، واستجابة الدعاء. وتشترك فيها تقريبًا كل الفئات، وترتبط إجمالاً بأغلب أماكن الزيارة.

أهداف اجتماعية: تتعدد بين طلب العون والقوة، طلب الحماية والأمان، تأمين حاجة الغرباء وعابري السبيل، وإبداء التكافل الاجتماعي، ونذكر من الأضرحة التي ارتبطت بهذا الأمر: سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وسيدي بوجمعة، وسيدي الكتاني، وسيدي السعدي، وسيدي عبد القادر الجيلاني... الخ.

أهداف دينية: تتمثل في تحقيق الاستقرار الروحي والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة، والتقرب إلى الله عن طريق وليّه الصالح. وهذا بتقديم"الزْيارة" أو الوعدة التي تعد عنصرًا إلزامياً في إحداث العلاقة بين الطرفين (الزائر والمزار)، وهي كل ما يمنحه الزائر للضريح من نقود وغيرها مقابل حصوله على مراده[2].

فضلاً عن انتشار السحر والشعوذة في الأوساط الشعبية فكل الأمراض التي عانى منها السكان أثناء الحكم العثماني كانت تفسر بالقدر وبالإرادة الإلهية فالاعتقاد الشائع آنذاك كان: "الله يعطي المرض ويشفي مريضه إذا شاء..." وبذلك فقد أدى التصور الديني والثقافي للأمراض والأوبئة من طرف سكان الجزائر إلى قبول الداء وانتظار الشفاء من الله دون اتخاذ الأسباب والبحث عن الدواء، فإذا اجتاح الطَّاعون المسلمين فهو فضل إلهي، إذ يعد كل مسلم أن الوباء إذا أودى بحياته فهو شهادة في سبيل الله

---

[1] نفيسة دويدة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانيّة، مجلة إنسانيات، ع: 68،2015 ، *متاح على الرابط الالكتروني:* https://journals.openedition.org/insaniyat/15081

[2] نفيسة دويدة، المرجع السابق.

وهذا تأكيداً للأحاديث النبوية لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام "إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه وحديث أن الطَّاعون شهادة لكل مسلم.

وهكذا نجد إن الأمراض والأوبئة كونت لدى السكان ثقافة احترازية وعلاجية مميزة بالمقابل كانت خطيرة وسلبية ناجمة عن تصرفات السكان بالهروب من مناطق الوباء مما يعقد الوضع ويزيد في انتشاره بسرعة مخفية عبر الأرياف والمدن، مثل وباء 1740م فقد أخليت كل المنازل من قبل السكان في مدينة الجزائر وكانت وجهتهم في معظم الأحيان الجبال. كما فعل ذلك الباي عثمان سنة1794م فعندما ضرب الطَّاعون فر من مدينة وهران والتجأ إلى سهل ملاته ولم يعد إلى القصر برفقة عائلته وحاشيته إلا بعد ثلاثة أشهر.

ومن خلال هذه المعايير نرى الارتباط الواضح بين هذه الكوارث والآفات الطبيعية وبين ظهور الأوبئة والأمراض بصورة مستمرة جعلت البيئة الصحية الجزائرية تشهد تدهوراً متواصلاً طيلة العهد العثماني في الجزائر.

11-طبيعة تعامل العثمانيين مع القطاع الصحي في الجزائر:

لم تكن سياسية العثمانيين واضحة في اهتمام بالقطاع الصحي في الجزائر إلا أّنه كانت توجد إجراءات تستحق الإشارة لها ومن بينها نذكر:

جهود حسن آغا ابن خير الدين، الذي أمر ببناء مصحة أو مستشفى صغير للانكشارية، والشيوخ، والعجزة، وكان هذا المستشفى مكونا من خمس غرف، اثنتان منها في الطابق السفلي، والأخرى في العلوي غير أن المريض كان ملزماً بإحضار فراشه، دوائه، غذائه، وطبيبه الخاص إلى هذه المصحة.

قام حسان ابن خير الدين ببناء حمام يعرف باسمه سنة 1550م.

إنشاء مرافق صحية في مدينة الجزائر وإن كانت تعد أفقر الولايات العثمانيّة ؛ إذ كانت مستشفياتها عبارة عن ملاجئ ومصحات صغيرة قل ما وفرت العلاج للمريض ، كما كانت تؤجر لبعض الخواص لعلاج الانكشارية ، وقد كانت تسمى فنادق،بالإضافة إلى ملجأ للأمراض العقلية وجد في ضاحية باب عزون.

تشجيع السلطة العثمانيّة في الجزائر للزوايا التي تكفلت بالصحة العمومية ، بحيث كانت مسؤولة عن مصاريف المرضى، معتمدة على مداخيل الأوقاف ومصاريف العلاج والإسعاف التي كانت أيضا من مداخيل الأوقاف[1].

[1] عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص74

اتبعت السلطات العثمانيّة سياسة محكمة في إنشاء وصيانة وتزويد المدن الجزائرية بالماء للسقاية وتلبية الحاجات الضرورية من شرب وتطهير ونظافة وهذا بإمكاننا إدراجه في إطار السياسة الصحية للأتراك، كون انعدام سياسة في إنشاء شبكة مائية وقنوات لصرف المياه عامل رئيسي في تنقل الأمراض وانتشارها خاصة إذا ما زاد عدد السكان وظهور مدن جديدة مما يزيد من الحاجيات الأولية للسكان، في نفس الوقت مع هذا التزايد السكاني تزيد نفاياتهم فتكثر الأمراض.

صيانة الشبكة المائية والقنوات وتخصيص جهاز إداري لها وكأنه مؤسسة صحية وقائية، واستغلال وجود الأندلسيين والأسرى الذين كان فيهم عدد كبير ممن يتقن أسس الري و تطهير المياه وقد اقترنت أسماء بعض الأندلسيين بالمشاريع الكبرى للري وعن قنوات صرف المياه القذرة فإنها لم تكن موجودة في القرن 16م وبدأ في بناءها أحمد عرب باشا في سنة 1572م، وقد شهدت سنة 1634م بحفر أكبر القنوات وجعل البلاط على الوديان لصرف المياه وبناء قنوات جديدة،وزيادة على إنشاء جهاز إداري لصيانة قنوات التزود من المياه الصالحة للشرب وقنوات صرف المياه.

الاهتمام بنظافة المدينة والتي كان لها دور هام في الوقاية وكانت هناك هيئة خاصة يشرف عليها قايد الزبالين مهمتها جمع النفايات، فقد كانت الفضلات المنزلية تخزن خارج البيوت في ثقوب محفورة في عمق الحائط وحملها يومياًكان مضموناً في الصباح باستخدام الحمير الحاملة لسلات كبيرة على ظهورها، ثم توجه الفضلات خارج المدينة ليتم رميها أو حرقها، كما كانت هناك عقوبات تتمثل في غرامة مالية أو عدد محدد من الضربات بالعصا للسكان للذين لا يحترمون هذه القواعد، كما أنَّ أنّه كانت تصرف المياه غير صالحة في قنوات مغطاة بالبلاط وتصب في البحر فضلاً أن الشوارع المبلطة تنظف بانتظام[1].

كما كان التزود بالماء لمدينة الجزائر العاصمة مضموناً من قبل السلطة العثمانيّة التي استفادت من مهارة المهندسين الأندلسيين في الري، وكان يوجد على الأقل أربع قنوات حسان باشا، بئر دراية، الحامة وعين الزبوجة وكانت هذه القنوات تزود الجزائر على الأقل بمليون ونصف لتر من الماء كل يوم عبر شبكة من القنوات الصغيرة، التي كانت تجلب المياه من المنابع الموجودة في المرتفعات وضواحي الجزائر وتوصلها إلى المدينة عن طريق شبكة هيدروليكية وقد استعملت هذه الشبكة هيدروليكية من قبل الفرنسيين حتى عام 1866م. كما احتوت الكثير من المنال على صهاريج لتخزين المياه، أمَّا المنازل الأخرى فكان يوجد فيها آبار.

[1] مصطفى خياطي، الطب ...المرجع السابق، ص20

من المنشآت التي ساهمت بدور أساسي في النظافة وجود عدد كبير من الحمامات في الجزائر وإقبال السكان عليها حتى أضحت من ملامح الحياة اليومية في الجزائر طالما تكلم عنها كثير من الكتاب الأجانب وتعد من الموروث الثقافي والاجتماعي للجزائر.

12.دور الزوايا في العناية الصحية:

تأثرت الجزائر في العهد العثماني بروح العصر، فبداية من القرن السابع الهجري، الذي تلون بالاتجاه الصوفي والطرقي، فقد كان سلاطين الدولة العثمانيّة متأثرين إلى حد بعيد بالتصوف فكراً وسلوكاً، فكان سلطان القسطنطينية حاميا للطريقة القادرية في الشرق وحتى بغداد، حيث كان مركز هذه الطريقة الرئيسي فلا غرابة إذن، إذا وجدنا حكام الجزائر الأتراك يهتمون بالإسلام الصوفي وطرقه، خاصة الطريقة القادرية، إن ذلك كان طبيعيا وحتميا، إذ أن بروز الدولة العثمانيّة وبالأخص النظام العسكري، وقام أساساً على الروح الصوفية وبمباركتها، فتخرجت أول دفعة منا لنظام الإنكشاري، حوالي سنة1335م ولمباركتها عرضت على الشيخ بقطاش أو"حاجي بقطاش"،"مؤسس طريقة الدراويش البكطاشية، الذي باركها بوضع يده على رأس الجندي داعيا للجيش الجديد بالنصر المبين،وهذا الشيخ هو الذي أطلق اسم"يني تشيري"على الجيش الجديد، وقد حورت العبارة أثناء تداولها في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانيّة إلى" إنكشاري"وتبركا بهذا الشيخ،بنيت أول ثكنة للإنكشارية قرب ضريح الشيخ بقطاش، ومنذ القرن16 م أصبح ارتباط هذه الفرق بالطريقة البقطاشية رسمياً[1].

وأما العامل الآخر في إتباع الأتراك في الجزائر سياسة صوفية، هو كون التصوف كان قد بسط نفوذه على ربوع البلاد شرقها، وغربها، شمالها، وجنوبها، وإليه يعود الفضل في رفع لواء الجهاد ضد غزوات الصليبيين ولقد استفاد الحكام العثمانيون بالجزائر من انتشار حركة التصوف في المجالين التاليين:

مجال الجهاد، فالصوفية والمرابطون كانوا يدعون إلى الجهاد ويجمعون التبرعات، والتقت هذه الدعوات مع الأهداف السامية للقرصنة أو الجهاد البحري.

يتمثل في إدارة أمور الأهالي، وتسيير شؤون البلاد باستغلال سلطة المرابطين الروحية على الناس والتي بلغت درجة ارتبطت بها حياتهم. لذلك كان الاعتقاد السائد هو أن المرض غالبا ما هو إلا نتيجة العين أو الحسد أو فعل الجن فامتزجت طريقة الدواء بزيارة ضريح ذاع صيته بشفاء مرض معين وتناول بعض الخلطات التي يقررها شيخ الطريقة أو حسب العادات المتاورثة وزيادة الأدعية والاستخارة، والتقرب بالهدايا والصداقات أو حمل الأحجبة لإبعاد العين و الحسود.

[1] عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص ص88-89

كما ساهمت الزوايا بدور بالغ الأهمية في التكافل الاجتماعي ونشر العلم في الجزائر خلال العهد العثماني فقد عرفت اهتماما بالعلوم الدقيقة وانتشار واسع للمدارس في الزوايا، الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة المدارس و قلة الأمية بين سكانها وهذه المدارس التي كانت تهتم بتدريس مختلف العلوم فمدينة الجزائر لوحدها كانت تضم 229 مدرسة يدرس بها 5583تلميذ، منها المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبو راس الناصري واعتبرها مركز للتعليم العالي والمدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة سنة 1190هـ-1776م لتدريس مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاماً خاصاً وبتلمسان كانت هناك 50مدرسة تستقطب 12000أو 15000نسمة وفي معسكر اشتهرت المدرسة المحمدية غير أن ذلك لم يكن كافيا خاصة في ميدان الطب و تعليمه فانعدمت هيئات تعليمية عليا كما كان الحال في أوروبا.

كما كانت الزوايا تضم مكتبات بها كتب في الطب وهي عبارة عن مجموعة صيغ تحوي العلاج للأمراض و أعراضها وقد ساهمت الزوايا بدور كبير في التواصل والتضامن الاجتماعي سيما في الأرياف، وأصبحت قطباً هاما فينشر التعليم، إلى جانب دورها في الخدمات الصحية كما هو الحال لزاوية سيدي قدورة بمدينة الجزائر، مخصصة لاستقبال الفقراء من العلماء، كما تخصصت زاوية أولاد الفكون وزاوية رضوان خوجة في استقبال أبناء الكراغلة والعثمانيين بمدينة قسنطينة، ونفس الحال كان بزاوية سيدي الحلوي الأندلسي بتلمسان، وزاوية تيزي راشد ببجاية والتي تتلمذ بها باي التيطري المشهور بالذباح.

وما يجب ذكره بأن الزوايا قد تكفلت بالصحة العمومية بحيث كانت مسؤولة عن مصاريف المرضى معتمدة على مداخيل الأوقاف وتكاليف العلاج والإسعاف وكذلك كانت مأوى للفقراء، العجزة، المعوقين.

13-الاهتمام الجزائريين بالمجال الطبي:

إنَّ عناية الجزائريين بالعلوم الطبية لم يكن محصوراً على مطالعة التراث العربي في هذا الميدان، بل أنهم ألفوا في هذا المجال الذي أجمعوا بين العلوم الطبية والعلوم الشرعية كما جعلوا من معرفة الطب نصف العلم. فكما قال الشافعي –رحمه الله تعالى- "العلم علمان: علم الأديان؛ الفقه، وعلم الأبدان[1]؛ الطب".ويجب ذكر بأن هؤلاء العلماء لم يمتهنوا كلهم مهنة الطب فنشاطهم كان لا يتعدى التأليف ومن بين أعمالهم نذكر:

[1] عائشة غطاس، الوضع...المرجع السابق، ص 122

المن والسلوى في حديث لا عدوى لمحمد بن أحمد الشريف الجزائري، وفتحالجليل في أدوية العليل لابن مريم، وأعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة لأحمد بن قاسم البوني ومبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب لنفس المؤلف والمنافع البيئية وما يصلح بالأربعة أزمنة لمحمد بن علي الصنهاجي، الدر المصون في تدبير الوباء والطَّاعون لأبي راس الناصري ، اتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاختراز عن الوباء لحمدان بن عثمان خوجة أما الجوهر المكنون من بحر القانون لعبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري وهو واستند على كتاب القانون لابن سينا وهو عمل ضخم وثري إذ ينقسم إلى أربعة مجلدات:

- السموم ونواة السموم وعلاجاتها.
- الترياقات.
- الأمراض.

أمَّا الكتاب الرابع والمسمى **بـ كشف الرموز** وقد خصصه لشرح ألفاظ المفردات وتعريبها أي الألفاظ الطبيّة وهي التي تطلق عليها اليوم المصطلحات الطبية كما يحوي بعض العموميات حول الأدوية ومنافعها فضلا عن احتوائه على مدونة مرتبة حسب الحروف الهجائية لتسعمائة دواء[1].

[1] عائشة غطاس، الوضع...المرجع السابق، ص ص122، 123

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره في هذه المطبوعة البيداغوجية الموجهة للطلبة السنة الثانية تاريخ عام للسداسي الرابع في مقياس تاريخ الجزائر الحديث خلال القرنين (16-19م) نتوصل إلى جملة من النتائج نستعرضها بإيجاز على النحز الآتي:

قدرة الطالب على الامعان في فهم مجريات تاريخ الجزائر إبان العهد العثماني إنطلاقاً من الحدث البارز سقوط غرناطة إلى آخر فترة للوجود العثماني في الجزائر.

معرفة توجهات السلاطين العثمانيين والحكام الذين تولوا الحكم في الإيالة الجزائرية وهذا بمعرفة خصائص كل حكم من عهد البايلربايات(1519-1587م) الذي يعد أزهى العصور مرحلة الباشوات(1587-1659)تميزت بعد الاستقرار والفوضى فكانت مدة حكمهم محددة بثلاث سنوات لذلك كان همّهم الوحيد جمع الأموال لتشهد الجزائر مرحلة جديدة عرفت بـ مرحلة الآغوات (1659-1671م) التي كانت قصيرة ودموية لذلك كان واضحا أن تنهي فصولها لتعرف مرحلة الدايات (1671-1830م). وفي هذه النقطة تم الاستعانة بملحق يبين فترات الحكم لكل حاكم في مختلف هذه المراحل للحكم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني بهدف تقريب الصورة للطالب لادراك الوضع السياسي السائد واستخلاصه للنتائج.

أخذ فكرة عن التقسيم السكاني سواء في الأرياف والمدن بتناول هاته الفئات والتفصيل في نشاطاتها الحياتية فقد عرفت الجزائر تحولا جذريا في التركيبة السكانية بسبب توافد عناصر جديدة أضفت تغيرا واضحا في السلم الاجتماعي بل تعدى حضورها في الجانب الاقتصادي كالأندلسيين.

تحليل البعد الصحي الذي عرفته الجزائر من سلسلة الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة والسياسة العلاجية المنتهجة لمجابهة هذا الوضع الحجي المتأزم سواء من الطبقة الحاكمة التي استعانت بالطب الحديث والطب التقليدي الذي شهد إقبالا من السكان المحليين والطب الأوروبي للاوروبيين كالقناصلة.

الاطلاع على بنية الجيش الجزائري بفرعيه البحري والبري فقد كانت الجزائر تستند على قدراتها ومؤهلاتها جعلتها تتبوأ مكانة متميزة وسمعة دولية في حوض الغربي الأبيض المتوسط مما دفع بالعديد من

الدول الأجنبية إلى التسابق في عقد معاهدات تجارية والحصول على الامتيازات. وكانت الجزائر تثبت في كل مرة على قوة أسطولها من خلال مجابهة الحملات العسكرية وتكبدهم الخسائر الفادحة.

تشكل للطالب صورة واضحة المعالم من خلال تتبع التسلسل الزمني عن الكيان السياسي للجزائر إبان العهد العثماني(1519-1830م).

الالمام الطالب ببعض المصادر والمراجع لها علاقة وطيدة بالفترة المدروسة.

استخدام القرائن والمقارنات عند التحليل أي قضية متعلقة بجوانبها المختلفة عن الوجود العثماني في الجزائر.

حاولنا على قدر الامكان التبسيط في طرح الأفكار وتحليل المعطيات التاريخية حتى يقدر الطالب على فهم الاطار السياسي للجزائر إبان القرن (16-19م) فقد عرفت الدول الأوروبية انتعاشاً اقتصادياً وتطوراً صناعياً في المقابل تراجعت الدول الدولة العثمانيّة وقد انعكس ذلك على إيالاتها منها الجزائر التي انقضى عليها الاستعمار الفرنسي الغاشم بعد حملته عام 1830م فانطوت بذلك الصفحة العثمانيّة في الجزائر.

الملاحق

الملحق رقم (01):

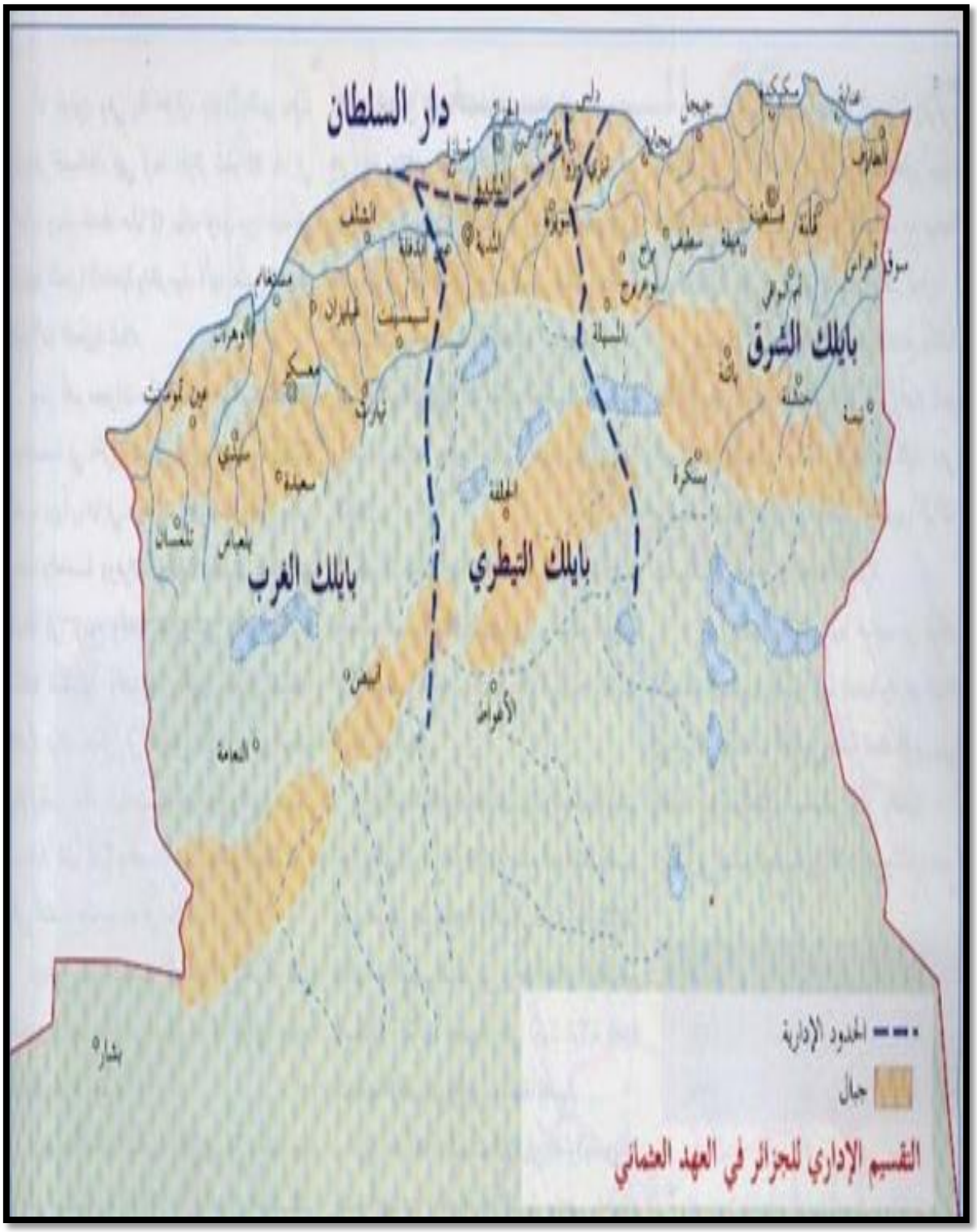

الخريطة توضح تقسيمات البايليكات في الجزائر أثناء العهد العثماني[1]

الملحق رقم (02): قائمة حكام الجزائر خلال العهد العثماني:

[1] مصدرها: المكتبة الجغرافية متوفرة على الرابط الالكتروني:

https://geography-library.blogspot.com/2012/06/blog-post_9635.html

عهد البايلر بايات (1519–1587م)

اسم البايلرباي	مدة الحكم حسب التاريخ الهجري	مدة الحكم حسب التاريخ الميلادي	ملاحظة
المجاهد بابا عروج بربروسة	924-920	1518-1514	الاستقرار بجيجل ثم الانتقال إلى مدينة الجزائر
المجاهد خضر رايس المعروف بخير الدين بربروسة	941-920	1934-1518	
حسن آغا خادم خير الدين	950-941	1544-1534	بالنيابة
الحاج بشير باشا	951	1544	
حسن بن خير الدين	958-951	1551-1544	
الخليفة القائد صفاح	960-958	1551-1544	بالنيابة
صالح رايس	963-960	1553-1552	
حسن قورصو	964-963	1556-1555	بالنيابة
مُحَمَّد باشا تيكيرلي جلبي	964	1557-1556	
القائد يوسف بك	964	1557	6أشهر بالنيابة
القائد يحي	964	1557	6أشهر بالنيابة
حسن بن خير الدين	968-964	1560-1557	للمرة الثانية
حسن آغا	968	1560	
حسن آغا ومُحَمَّد كوصه	969	1561	بالنيابة
أحمد باشا كابيدي "بستانجي"	969	1561	
يحي	969	1562	بالنيابة
حسن بن خير الدين	974-969	1566-1562	للمرة الثالثة
مُحَمَّد بن صالح رايس	975-974	1567-1566	
قلج علي	977-975	1569-1567	من كلابريا
عرب أحمد باشا	982-977	1574-1569	

القائد رمضان	985-982	1577-1574	من سردانيا
حسن باشا فينيزيانو	988-985	1580-1577	من البندقية عُين في أفريل1577
جعفر باشا	990-988	1582-1580	من المجر(هنغاريا)
رمضان باشا	991-990	1582	للمرة الثانية
حسن باشا فينيزيانو العلج	991-990	1583-1582	للمرة الثانية بالنيابة

عهد الباشوات(1587-1659م):

اسم الباشا	مدة الحكم حسب التاريخ الهجري	مدة الحكم حسب التاريخ الميلادي	ملاحظة
دالي أحمد استانكولي	997-995	1588-1586	
خضر باشا	1000-997	1591-1588	
الحاج شعبان باشا	1003-1000	1594-1591	
مصطفى بك	1003	1594	بالنيابة
مصطفى(جاقرجي)	1007-1004	1598-1595	
دالي حسن باشا (بوريشة)	1008-1007	1599-1598	
سليمان باشا	1011-1008	1602-1599	
قوصة مُحَمَّد باشا	1014-1012	1603-1602	
خضر باشا	1014-1012	1605-1603	للمرة الثالثة
قوصة مصطفى باشا	1016-1014	1607-1605	
رضوان باشا	1019-1016	1610-1607	
قوصة مصطفى باشا	1022-1019	1613-1610	
الشيخ حسين باشا	1025-1022	1616-1613	
قوصة مصطفى باشا	1025	1616	للمرة الثالثة
سليمان قطانيالي	1026-1025	1617	

الشيخ حسين باشا	1028-1026	1618-1617	للمرة الثانية
خوجة شرف باشا	1029-1028	1619-1618	
خضر باشا	1032-1029	1622-1619	للمرة الرابعة
مصطفى قورصو	1034-1032	1624-1622	فترة اضطراب
حسين بن إلياس			
مراد باشا			
إبراهيم باشا			
خسرف باشا	1037-1034	1627-1624	
حسين باشا	1040-1037	1630-1627	
يونس باشا	1043-1040	1633-1630	فترة اضطراب
حسين باشا	1043	1633	
أبو جمال يوسف باشا	1046-1043	1636-1633	
أبو الحسن علي باشا	1048-1046	1638-1636	
الشيخ حسين باشا	1050-1048	1640-1638	للمرة الثالثة
أبو جمال يوسف باشا	1052-1050	1642-1640	للمرة الثانية
مُحَمَّد بورصالي باشا	1054-1052	1644-1642	
علي باشا (بتشنين)	1054	1644	
أحمد علي دوغانجي	1054	1645-1644	
مُحَمَّد بورصالي باشا	1057-1054	1647-1645	للمرة الثانية
أبو جمال يوسف باشا	1060-1057	1650-1647	للمرة الثالثة
مراد باشا الأعجمي (عجمان)	1061-1060	1650	
بوشناق مُحَمَّد باشا	1063-1061	1652-1650	
طوبال مُحَمَّد	1063	1652	

الحاج أحمد طوشان	1065-1063	1654-1652	
عبد الله بلكباشي	1065	1655-1654	بالنيابة
إبراهيم باشا	1066-1065	1656-1655	
الحاج أحمد طوشان	1068-1066	1657-1656	للمرة الثانية
إبراهيم باشا	1069-1068	1658-1657	للمرة الثانية
علي باشا	1072-1069	1661-1658	تولى في فترة عمت فيها الاضطرابات ولم يعترف بسلطته الآغاوات المتحكمين في الديوان فاضطر إلى العودة إلى إستانبول

عهد الآغاوات(1659-1671م)

اسم الآغا	مدة الحكم حسب التاريخ الهجري	مدة الحكم حسب التاريخ الميلادي	ملاحظة
خليل آغا	1071-1070	1660-1659	
رمضان آغا	1072-1071	1661-1660	
شعبان آغا	1076-1072	1665-1661	
حاجي علي آغا	1082-1076	1671-1665	

الدايات:

عهد الدايات الأوّل(1671-1710م):

اسم الداي	مدة الحكم حسب التاريخ الهجري	مدة الحكم حسب التاريخ الميلادي	ملاحظة
الداي حاجي محمّد (التريكي)	1093-1082	1682-1671	
الداي بابا حسين	1095-1093	1683-1682	
الداي حاجي حسين ميزومورتو	1100-1095	1688-1683	
الداي حاجي شعبان(خوجة)	1107-1100	1695-1688	
الداي حاجي أحمد (بابا أحمد العلج)	1110-1107	1698-1695	
الداي حسين شاوش	1111-1110	1699	
الداي حاجي مصطفى (بابا مصطفى)	1117-1111	1705-1699	

الداي حسين خوجة(أوحسين)	1119-1117	1707-1705
الداي مُحَمَّد بكداش	1122-1119	1710-1707
الداي دالي إبراهيم	1122	1710

عهد الدايات الثاني(1710-1830م)[1]:

اسم الداي	مدة الحكم حسب التاريخ الهجري	مدة الحكم حسب التاريخ الميلادي	ملاحظة
الداي علي شاوش(بأوزون علي الدولائي)	1130-1122	1717-1710	رفض استقبال الباشا إبراهيم مما سمح له باكتساب لقب الباشا (1711) ممثل السلطان وقد حمل بعده الدايات لقب الباشا الشرفي
الداي مُحَمَّد أفندي بن حسين	1136-1130	1723-1717	
الداي كور عبدي (الأعور)	1144-1136	1731-1723	يعرف بكور الأعور
الداي إبراهيم بن مُحَمَّد	1158-1144	1745-1731	
الداي كوجشوك إبراهيم(الصغير)	1161-1158	1748-1754	
الداي مُحَمَّد بن بكير باشا	1168-1161	1754-1748	
الداي بابا علي النقسيس	1179-1168	1766-1754	
الداي مُحَمَّد بن عثمان باشا	1205-1179	1791-1766	
الداي بابا حسن باشا	1212-1205	1798-1791	
الداي مصطفى باشا	1220-1212	1805-1798	
الداي أحمد باشا(بولالي)	1223-1220	1808-1805	
الداي علي خوجة الغسال	1224-1223	1809-1808	حكم أربعة أشهر
الداي الشريف حاجي علي خوجة	1230-1224	1814-1809	

[1] جمعوا منصب الداي الذي يمارس السلطة فعلياً مع لقب الباشا الشرفي، فلم يعد بإمكان السطان إرسال من يمثله لدى ديوان الجزائر مما يؤكد استقلال حكام الجزائر على الدّولة العثمانيّة ويجعل من الجزائر دولة ذات كيان سياسي.

الداي حاجي مُحَمَّد باشا	1230	1815-1814	حكم 13 يوما
الداي عمر آغا	1232-1230	1817-1815	
الداي حاجي علي خوجة برصالي	1233-1232	1818-1817	حكم ستة أشهر
الداي حسين باشا	1246-1233	1830-1818[1]	

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص ص263،271

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات:

الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني إلى محروسة ثغر الجزائر 1816م، خزانة شاري الطيب، كوسام، أدرار.

المصادر:

الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، طبعة خاصة، تح: أحمد توفيق المدني، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010.

العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ-1974م.

الوزان الحسن بن مُحَمَّد الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ط2، تر: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983.

خوجة حمدان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: مُحَمَّد العربي الزبيري، الجزائر: منشورات ANEP ، 2005.

شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب وعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر الوتوزيع، 1982.

مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر: مُحَمَّد دراج، ط1، الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 1431هـ-2010م.

كربخال مارمول، إفريقيا، ج2، تر: مُحَمَّد حجي وآخرون، الرباط:دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، 1989.

المراجع:

الزبيري العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.س.

الزيدي مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا عصر النهضة (1500-1789م)، ج2، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003.

السليماني أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر: مطبعة دحلب، د.س.

الصلابي علي مُحَمَّد، الدولة العثمانيّة: عوامل النهوض وأسباب السقوط،ج1، بيروت: مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

الصلابي علي مُحَمَّد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ط1، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2017.

العامري مُحَمَّد بشير حسن ، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2014.

الكتاني علي المنتصر، انبعاث الإسلام في الأندلس، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005.

النعسان مُحَمَّد هشام ، قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية (دراسة تراثية، أثرية، عمرانية، جمالية) بيروت: دار الكتب العلمية، 2017.

المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010.

بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ج1، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

بوبكر مُحَمَّد السعيد، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي(1119-1206هـ/1708-1792م)، ط1، الجزائر: بيت الحكمة، 2015.

بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.

يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009.

علي تابليت، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية1770-1815م، الأبيار: دار ثالة، 2006م.

تابليت علي، بحوث في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر: ثالة، 2013.

جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس-الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج2، تع: مزالي مُحَمَّد، بن سلامة البشي، د.م.ن: الدار التونسية للنشر، 1983.

خلاصي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، الجزائر: دار الحضارة، 2007.

خياطي مصطفى، الطب والأطباء في الجزائر العثمانيّة، الجزائر: منشورات ANEP، 2013.

خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: يوسفي حضرية، الجزائر : منشوراتANEP، 2013.

دراج مُحَمَّد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512-1543)، ط3، الجزائر: شركة الأصالة للنشر، 2015.

سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2007.

سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ط1، ج2، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1998.

سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمّد بن العنّابي المتوفي1850، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000.

فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقايم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص413

سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط3، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2012.

سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013.

سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبري والوجود الأندلسي بالجزائر، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013.

سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2012.

شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، تر: جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007

شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانيّة 1519-1830، ط2، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2016.

شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-18330)، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2010.

طويل مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403هـ - 483هـ، الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994.

طه عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة،ط1، بيروت:دار المدار الإسلامي، 2004.

عبّاد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر: دار هومه، 2012.

عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي، الجزائر: دار الحضارة، 2006.

عطيات أحمد مُحَمَّد، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.

عيسى حسن، تاريخ العرب: من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانيّة، د.م.ن: دار الاهلية للنشر والتوزيع، 2008.

غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية، الجزائر: منشورات ANEP، 2007.

غطاس عائشة وآخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، الأبيار: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007.

فارس مُحَمَّد خير الدين، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، بيروت: دار الشرق العربي، 1969.

محرز أمين، الجزائر في عهد الاغوات(1659-1671)، الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013.

نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائرية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1،الجزائر: دار الأمة، 2007.

هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م.

هلايلي حنيفي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2010

هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، الجزائر دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م.

وولف جون.ب، الجزائر وأوربا1500-1830،طبعة خاصة، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2015.

يحياوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة اللأندلسيين1492-1610م، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

المعاجم:

محاسيس نجاة سليم محمود، معجم المعارك التاريخية، ط1، عمان:دار زهران للنشر والتوزيع، 2011.

المقالات:

الزين مُحَمَّد، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانيّة في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع:17، 2012.

آيت حبوش حميد، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر العثمانيّة، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، ع:2، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، جانفي2015.

بونقاب مختار، انتفاضة درقاورة في بايلك الغرب الجزائري:1802-1816، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع:3، جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر، ديسمبر2008، ص ص135، 142

تمليكشت هجيرة ، "التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنتفوست نموذجا"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع:17،فبراير2016.

جعني زينب، ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق(1800-1807)، مجلة عصور الجديدة، عدد خاص، مخبر البحث التاريخي-مصادر وتراجم-، جامعة وهران، أوت1436هـ/2015م.

كاميلية دغموش، الوضع الصحي والمعيشي لبايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج:10، ع:2، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، جوان 2019.

دوبالي خديجة، مأساة طرد مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحاليل، مجلة عصور الجديدة، مع:23، مخبر البحث التاريخي-مصادر وتراجم، جامعة وهران، أوت 1437هـ/2016م.

سهيل جمال الدين، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع:13، جامعة غرداية، 2011.

عقيب مُحَمَّد السعيد، لمقدم عمر، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانيّة بالسكان(إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج:7، ع،2، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، 2018.

غطاس عائشة، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع:76، الجزائر، 1993.

عبد القادر قندوز، الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج:7، ع:1، جامعة ابن خلدون تيارت، 2014.

لزغم فوزية، الأطباء الأوربيون خلال العهد العثماني، مجلة عصور،مج:12، ع:2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، 2013.

لكحل الشيخ ، الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن السادس عشر، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج:7، ع:1، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، جوان 2015.

هلايلي حنيفي ، أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانيّة، مجلة الحوار المتوسطي، مج:9، ع:1، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، مارس 2018.

هلايلي حنيفي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مج:21، ع:1، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–، 2006.

➢الندوات:

حنيفي هلايلي، الندوة العلمية الأولى لفرقة بحث بعنوان: "تاريخ الجزائر العثماني–الأعلام والمصادر" حول المجتمع والدولة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،جامعة وهران–أحمد بن بلة، 28أبريل 2016.

➢الرسائل الجامعية:

بن عتو بلبراوات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بلقاسمي بوعلام، السنة الجامعية: 2007–2008.

بن صحراوي كمال، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: فغرور دحو ، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2012–2013.

كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: دحو فغرور، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي–معسكر، السنة الجامعية: 2007–2008. فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني1519–1830م(مقاربة اجتماعية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: دادة مُحَمَّد ، جامعة وهران1أحمد بن بلة، السنة الجامعية: 2014–2015م.

دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانيّة(1509–1792)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: دادة مُحَمَّد، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2013، 2014.

علاّمة صليحة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830إلى 1962 *عمالة الجزائر نموذجا*– دراسة تاريخية–، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بودواية مبخوت، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية:1437–1438/2016–2017.

كشرود حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانيّة من 1659م إلى1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، إشراف: قشي فاطمة الزهراء ، السنة الجامعية: 1428/1429هـ–2007/2008م، جامعة منتوري–قسنطينة.

معاشي جميلة ، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف: فيلالي كمال ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية: 1428–1429هـ/2007–2008.

ميسوم ميلود، مدرسة مازونة"دراسة تاريخية فنية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية، إشراف: حاجيات عبد الحميد ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، السنة الجامعية: 2002-2003.

مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي1830-1962 ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف: دحو فغرو وأللوم (Ghislaine Alleaume) في جامعة وهران1-أحمد بن بلة، السنة الجامعية2017-2018.

موساوي-القشاعي فلة ، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: سعيدوني ناصر الدين بمساعدة: بانزاك دانيال، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2003-2004.

➢المراجع باللغة الأجنبية:

Belhamissi Moulay, Marine et Marins d'Alger 1518-1830 ،T1, LES NAVIRES ET LES HOMMES, Algeria Bibliothèque nationale d'Algéri, 1996,

- BERBRUGGER(A) :le Penon d'Alger ou les Origines de la Régence d' Alger, Paris challamel,LIBRAIRE. Commissionnaire pour l'Algérie et l'Orient, Alger, 1860.

Boutin, Vincent-Yves (1772-1815). Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger, à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique avec plans, vues et costumes, typographie de J. Pinard, imprimeur du roi, Paris, 1830.

Diogo. F de Haëdo : Histoire des rois d'Alger, Traduit :H.-D. De Grammont, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur- Librairie، Alger,1881.

Grammont, H.D de. Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830, Leroux, 1887.

Edward Cat, Petite histoire de l'Algérie Tunisie-Maroc, Adolph Jourdan, Alger, T1, 1888.

➢المواقع الالكترونية:

-دويدة نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانيّة، مجلة إنسانيات، ع:68، 2015، *متاح على الرابط الالكتروني:*

https://journals.openedition.org/insaniyat/15081

https://geography-library.blogspot.com/2012/06/blog-post_9635.html

فهرس المحتويات:	
الموضوع	**الصفحة**
مقدّمة المطبوعة	02
المحاضرة الأولى: سقوط غرناطة والنتئج المترتبة عنها	
1.سقوط غرناطة	03
2.معاهدة التسليم	04
3..أسباب السقوط	05
3.الآثار	06
4.دوافع الاحتلال	07
المحاضرة الثانية: دور الإخوة بربروس في سواحل شمال إفريقيا	
1.أصل الاخوة	10
2.دور الاخوة بربروس	10
3.اتصال أعيان الجزائر بالإخورة بربروس في تحرير مدينة بجاية من الاسبان	11
4.انتقال الاخوة بربروس إلى الجزائر	11
5.استكمال تثبيت دعائم الاستقرار في تلمسان ووفاة عروج	12
المحاضرة الثالثة: انضمام الجزائر للدولة العثمانيّة	
1.قرار خير الدين في مغادرة الجزائر	13
2.اتصال أعيان الجزائر بالدولة العثمانيّة:	14
3. النتائج المترتبة عن انضمام الجزائر للدولة العثمانيّة	15
المحاضرة الرابعة: التنظيم السياسي والإداري في الجزائر إبان العهد العثماني (1519-1830م)	
1.الخلفية التاريخية عن مسار الحكم في الجزائر وإبان العهد العثماني	15
2.النظم المركزيَّة	18
المحاضرة الخامسة: التنظيم الإداري في الجزائر إبان العهد العثماني (1519-1830م)	
1..التنظيم الإداري	23
2.الديوان البايلك المحلي	26
المحاضرة السادسة: مراحل الحكم العثماني في الجزائر وأهم مميزاته عهد البايلر بايات (1519-1587م)	
1-الجبهة الإسبانية لطرد الإسبانيين من حصن البنيون(Penon):	
2-الجبهة الداخلية	
3-حملة شرلكان على مدينة الجزائر:19أكتوبر-03نوفمبر1541م:	
4-تحريرمدينة بجاية	

المحاضرة السابعة.مرحلة الباشوات(1587-1659م)	
أهم مميزاته	**35**
المحاضرة الثامنة: مرحلة الآغوات(1659-1671م)	**36**
1- أطماع لويس الرابع عشر في الجزائر:	
2- أطماع الانجليز	
المحاضرة التاسعة: مرحلة الدايات (1671-1830م)	**39**
1-عهد الدايات الأوّل(1671-1710م)	
2-عهد الدايات الثاني(1710-1830م):	
المحاضرة العاشرة: الجيش البحري الجزائري	
1.نشأة البحرية الجزائرية	53
2.أسباب قوة البحرية الجزائرية	53
3.قضية القرصنة	55
4.النظام العسكري البحري	56
5.أصل أعضائها	57
6.ديوان البحريّة	58
7.طاقم السفينة	59
8.مصادر التموين	60
9.دور طائفة الرياس	61
10.عوامل تدهور الأسطول الجزائري	61
المحاضرة الحادية عشر: الجيش الانكشاري	
1.نشأة الجيش الانكشاري	62
2.الجيش الجزائري خلال العهد العثماني	64
3.أقسام الجيش	65
4.وصول الجيش الانكشاري إلى الجزائر	65
5.تنظيم والرتب العسكرية	66
6.الترقية	67
7.الثكنات العسكرية	68
8.مهامهم	70
9.التسلح	70
10.الجرايات	70

11.عوامل تدهور الجيش	71
12.التنافس بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية	72
المحاضرة الثانة عشر: التنظيم السكاني في الريف الجزائري	
1.سكان الأرياف	73
2.مفهوم القبيلة	73
3.أنواع القبائل في الريف	73
3.1. قبائل المخزن	73
3.2. قبائل الرعية (الخاضعة)	75
3.3.قبائل المتحالفة	76
3.4.قبائل المستقلة	77
المحاضرة الثالثة عشر: التنظيم السكاني في المدن الجزائرية	
1.الأتراك	
2.الكراغلة	
3.الحضر	
4.مجموعة البرانية	
5.العبيد	
6.المغاربيون	
7.أهل الذمة	
المحاضرة الرابعة عشر: البيئة الصِّحيَّة في الجزائر خلال العهد العثمانيّ (الكوارث والأمراض والأوبئة)–دراسة تحليليَّة–:	
1.الكوارث الطبيعية	88
2.نتائج الكوارث الطبيعية	90
3.نظرة عامة عن الوضع الصحي في الجزائر	92
4 .الطبّ العثماني	92
5.الطبّ الشّعبي	93
6.الطبّ الأوروبي	93
7.الهياكل الصحيّة	94
8.الأوبئة	94
9.عوامل انتشارها	94
10.تأثيرها على الوضع الديمغرافي	98
11.طبيعة تعامل العثمانيين مع القطاع الصحي في الجزائر	100

12.دور الزوايا في العناية الصحية	101
13.الاهتمام الجزائريين بالمجال الطبي	103
الخاتمة	104
ملحق: قائمة حكام الجزائر خلال العهد العثماني	
قائمة المصادر والمراجع	106